مؤتمر الشارقة الدولي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية

II. INTERNATIONAL SHARJAH CONFERENCE OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

II. SHARJAH ULUSLARARASI SOSYAL VE BEŞERI BILIMLER KONFERANSI

2025

sharjah.rimaracademy.com

+90 539 600 56 02

مؤتمر الشارقة الدولي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية

II. INTERNATIONAL SHARJAH CONFERENCE OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

FULL TEXT BOOK

2025

Yayınevi:	دار النشر:	Rimar Academy
Editor:	المحرر:	Dr. Osman TURK https://orcid.org/0000-0002-9379-6225
Yayın Koordinatörü:	تنسيق النشر:	AMIR MUAENI
ISBN:	نظام الترميز الدولي لترقيم الكتاب:	978-625-96965-5-3
DOI :	رقم معرف الكائن الرقمي:	http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2
Baskı:	تاريخ الطباعة:	2025 / 07 / 09
kongre Tarihi:	تاريخ المؤتمر:	2025 / 05 / 30 -29 -28
Sayfalar:	عدد الصفحات:	186
URL:	رابط النشر:	www.rimaracademy.com
No Sertifikası Matbaa:	رقم شهادة المطبعة:	47843

مقدمة

عُقد المؤتمر العلمي الدولي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية (الشارقة الثاني) تحت شعار آفاق علمية لرؤية حضارية، برعاية الرابطة الدولية للتعليم والبحث الأكاديمي، بالتعاون مع أكاديمية ريمار التركية، وجامعة اغدر الحكومية التركية بتاريخ 28-29-30 مـــايو / أيـــار 2025 في الشارقة/ الإمارات العربية المتحدة.

وهدف المؤتمر إلى تقديم رؤى وتصورات علمية جديدة تستجيب للحاجة الملحة التي فرضتها القضايا المستحدثة في المجتمع الإنساني المعاصر، وهذا لا يتحقق إلا في إطار علاقة تشابكية تفاعلية يقودها عقل الفريق البحثي الذي تحاول إدارة المؤتمر المساهمة في صناعته.

تم إعداد كتاب وقائع المؤتمر بهدف نقل الإنتاج العلمي إلى المستقبل كمساهمة مستدامة ومثرية.

تجاوز إجمالي عدد المشاركين في المؤتمر 84 باحث من الدّول الآتية: (المملكة العربية السعودية - العراق - فلسطين- الإمارات -المغرب - الجزائر- الأردن - سوريا - لبنان - مصر- تونس - فرنسا- السودان – المغرب -بروناي دار السلام)

رئيس التحرير
د. عثمان ترك

الفهرس

1 جزء من النص المحقق لكتاب الفرائض

- زهرة عباس مزهر العامري

13 التشكيل المورفولوجي والتوليد الدلالي لأسماء الإشارة في القرآن الكريم

- محمد مناضل عباس

29 دور القيادة الروحية في تحسين الخدمات التأمينية / دراسة تحليلية

- نور علي سلمان
- مها صباح إبراهيم

40 التغطية الإعلامية الجهوية كرافعة للعمل الاجتماعي والإحساني و التطوعي: تجربة إذاعة وجدة الجهوية من خلال مبادرات الشباب خلال زلزال الحوز

- محمد بلاوي

52 Dystopian Poetics in Tracy K. Smith's Wade in the Water:Social and Environmental Ruin

- Widad Allawi SADDAM

65 دور الابتكار المالي في المصارف العراقية وتأثيره على استراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة: دراسة مستقبلية

- بلسم حسين رهيف
- لواحظ خليل ابراهيم

الفهرس

أمن الطاقة العربي والتنمية المستدامة 80

- جاسم محمد عبد الكريم

العلاقات التركية العربية الراهنة الواقع والمأمول قراءة تحليلية للعلاقات التركية العربية أواخر القرن العشرين 92

- محمد علي محمد القوزي

"الاعتراف " ما وراء الرواية مظاهر الفلسفة الاجتماعية في النص الروائي 103

- رنا فرمان محمد
- رواء نعاس محمد

الاتجاه الشيعي في شعر مزيد الحلي الأسدي (دراسة في المضمون والشكل) 113

- علياء عبد الحسين عطية
- رشا كريم دنيف

الهُوِيَّةُ التَّعْرِيفِيّةُ لِلبَلَاغَةِ العَرَبِيَّة فِي مُصَنَّفَاتِ المُعَاصِرِينَ، مَشرُوعُ شَيخِ البَلَاغِيينَ- مُحَمَّد أبو مُوسَى- أنمُوذَجاً 138

- هدى صيهود زرزور العمري

نظَرِيّةُ تَضَافُرِ القَرائِنِ فِي الدَّرسِ النّحويّ، دِراسةٌ تأصِيليّةٌ فِي التُّراثِ اللُّغويّ العَرَبيِّ 160

- خالد حامد عطية العلي

فاعلية التدريس بالمماثلة في تطبيق المفاهيم المكتسبة من أجل تفسير ظواهر جديدة 179

- د. حواتيس جمال
- خباط فايز

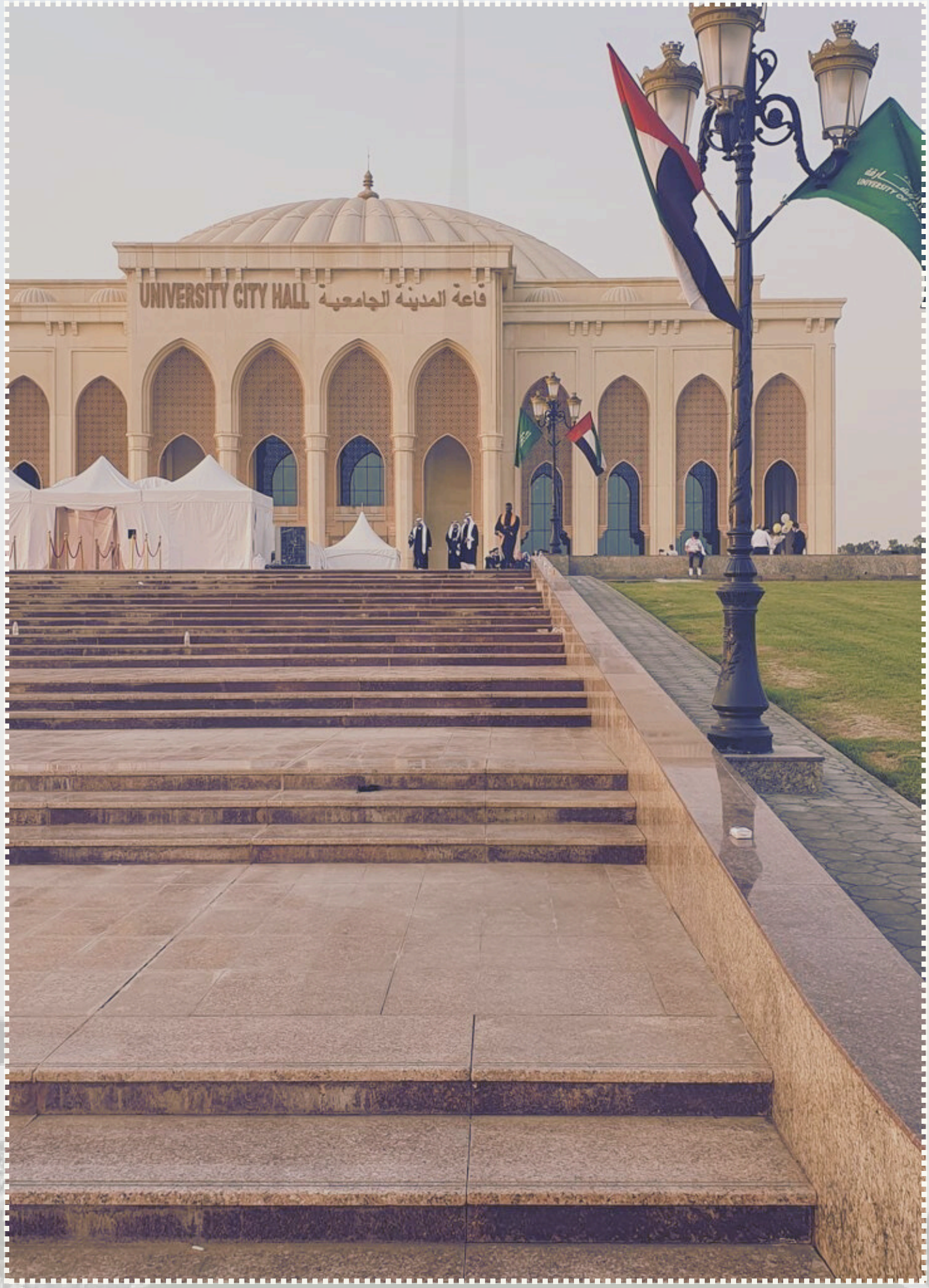
UNIVERSITY CITY HALL
قاعة المدينة الجامعية

جزء من النص المحقق لكتاب الفرائض

Part of the legal text of the Book of Inheritance

زهرة عباس مزهر العامري[1]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract

Based on the work of what scholars and thinkers left behind in terms of cognitive work، I investigated a part of the book of inheritance by Sheikh Zakaria Al-Ansari، which begins with the word (Chapter on the legacy of the margins) and ends with the word (or reason)، as this book is considered one of the influences of Islamic thought in the Shafi'i school of thought. My investigation of the book of inheritance was in two parts: the first part is academic، and the second part is the investigation of the text.

Keywords: Sheikh Zakaria Al-Ansari; the book of inheritance; Life and works

الملخص:

من منطلق العمل في ما تركه العلماء والمفكرين من عمل معرفي قمت بتحقيق جزء من كتاب الفرائض الشيخ زكريا الأنصاري الذي يبدأ بكلمة (فصل في إرث الحواشي) وينتهي بكلمة (أو السبب) حيث يعتبر هذا الكتاب من مآثر الفكر الإسلامي في المذهب الشافعي، وقد كان تحقيقي لكتاب الفرائض على قسمين القسم الأول الدراسي والقسم الثاني تحقيق النص.

الكلمات المفتاحية: (الشيخ زكريا الأنصاري، كتاب الفرائض، حياته وآثاره).

http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2-1

[1] Assist. Prof. Dr. Zahra Abbas Mazhar AL-AMIRI، Institute of Fine Arts for Boys، Najaf، Iraq
zhrtbasalamry@gmail.com

المقدمة

الحمد لله الذي عليه توكلنا، ونحمده ونستعين به، ونسأله أن يمن علينا بجميع نعمه إنه سميع مجيب قال تعالى (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً.... عَلِيمًا حَكِيمًا).

إن النصوص القرآنية التي أرسلت نظام المواريث هي القواعد التي استمد منها المشرع الإسلامي في تقييم الفروض على أصحابها مثل الابن والابنة والزوج والزوجة والجد والجدة، وإلى غيرهم من أصحاب الفروض الذين أوجب الإسلام حقوق التركة.

ولا بد في هذا الدراسة التي أجريتها لكتاب الفرائض لشيخ زكريا الأنصاري أن أنقل ما جاء في كتاب الفرائض من فرعين هما القسم الدراسي والقسم التحقيقي، وقد تناولت في هذه الدراسة مستفيضة لحياة الشيخ الأنصاري سبق أن نشرت منها في بحوث لنفس موضوع التحقيق لكتاب الفرائض، وفي هذا الجزء المحقق لا بد أن أتناول شيئا من حياة الشيخ الأنصاري قبل البدا بتحقيق جزء من النص، والذي يبدأ بكلمة (فصل في إرث الحواشي) وينتهي بكلمة (أو السبب).

دراسة في حياة الشيخ أبي يحيى زكريا الأنصاري (823 هـ – 926 هـ)

عاش شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصاري في فترة حكم المماليك البرجية.[1] الجركسية [2] واستمر حكمهم على مصر والشام، إلى سنة /٩٢٣ هـ، وكانت هذه الفترة السياسية التي عاصرها الشيخ الأنصاري تعد من الفترات التي شهدت اضطرابات سياسية فهناك العثمانيون (699هـ-342هـ) والمغول (603هـ-658هـ) والصليبيون إضافة إلى ما يهدد الحكم المماليك من الداخل؛ مما جعل تلك الفترة وكأنها حالة حرب مستمرة[3] .

هذا بالنسبة للناحية السياسية التي عاشها الشيخ الأنصاري. أما من الجانب الاجتماعي، فقد نقش في هذه الحقبة الزمنية الأمراض والأوبئة، مرض الطاعون، وانتشار السطو والسلب وقطع الطرق؛ بسبب الغلاء وعدم السيطرة على المجرمين.

ويذكر أن تلك الأحداث السياسية والاجتماعية يقابلها عصراً علمياً زاهراً بالعلم والعلماء، فقد برز في تلك الفترة علماء منهم شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) والحافظ المؤرخ السخاوي (ت ٩٠٣) والإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١) والقاضي زكريا الأنصاري (ت ٩٢٩) وغيرهم؛ مما يدل أن تلك الأزمات والاضطرابات السياسية لم تؤثر على الدور العلمي، ولم تستطع أن تحول دون نشوء حركة علمية لها آثار محمودة في نشر العلوم والمصارف الإسلامية .[4]

أسمه ونسبه

هو : زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري الخزرجي السنيكي القاهري الأزهري الشافعي[5].

ولد في بلدة (سنيكة) سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة [6]على القول الراجح، تلمذ على شيوخ بلدة سنيكة وحفظ القران الكريم وقرأ مختصر التبريزي انتقل في سنة 841هـ إلى مدينة القاهرة.[7]

فقد كانت لشيخ زكريا مكانة علمية اثنى عليها العديد من العلماء وقد اشتغل بتدريس والتأليف، حتى وصل إلى المرتبة العلمية، اضافة إلى ما كان يتحلى به من مكارم الاخلاق قال الإمام السخاوي: (ولم ينفك عن الاشتغال على طريقة جميلة من التواضع، وحسن العشرة، والأدب، والعفة)[8] .

وقال نجم الدين الفتري شيخ مشايخ الاسلام علامة المحققين وفهامة المدققين [9]

وقد درس زكريا الأنصاري على يد علماء ومشايخ عصره، أخذ عنهم أنواع المعارف والعلوم منهم شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد أبو عبد الله، الواسطي الغمري المحلي والشيخ شهاب الدين أحمد بن رجب بن طبغا المجدي أبو العباس. وقد كان عالما في علوم الفرائض والحساب والهندسة والفلك[10]، وغيرهم آخرين.[11]

أما تلاميذه منهم[12]: زين الدين عمر بن أحمد بن علي الشماع أبو حفص الحلبي الشافعي ولد في حدود سنة (٨٨٠) توفي في حلب سنة (936)، و عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد أبو المواهب، الشعراني ولد في (قلقشندة) بمصر في سنة (٨٩٨)، وقد تولى الشيخ الأنصاري عدة مناصب ومن المعروف أن وظيفة التدريس، والإفتاء، والحسبة، والقضاء، من الوظائف الخطيرة في الدولة لا تسند في غالب الأحوال ألا إلى أكابر العلماء، وقد تولى الشيخ الانصاري التدريس وشغل منصب قاضي قضاة[13].

كان شيخ الإسلام أشعري العقيدة، شافعي المذهب، صوفي الطريقة[14]. وكانت وفاته في سنة (926هـ) وقد اختلف القول في سنة وفاته إلى عدة أقوال.[15]

وصف النسخ الخطية

نسخة الأصل (أ)

وهي نسخة في كتاب فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب تأليف شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الجزء الثاني، الطبعة الأخيرة ١٣٩٧ ، مطبعة البابي من الصفحة الثانية إلى الصفحة الثالث عشر، وهي النسخة التي جعلتها الأصل ورمزت لها بالحرف (أ).

النسخة الثانية (ب)

وهي نسخة محفوظة في مكتبة الحكيم العامة في النجف الأشرف تحت رقم (٢٧٢٥/٢) وهي نسخة قيمة، معلوماتها وخطها جيد، وهي واضحة حتى في الخطوط المعلمة عن كلماتها. اسم الناسخ: ولي سيد أمين.

تاريخ النسخ: (921هـ). وتشتمل على (54) صفحة قياسا (١٥،٠× ٢١سم). وعدد الأسطر فيها: (10 أسطر) ويتراوح عدد الكلمات في السطر الواحد بين (١٢٩) كلمة.

النسخة (ج) :

وهي نسخة محفوظة في مكتبة الحكيم العامة في النجف الأشراف أيضا برقم (٢٠٨١/٧).

تاريخ النسخ: (1174هـ)، اسم الناسخ: عبد الكريم بن قاسم البرزنجي.

وتشتمل على (٢٤) صفحة. عدد الأسطر في الصفحة الواحدة (١٩) سطرا.

يتراوح عدد الكلمات في السطر الواحد (١٧-١٩) كلمة. قياسها: (15*21) سم.

أجزاء نسخ المخطوطة الأخرى من الكتاب

نسخ محفوظة في مكتبة دار المخطوطات ببغداد تحت الأرقام:

1- 3056/1

2- 3166

3351 -3

2447/2 -4

2755 -5

5958 -6

5180/1 -7

4334 -8

3878/2 -9

5976 -10

منهجي في التحقيق

يتلخص منهجي في التحقيق بالنقاط التالية :

١- قابلت النسخ التي تمكنت من الحصول عليها، فلم أجد بينها اختلافا إلا في عدة أماكن، أشرت إليها في موضوعة وأثبت ما رأيته مناسبا.

٢- ذكرت موضوع الآية من القرآن الكريم، سورتها، ورقمها.

٣- خرجت الأحاديث النبوية وآثار الصحابة الواردة في نص الكتاب (الفرائض) فقط من كتب الحديث المعتمدة.

4 - قمت بتوثيق الأقوال والمسائل الفقهية في المذهب الشافعي من مصادرها إذا كانت مطبوعة، وقد اعتمدت كذلك على بعض الكتب المتأخرة عنه مثل كتاب (مغني المحتاج) للخطيب الشربيني وكتاب (المهذب) للشيرازي.

5- ذكرت في الهامش ما رأيته ضروريا من التعليقات المتممة من الكتب الفقهية لتوضيح بعض المسائل.

6- قمت بترجمة الأعلام الواردة في النصر، من غير المشهورين، وذكرت مصادر الترجمة ولم أترجم للأعلام المشهورين . لعدم الحاجة إلى ذلك.

٧- ترجمة الكتب التي ورد ذكرها في النص المحقق، و أشرت إلى مصادر الترجمة.

٨- شرحت بعض العبارات والمصطلحات الفقهية التي تحتاج إلى الشرح مستعينة بكتب المعاجم اللغوية والفقهية.

9- وضعت الأقواس () للآيات والأحاديث النبوية، والقوسين المعقوفين {} لما يضاف إلى النص.

١٠- قمت بعمل فهارس للأحاديث والكتب والأعلام والمصطلحات الفقهية والحديثية والأصولية الواردة في النص.

هذا وقد بذلت قصارى جهدي من أجل الوصول إلى الأفضل لخدمة الدين والعلم وأسال الله العافية في ديننا ودنيانا والحمد لله رب العالمين.

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه »

(حديث شريف)

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الفرائض

أي مسائل قسمة التركات جمع فريضة بمعنى مفروضة : أي مقدرة لما فيها من السهام المقدرة لمستحقيها والفرض لغة التقدير ، وشرعا هنا نصيب مقدر شرعا لوارث . والأصل فيه قبل الإجماع آيات المواريث والأخبار نحو الصحيحين « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر » وعلم الفرائض يحتاج كما قاله الغزالي عن الأصحاب إلى ثلاثة علوم علم الأقاويل وعلم اللغة وعلم الحساب (يبدأ من ذلك بميت) وجوبا (بما) أي بحق (تعلق بعين) مالا كجنين وما يتعلق بها حق (كزكاة) أي كمال وجبت فيه لأنه كالمرهون بها (وكفن) للغالي أو كان الحق (بذمته) أي الميت (كدين) لغيره (مرهون) للغالي دين المرتهن به (وما) أي ومبيع (مات مشتريه مفلسا) بثمنه ولم يتعلق به حق لازم كخيار للغالي حق فسخ البائع به سواء أحجر عليه قبل موته أم لا أما الغالي حق الفرماء بالأموال بالحجر فلا يبدأ به بعضهم بل يؤخر التجهيز كما قاله في الروضة عن الأصحاب في الغسل (فيؤخر تجهيز مؤنه) من غسله وغيره فهو أعم من قوله بعؤنة تجهيزه (بمعروف) بحسب يساره وإعساره ، ولا غيره ، كما كان عليه في حياته فإن احتاج لاستئجار وتعذر تبرع به أجنبي أو من بيت المال استؤجر (ثم) بعد (دينه) للغالي الذي لزمه وجوبه عليه (كتبديد (وصيته) وما ألحق بها كعتق غالق بالموت وتبرع بحز في مرض الموت (من ثلث باق) وقسمت على الإرث لوله تعالى من بعد وصية يوصى بها أو دين وتقديرا لصحة الميت كما في الحياة ومن الابتداء فتدخل الوصايا بالثلث وبحصته (والباقي) من تركته من حيث التبعيض عليه بالتصرف (لورثته) على ما يأتي بيانه . والإرث أربعة أسباب لأنه إما (بقرابة) خاصة (أو نكاح أو ولاء أو إسلام) أي بيت مال تصرف الزكاة أو أهلها كما سيأتي ليبت المال إرثا للمسلمين عصوبة كما مر أي داود وغيره « أنا وارث من لا وارث له أعقل عنه وأرثه » أو هو صلى الله عليه وسلم لا يورث شيئا لعموم بل يصرفه للمسلمين ولأنهم يحفلون حق الميت كالحصية من القرابة ويجوز تخصيص طائفة منهم بذلك وصرفه لمن ولاه أو أسلم أو عتق بعد موته أو لمن أوصى له لا للغالة وقد أوضحت ذلك في شرح الروض وأفردت أيضا شرحه وذكرت ابن الغالي في فصوله وبينتها في شرحها وله موانع أتى

الصفحة الأخيرة من النسخة (١)

ثلاثة ولأخوات أربعة يوافق عددهن بالربع فيرد إلى ثلاثة وتضرب إحدى الثلاثين في سبعة تبلغ إحدى وعشرين ومنه تصح ثلاث بنات وثلاثة إخوة لغير أم هي من ثلاثا والعدد ان متباينان بضرب أحدهما ثلاثة في ثلاثة تبلغ تسعة ومنه تصح ست بنات وثلاثة إخوة لغير أم يرد عدد البنات إلى ثلاثة وتضرب إحدى الثلاثين في ثلاثة تبلغ تسعة ومنه تصح (ويقاس بهذا) المذكور كله (الانكسار على ثلاثة) من الأصناف كجدتين وثلاثة إخوة لأم وعشرين أصلها ستة وتصح من ستة وثلاثين (و) على (أربعة) كزوجتين وأربع بنات وثلاثة إخوة لأم وعشرين أصلها اثنا عشر وتصح من مائتين وثمانين (ولا يزيد) الانكسار في غير الولاء بالاستقراء على أربعة لأن الورثة في الفريضة لا يزيدون على خمسة أصناف كما علم مما مر في اجتماع من يرث من الذكور والإناث ومنها الأب والأم والزوج ولا عدد فيهم (فإذا أردت) بعد تصحيح المسألة (معرفة نصيب كل صنف من مبلغ المسألة ضرب نصيبه من أصلها فيما ضرب فيها لما تبلغ) الضرب (فهو نصيبه بقسم على عدده) ففي جدتين وثلاث أخوات لغير أم وهم هي من ستة وتصح بضرب ستة فيها من ستة وثلاثين للجدتين واحد في ستة بستة لكل جدة ثلاثة والأخوات أربعة في ستة بأربعة وعشرين لكل أخت ثمانية ولأم واحد في ستة بستة . [فرع] في الناسخات وهي نوع من تصحيح المسائل وهي لغة مفاعلة من النسخ وهو الإزالة أو النقل واصطلاحا أن يموت أحد الورثة قبل القسمة . لو (مات) شخص (عن ورثة فمات أحدهم قبل القسمة فإن لم يرثه غير الباقين) من ورثة الأول (وإرثهم منه كإرثهم (من الأول جعل) الحال بالنظر إلى الحساب (كأن الثاني لم يكن) من ورثة الأول وقسم التركة بين الباقين (كإخوة وأخوات) لغير أم (مات بعضهم عن الباقين) منهم (ولا) أي وإن ورثه غير الباقين (كأن مات عنهم غيرهم أو ورثه الباقون ولم يكن إرثهم منه كإرثهم من الأول بأن اختلف قدر استحقاقهم (فصحح مسألة كل) منهما (فإن انقسم نصيب الثاني) من مسألة الأول (على مسألته فذاك) ظاهر كزوج وأختين لغير أم مات إحداهما عن الأخرى وعن بنت الأخت الأولى من ستة وعول إلى سبعة والثانية من اثنين ونصيب ميتها من الأولى اثنان منقسم عليها (وإلا) أي وإن لم ينقسم نصيب الثاني من الأولى على مسألته (فإن توافقا ضرب في الأولى وفي مسألته ، وإلا) بأن تباينا (فكلها) ثم بلغ صحا منه (ومن له شيء من) المسألة (الأولى أخذه مضروبا فيما ضرب فيها) من وفق الثانية أو كلها (و) من له شيء (من الثانية أخذه مضروبا في نصيب الثاني) من الأولى (أو) في (وفقه) إن كان بين مسألته ونصيبه وفق مثال الوفق جدتان وثلاث أخوات متفرقات مات الأخت لأم عن أخت لأم وهي الأخت لأبوين في الأولى وعن أختين لأبوين وعن أم وهي إحدى الجدتين في الأولى المسألة الأولى من ستة وتصح من اثني عشر والثانية من ستة ونصيب ميتها من الأولى اثنان يوافقان مسألته بالنصف فيضرب نصفها في الأولى بلغ ستة وثلاثين لكل جدة من الأولى سبع في ثلاثة بثلاثة والوارثة في الثانية سهم منها في واحد يواحد والأخت من الأبوين في الأولى ستة منها في الثلاثة بثمانية عشر ولها من الثانية سهم في واحد يواحد والأخت للأب في الأولى سهمان في ثلاثة بستة وللأختين لأبوين في الثانية أربعة منها في واحد بأربعة ومثال عدم الوفق زوجة وثلاث بنين وبنت مات البنت عن أم وثلاثة إخوة وهم الباقون من الأولى المسألة الأولى من ثمانية والثانية تصح من ثمانية عشر ونصيب ميتها من الأولى سهم لا يوافق مسألته فتضرب في الأولى تبلغ مائة وأربعة وأربعين الزوجة من الأولى سهم في ثمانية عشر بثمانية عشر ومن الثانية ثلاثة في واحد بثلاثة ولكل ابن من الأولى سهمان في ثمانية عشر بستة وثلاثين ومن الثانية خمسة في واحد بخمسة ومات منه ابنان صار كل جدة أولى فإن مات ثالث عمل في مسألته ما عمل في مسألة الثاني وهكذا .

الصفحة الأخيرة من النسخة (١)

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

فصل في إرث الحواشي[16]

ولد أبوين ذكرا كان أو أنثى، يرث كولد فللذكر الواحد فأكثر[17] جميع التركة وللأنثى النصف، وللأنثيين. فأكثر الثلثان وللذكر مثل حظ الأنثيين [18]عند اجتماع الذكور والإناث وولد.

أب كولد أبوين في أحكامه[19]. قال تعالى فيهما : إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت[20]. وإلا في المشركة بفتح الراء المشددة وقد تكسر وتسمى الحمارية[21] والحجرية[22] واليمية[23] المنبرية[24] (وهي زوج وأم وولدا أم وأخ لأبوين فيشارك الأخ لأبوين ولو مع من يساويه من الأخوة والأخوات ولدي الأم في فرضهما لاشتراكه معهما في ولادة الأم لهم. واصل المسألة ستة[25] فإذا لم يكن مع الأخ من يساويه فثلثها منكسر عليهم ولا وفق فيضرب عددهم في الستة، فتصح من ثمانية عشره والجدة فيها كالأم حكماء ولو كان الأخ أخا والأب سقط لعدم ولادته من الأم المقتضية للمشاركة واسقط من معه من أخواته المساويات له، ويسمى المشؤوم ولو كان بدل الأخ أخت لأبوين أو لأب فرض لها النصف أو أكثر فالثلثان وأعيلت المسئلة ولو كان بدله خنثى صحت المسئلة من ثمانية عشر نظير ما مر ستة للزوج اللام وأربعة لو لدي الأم واثنان للأم وأربعة لولدي الأم واثنان للخنسى[26] وتوقف أربعة فإن بأن ذكرا رد على الزوج ثلاثة وعلى الأم واحد أو أنثى آخذها.

واجتماع الصنفين أي ولد الأبوين وولد الأب كاجتماع الولد ولد الابن فإن كان ولد الأبوين ذكرا أو ذكرا معه[27] أنثى حجب ولد الآب أو أنثى وإن تعددت فله ما زاد على فرضها فإن كان أنثى فلها مع شقيقة سدس ولا شئ لها مع أكثر إلا أن الأخت[28] لا يعصبها إلا أخوها أي فلا يعصبها ابن أخيها بخلاف بنت الابن يعصبها من في درجتها ومن هو أنزل منها كما مر فلو ترك شخص أختين لأبوين وأختا لأب وابن أخ لأب فللأختين الثلثان والباقي لابن الأخ ولا يعصب الأخت وأخت لغير أم[29] أي لأبوين أو لأب مع بنت أو بنت ابن فأكثر عصبة كالأخ، فتسقط أخت لأبوين اجتمعت مع بنت أو بنت ابن ولد أب روى البخاري[30] إن ابن مسعود[31] عن بنت وبنت ابن وأخت فقال: لأقضين[32] فيها بما قضى رسول الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة[33] الابن[34] السدس وما بقي فللأخت وتعبيري بولد الأب أعم من تعبيره بالأخوات وابن أخ لغير أم كأبيه اجتماعا وانفرادا، ففي الانفراد يستغرق التركة وفي الاجتماع يسقط ابن الأخ لأب بابن الأخ لأبوين. لكن يخالفه في أنه لا يرد الام من الثلث السدس ولا يرث مع الجد ولا يعصب أخته بخلاف أبيه في الجميع كما مر ويسقط في المشركة بخلاف أبيه الشقيق كما مر وعم لغير أم أي لأبوين أو لأب لا كأخ كذلك أي لغير ام اجتماعاً وانفرادا فمن انفرد منهما أخذ كل التركة وإذا اجتمعا سقط العم لاب بالعم لأبوين وكذا باقي عصبة نسب كبني العم وبني بنيه وبني بني الاخوة.

فصل في الإرث بالولاء

من لا عصبة بنسب فتركته أو الفاضل منها عن الفرض لمعتقه بالاجماع فإن فقد[35] المعتق فهو العصبته بنفسه في النسب كابنه وأخيه بخلاف عصبته بغيره أو مع غيره كبنته وأخته مع عصبهما وكأخته مع بنته لأنهما ليستا عصبة بنفسهما، وتعتبر أقرب عصبات المعتق وقت موت العتيق، فلو مات المعتق عن ابنين ثم مات أحدهما عن ابن ثم مات العتيق فولاه المعتق لابن المعتق دون ابن ابنه وترتيبهم كترتيبهم في نسب، فيقدم ابن المعتق ثم ابن ابنه وإن نزل ثم أبوه ثم جده وإن علا ، وهكذا، ولكن يقدّم أخو معتق وابن أخيه على جده بخلافه في النسب ، فإن الجد يشارك الأخ ويسقط ابن الآخ كما مر ولو كان للمعتق ابنا عم أحدهما أخ لام قدم هنا لتمحض الاخوة للترجيح، وكذا يقدم العم وابنه على أبي الجد هنا بخلافه في النسب فان فقدت عصبتة نسب المعتق فما ذكر المعتق المعتق فعصبته كذلك أي كما في عصبة عقبته المعتقد ثم معتق معتق المعتق وهكذا ثم بيت المال فلو اشترت بنت أباها فعتق عليها ثم اشترى الآب عبدا وأعتقه ثم مات الأب عنها وعن ابن ثم عتيقه عنهما فميراثه للابن دون البنت لان عصبة معتق من النسب بنفسه

والبنت معتقه المعتق والأول أقوى وتسمى هذه مسألة القضاة[36] لما قيل إنه أخطأ فيها أربعمائة قاض غير المتفقهة حيث جعلوا الميراث للبنت ولا ترث امرأة بولاء إلا عتيقها أو متنهما إليه بنسب كابنه وإن نزل أو ولاء كعتيقه فإنها ترثه بالولاء ويشركها فيه الرجل ويزيد عليها بكونه عصبة معتق من نسب بنفسه كما علم أكثر ذلك مما مر وسيأتي بيان انجرار الولاء في فصله.

فصل في ميراث الجد والإخوة[37]

لجد اجتمع مع ولد أبوين أو ولد أب بلا ذي فرض الأكثر من ثلث ومقاسمة أخ أما الثلث فلان له مع الأم مثلي ما لها غالبا والأخوة لا ينقصونها عن السدس فلا ينقصونه عن مثليه، وأما المقاسمة فلأنه كالأخ في إدلائه بالأب، وإنما أخذ الأكثر لأنه قد اجتمع فيه جهتا الفرض والتعصيب فأخذ بأكثر هما، فإذا كان معه أخوان وأخت فالثلث أكثر أو أخ وأخت فالمقاسمة أكثر وضابطه أن الاخوة والأخوات إن كانوا مثليه وذلك في ثلاث صور أخوان أربع أخوات أخ وأختان استوى[38] له الثلث والمقاسمة ويعبر الفرضيون فيه بالثلث لأنه اكمل وإن كانوا دون مثليه وذلك في خمس صور أخ أخت أختان[39] ثلاث أخوات أخ وأخت فالمقاسمة أكثر أو فوقهما، فالثلث أكثر ولا تنحصر صوره و له مع من ذكر به أي بذي فرض الأكثر من سدس وثلث باق بعد الفرض ومقاسمة بعده ففي بنتين وجد وأخوين وأخت السدس أكثر وفي زوجة وأم وجد وأخوين وأخت ثلث الباقي اكثر وفي بنت وجد وأخ وأخت المقاسمة أكثر، ولمعرفة الأكثر من الثلاثة ضابطه ذكرته في شرح الروض[40] وغيره هذا إن بقي أكثر امن السدس فإن لم يبق أكثر من سدس بأن لم يبق شيء كبنتين وأم وزوج مع جد وإخوة أو بقي سدس كبنتين وأم مع جد وإخوة أو بقي دونه كبنتين وزوج مع جد وإخوة أخذه أي السدس ولو عائلا كله أو بعضه كما علم لأنه ذو فرض فيرجع إليه عند الضرورة وسقطت الأخوة[41] لاستغراق ذوي الفروض التركة وكذا للجد ما ذكر معهما أي مع ولد الأبوين وولد الأب ويعد أي يحسب الولد الأبوين عليه ولد الأب في القسمة، فإن كان ولد الأبوين ذكرا أو ذكرا و أنثى أو أنثى في ذكرا أي أو ذكرا أو أنثى معها بنت أو بنت ابن كما علما السقط ولد الأب بولد الأبوين لأنهم يقولون كلنا للجد كلانا إليك سواء فنراحمك بأخوتنا ونأخذ حصتهم كما يأخذ الأب ما نقصه إخوة الأم منها مثاله جد وأخ لأبوين وأخ وأخت لأب وإلا أي وإن لم يكن ولد الأبوين من ذكر فتأخذ الواحدة منهن مع ما خصها بالقسمة إلى النصف و تأخذ من فوقها مع ما خصهن بالقسمة إلى الثلثين إن وجد ذلك، ففي جد وشقيقتين وأخ لأب المسئلة من ثلاثة[42] أو ستة[43]. للجد الثلث[44] و الباقي وهو الثلثان للشقيقتين وسقط الأخ للأب وفي جد وشقيقتين وأخت لأب المسئلة من خمسة للجد اثنان يبقى للشقيقتين ثلاثة وهي دون الثلثين فيقتصران عليها ولا يفضل عنهما أي عن الثلثين لشئ الان للجد الثلث فأكثر كما عرف آنفا وقد يفضل عن النصف شئ فيكون لولد الأب كجد وأخت لأبوين وأخ وأختين لأب للجد الثلث وللأخت النصف والباقي لأولاد الأب وهو واحد من ستة على أربعة فتضرب الأربعة في الستة، فتصح المسئلة من أربعة وعشرين[45].

ولا يفرض لأخت مع جد إلا في الأكدرية[46] هو وهى زوج وأم وجد وأخت لغير أم أي لأبوين أو لأب» فللزوج نصف وللأم ثلث وللجد سدس وللأخت نصف فتعول المسئلة من ستة إلى تسعة ثم يقسم الجد والأخت نصيبهما، وهما أربعة أثلاثا له الثلثان ولها الثلث فيضرب مخرجه في التسعة فتصح المسئلة من سبعة وعشرين[47] للأم ستة وللزوج تسعة وللجد ثمانية وللأخت أربعة، وإنما فرض لها معه ولم يعصبها فيما بقي لنقصه بتعصيبها فيه عن السدس فرضه، ولو كان بدل الأخت أخ سقط أو أختان[48] فللأم السدس ولهما السدس الباقي و سميت أكدرية لتكديرها على زيد مذهبه لمخالفتها القواعد وقيل لتكدر أقوال الصحابة فيها وقيل لان سائلها اسمه أكدر وقيل غير ذلك كما ذكرته في شرح الفصول[49].

فصل في موانع الإرث وما يذكر معها

الكافران يتوارثان وإن اختلفت ملتهما كيهودي ونصراني أو مجوسي ووثني لأن المال.[50] في البطلان كالملة الواحدة قال تعالى[51]: فماذا بعد الحق إلا الضلال لكم دينكم ولي دين[52] ولا حربي وغيره كذمي ومعاهد لانقطاع الموالاة بينهما . وقولي وغيره أعم من قوله وذمي ولا مسلم وكافر وإن أسلم قبل قسمة التركة لذلك ولخبر[53] الصحيحين لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم ولا متوارثان ماتا بنحو عرق كهدم وحريق ولم يعلم أسبقهما موتا سواء أعلم سبق أم لا لأن من شرط الإرث تحقيق حيوة الوارث بعد موت المورث وهو هنا منتف فلو علم أسبقهما ونسي وقف الميراث إلى البيان أو الصلح وتعبيري بنحو عرق أعم من تعبيره بغرق أو هدم أو غربة، ولا يرث نحو مرتد كيهودي تنصر أحدا إذ ليس بينه وبين أحد موالاة في الدين لأنه ترك دينا يقر عليه ولا يقر على دينه الذي انتقل إليه، ولا يورث لذلك، لكن لو قطع شخص طرف مسلم فارتد المقطوع ومات سراية وجب قود الطرف ويستوفيه من كان وارثه لولا الردة ومثله حد القذف ونحو من زيادتي، وكذا كزنديق وهو من لا يتدين بدين فلا يرث ولا يورث لذلك ومن به رق ولد مدبرا أو مكاتبا فلا يرث ولا يورث لنقصه ولأنه لو ورث لملك واللازم باطل إلا مبعضا فيورث ما ملكه بحريته لتمام ملكه عليه ولا شئ لسيده منه لاستيفاء حقه مما اكتسبه بالرقية واستثنى أيضا كافر له أمان جنى عليه حال حريته[54] وأمانه ثم نقض الأمان فسبي واسترق [55]وحصلت السراية بالموت لحال رقه فإن قدر الدية لورثته.

ولا يرث قاتل من مقتوله وإن لم يضمن بقتله لخبر الترمذي[56] وغيره بسند صحيح ليس للقاتل شئ أي من الميراث ولتهمة استعجال قتله في بعض الصور وسدا اللباب[57] . الباقي ولأن الإرث للموالاة والقاتل. وأما المقتول فقد يرث[58] القاتل بأن يجرحه والقاتل أو يضربه بموت هو قبله ومن الموانع الدور الحكميوهو أن يلزم من توريث شخص عدم توريثه كأخ أقر بابن للميت فيثبت نسب الابن ولا يرث كما مر في الاقرار وأما استبهام تاريخ الموت المذكور فمنهم من عده مانعا ومنهم من منع لما يأتي. وقد قال ابن الهائم[59] في شرح كفايته الحقيقية أربعة: القتل والتين واختلاف الدين والدور وما زاد عليها فتسميعه مانعا مجاز، والأوجه ما قاله فى غيره أنها ستة هذه الأربعة والردة واختلاف العهد وأن ما زاد عليها مجاز لأن انتفاء الإرث معه لا لأنه مانع بل لانتفاء الشرط كما في جهل التاريخ أو السبب .

الخاتمة

في هذا الجزء المحقق والذي بدأ بكلمة (فصل في إرث الحواشي) وينتهي بكلمة (أو السبب) قمت بعدة خطوات منها دراسة موجزة لحياة الشيخ زكريا الأنصاري ثم قراءة النص في النسخ المتوفرة لدي وقد زودتني بها مكتبة الحكيم في النجف الأشرف مشكورة على تعاونها معي ومازال جزء عن المخطوط غير محقق ادعو من الله سبحانه وتعالى ان يعينني على إكمال تحقيق النص فى مرحلة قادمة بعونه إن شاء الله والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الهوامش:

[1] دولة المماليك: المماليك البحرية و المماليك البرجية الجركسية، ينظر: الخطط المقريزي ، لنقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت 845هـ) ، دار صادر بيروت عن طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ. 3/ 368 – 390.

[2] أكثر المماليك البرجية من أصل جركسي، جلب أصولهم الناصر قلادون. ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . للأمام جلال الدين السيوطي ، (ت٩١١ هـ)، دار أحياء الكتب العربية الطبعة الأولى 34/19762

[3] ينظر :شذرات الذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩م.) دار الكتب العلمية بيروت وطبعة مكتبة القدسي سنة ١٣٥٠م .

[4] ينظر : حسن المحاضرة 94/2

[5] ينظر : الاعلام : قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب و المستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الأولى ، سنة (١٩٧٩ م).

[6] ينظر : الكواكب السائرة بأعيان المنة العاشرة : للشيخ نجم الدين محمد بن محمد الغزي الشافعي ، المتوفي (١٠٩١ هـ المطبعة البولسية - حريصا ١٩٥٨)، 1/ 206-196

[7] ينظر : الطبقات الكبرى للشعراني : للأمام عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الشاذلي (ت٩٧٣ هـ)، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، 111/2

[8] ينظر : الكواكب السائرة ، الغزي، 1/201

[9] ينظر : الكواكب السائرة ، الغزي، 1/201

[10] ينظر : الضوء اللامع . للأمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٣ هـ.) منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، 334/3

[11] ينظر : الطبقات الكبرى، الشعراني، 111/2-112

[12] ينظر : الضوء اللامع 136/3

[13] ينظر : النور السافر : لمحي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العبد روسي مسلط بمعية الفقرات ببغداد ١٣٥٣ هـ- ١٩٣٤ م، 12/44 والطبقات الكبرى 111/2

[14] ينظر : الكواكب السائرة : 196/1

[15] ينظر : الضوء اللامع : 8/ 238، شذرات الذهب : 265/7، البدر طالع الامام محمد بن علي الشوكاني (ت:1250هـ)، دار المعارف، بيروت، ط1، 1348هـ، 238/8، شذرات الذهب : 265/7.

[16] الحواشي لغة : ما دون الحجاب مما في البطن كل من الكبد وال تبع ذلك حشى كله لسان العرب 14/181 الحواشي اصطلاحا الأخ وابنه وان ترا اخا والعم وابنه وان تباعد والزوج والمولى المعتق والوارثات من النساء سبع الثبت وثبت الابن وان سفلت والام والجده وان علت والاخت والزوجه والمعتقة الاقناع في حل الفاظ ابي شجاع محمد بن احمد الشربيني 2/47

[17] فاكثر ساقطة من نسخة ب

[18] في النسخة ب

[19] ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني احمد بن علي بن حجر العسقلاني، 2/17 او مغني المحتاج 3/17

[20] سورة النساء الاية 176

[21] الحمارية :الفريضة المشتركة سميت بذلك لانهم قالوا هب ابانا كان حمارا لسان العرب : 213/4

[22] الحجرية :ان اصل المسألة ستة او تصح من ثمانية عشر اذا لم يكن مع الأخ من يساويه ينظر : مغني المحتاج الشربيني 18/3

[23] اليمية: تسمى بالحجارية والحجرية واليمية لانها وقعت في زمن سيدنا عمر محرم الاشقاء ينظر : حواشي الشرواني العبادي 406/6

[24] المنبرية : تسمى المنبرية لانها روى ان عليا سئل عن ذلك وهو على المنبر فقال صار ثمنها تسعا : ينظر المجموع، محي الدين النووي، 92/16

[25] ستة في نسخة ب

[26] للخنش ساقطة في نسخة ب

[27] مع النسخة ب

[28] فلا في النسخة ب

[29] الام في النسخة ب

[30] ينظر : سنن الدارمي، الدارمي 349/2

[31] ينظر المصدر سابق

[32] الاقضيين في النسخة ب

[33] في النسخة ب

[34] في النسخة ب

[35] فهو في النسخة ب

[36] الولاء عن المعنف بعد موته الى الذكور من عصبته الى المعنف المتعصبين بأنفسهم دون سائر الوراثة ومن يعصبهم العاصب لانه يورث كما مر خلو انتقل الى غيرهم لكان موروثاً

[37] ينظر : المجموع،

[38] يستوي في النسخة ب

[39] اختان اخت في النسخة ب

[40] الروض : مختصر الروضة في الفروع للنووي وهو لشرف الدين إسماعيل ب ن أبي بكر المعروف بابن المقرى اليمني الشافعي (ت ٨٣٧) وقد شرحه القاضي زكريا الانصاري انظر كشف الظنون (919/1) : سنن المطالب وهو شرح روض الطالبين لابن المقري اليمني

[41] الاستغرافي : سبق تعريفه في نصوص متقدمة من التحقيق

[42] في النسخة ب

[43] أصلا وتصحيا في نسخة ب

[44] اثنان في النسخة ب

[45] 24اصل المسألة 3/1 للجد 2/1 للأخت، اخ لاب واختين لاب 1

[46] الاكدرية :

[47] الام 6/ الزوج 9/ الجد 8/ الأخت 4

[48] فلام في النسخة ب

[49] شرح الفصول المهمة في مواريث الأمة المنسوبة لابن الهائم - للقاضي زكريا الأنصاري سماه الوصول إلى علم الفصول في مجلد. ينظر: كشف الظنون (4/١٩٥).

[50] الملل في النسخه ب

[51] سورة يونس اية 32

[52] سورة الكافر اية 6

[53] صحيح البخاري: البخاري92/5 صحيح مسلم،مسلم النيسابوري 95/5

[54] ساقطة من النسخة ب

[55] ومات من النسخة ب

[56] سنن الترمذي : الترمذي : 287/30

[57] في النسخة ب

[58] يورث في النسخة ب

[59] أبن الهائم: (٧٥٦_٨١٥هـ)، شهاب الدين أبو العباس احمد بن محمد بن عماد بن علي المصري المقدسي الشهير بابن الهائم المولود بالقاهرة و المتوفي بأورشليم سمع م ن العراقي و غيره برع في الفقه و العربية وتقدم في الفرائض والحساب. من مؤلفاته : أبرز الخفايا في فن الوصايا، مرشده الطالب إلى أسنى المطالب في الحساب، تحرير القواعد العلائية وتمهيد المسالك الفقهية، التبيان في تفسير غريب القرآن، والمقنع في الجبر والمقابلة، ينظر: معجم المطبوعات (٢٧٠-٢٩٩).

التشكيل المورفولوجي والتوليد الدلالي لأسماء الإشارة في القرآن الكريم

Morphological Formation and Semantic Generation of Demonstrative Pronouns in the Holy Quran

محمد مناضل عباس[1]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract

The research focuses on the structure of demonstrative nouns, as they are a rigid, non-inflected structure. Grammarians have provided explanations for the morphological formation and semantic generation of the demonstrative noun. However, these interpretations do not fit with the contexts of the Qur'anic text, which includes special intended connotations, as the deletion is for connotation and the mention is for connotation. Therefore, this came The research explains this synthetic use of the demonstrative noun(alha' , allaam , alkafi, wasighat kadha) and explains its significance in the Qur'an.

Keywords: *Morphological Formation, Semantic Generation, Demonstrative Pronouns, The Holy Quran.*

الملخص:

يركز البحث على بنية أسماء الإشارة، بكونها بنية جامدة غير متصرفة، وقد أورد النحويون تخريجات للتشكيل المورفولوجي والتوليد الدلالي لاسم الإشارة، غير أن هذه التخريجات لا تتلاءم مع سياقات النص القرآني الذي يتضمن دلالات خاصة مقصودة، إذ يكون الحذف لدلالة والذكر لدلالة، لذا جاء هذا البحث موضحًا هذا الاستعمال التركيبي لاسم الإشارة (الهاء، واللام، والكاف، وصيغة كذا) وبيان دلالته في القرآن.

الكلمات المفتاحية: التشكيل المورفولوجي، التوليد الدلالي، أسماء الإشارة، القرآن الكريم.

http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2-2

[1] Dr. Muhammad Munadil ABBAS, College of Arts, University of Babylon, Iraq mmm49517@gmail.com

المقدمة

إنّ أسماء الإشارة تعدّ من أهم العناصر التعريفية التي يُعتمد عليها في الكلام العربي، ولذا عرَّفها النحويون بأنها الأسماء الموضوعة لمسمًى معين في حال الإشارة إليه. فضلًا عن وظائفها النحوية التي تؤديها في الجمل، وتعدّ من أقوى وسائل الربط بين الجمل لتوثيق الصلة بين النصوص والعبارات ، وبإهمالها تتفكك عرى النص ويُصبح ذا سبك رديء أو غير مقبول. وتنماز أسماء الإشارة بأنّ لها استعمالات كثيرة، وتكون هذه الاستعمالات بحسب المشار إليه من جهة العدد والجنس (النوع)، فضلًا عن القرب والبعد والمحسوس والمعنوي. وأنّ لها دلالات متنوعة.

الهاء واسم الإشارة

يرد الهاء مع اسم الإشارة في كثير من المواطن التي يرد فيها، ولاسيما اسم الإشارة (هذا)، غير أنّه قد يرد مجردًا من (الهاء) في بضع مواضع، نحو قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ (سورة البقرة/245).

وأجمع النحويون أنّ الهاء المتصلة مع اسم الإشارة تفيد التنبيه [1] ، ومثّلوا له : هذا ، هذه، هذان ، هاتان ، هؤلاء [2] ، وذكروا أنّه قد يُفصل بينهما بالضمير (أنا وأخواته)[3]، ومنه قوله تعالى ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ (آل عمران/119)، وهو كثير عندهم[4]، وبغيره قليل[5] ، وانفرد الدماميني بعدّه كثيرًا[6]، ومنه قول لبيد[7]:

وَنَحْنُ اقْتَسَمْنَا المالَ نِصْفَيْنِ بَيْنَنَا فَقُلْتُ لَهُم هَذَا لَهَا هَا وَذَا لِيَا

قال سيبويه : " وزعم الخليل رحمه الله أنّ ها هنا هي التي مع ذا إذا قلت هذا، وإنّما أرادوا أن يقولوا هذا أنت ، ولكنهم جعلوا أنت بين ها و ذا ، وأرادوا أن يقولوا أنا هذا وهذا أنا، فقدموا ها وصارت أنا بينهما. وزعم أبو الخطاب أن العرب الموثوقَ بهم يقولون: أنا هذا، وهذا أنا"[8]، وتابعه وابن مالك[9]، الرضي[10]، والمرادي[11]، وصرح ابن يعيش (643هـ) أنّ النحويين يجمعون بينهما –الهاء واسم الإشارة– لإرادة التعظيم والمبالغة في إيضاح المقصود[12]، ومن النحويين من أكّد دخول هاء التنبيه على أسماء الإشارة والضمائر لاشتراكهما في الإبهام[13]، ويرى سيبويه أنّ الهاء للتنبيه، ولكنها ليست الهاء نفسها التي في اسم الإشارة[14]، وعلّله بأنّه لو كانت الهاء نفسها لم تعد بعد (أنتم) في قوله تعالى: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (آل عمران/66) ، وتابعه الصَّيْمَري[15]، واشترط سيبويه مشيئة المتكلم في تقدم الهاء من عدمه [16]، واختاره ابن مالك[17]، وهذا ما أميلُ إليه . غير أنّ الرضي اعتذر للخليل بأنّ تلك الإعادة للبعد بينهما ، واستدل بقوله تعالى ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ من الآية/119 من سورة آل عمران ؛ إذ يقول : " لو كان في صدر الجملة من الأصل، لجاز من غير اسم الإشارة نحو: ها أنت زيد 000 فالأولى أن نقول: إنّ هاء التنبيه مختص باسم الإشارة، وقد يفصل عنه كما مر، ولم يثبت دخولها في غيره"[18]. وذهب بعضهم إلى أنّ إعادتها توكيد[19]، ويحتمل أن يكون الاستعمال في مثل هذه الصيغ للتنبيه والتحديد وحصر الإشارة في المضمر المشار إليه، ويرى بعض النحويين أنّ الهاء – في مثل ما تقدم – تكون داخلة على المكنى دون المبهم[20]، يقول الزجاج: " والقول في هذا عندنا إنّ الاستعمال في المضمر أكثر فقط ، أعني أن يُفصل بين (ها) و (ذا) لأنّ التنبيه أن يلي المضمر أبين" [21].

والرأي عندي أنّ (ها) التنبيه غير مختصة باسم الإشارة، فقد تأتي مع النداء في قولهم (يا أيها)، والنداء للتنبيه فتكون (ها) المقحمة بين الصفة وموصوفها.

ويرى النحويون أن الهاء في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾ مفيدة للتنبيه، وهو ما ذهب إليه الزمخشري في كشافه[22]، بل إن التنبيه بها هنا مبالغة وتأكيد، يقول سيبويه: "وأكدوا التنبيه بـ(ها) حين جعلوا يا مع (ها)"[23]. وجاء في لسان العرب " أنّه يجمع بين التنبيهين للتوكيد"[24]. وثمة موضع آخر يدلّ على التنبيه وهو مع لفظ الجلالة في القسم إذا ما قيل: (ها الله) [25]. وثمة موضع آخر وهو دخولها على أول الكلام، نحو: (ها إنّ أخاك قادم).

ويرى الباحث أنّ (الهاء) في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾ ليست للتنبيه ، بل إنّها مقحمة لوصل الكلام، والدليل على ذلك أنّه لو لم يرد المتكلم التنبيه في هذا الموضع، فهل يمكن حذفها؟ وكيف سيكون الكلام من دون الهاء؟ فهل يمكن القول (يا أيُّ الناس) أو (يا أيُّ القوم)؟

ومن شواهد الفصل –عند النحويين– بين الهاء واسم الإشارة بالحرف[26] قول النابغة[27]:

هَا إنّ تَا عِذْرةٌ إنْ لَمْ تَكُنْ نَفَعَتْ فَإنَّ صَاحِبَها قَدْ تَاهَ فِي الْبَلَدِ

وفي رواية الديوان[28] : (ها إنّ ذِي عِذْرَةٌ) ، ويبدو أنّه لا فصل بينهما، إنّما افتتح البيت بهاء التنبيه، وجيء باسم الإشارة الدال على المفردة المؤنثة مجردًا من الهاء .

أمّا قول لبيد[29]:

وَنَحْنُ اقْتَسَمْنَا المالَ نِصْفَيْنِ بَيْنَنَا فَقُلْتُ لَهَا هَذَا لَهَا هَا وَذَا لِيَا

فأرى – إن كان قصده الإشارة – أنّ مجيء استعماله بالصورة المذكورة كان ضرورة شعرية ليس إلّا ، غير أنّه إلى التنبيه أقرب .

وصرح بعض النحويين بأنّ دخول هاء التنبيه على الضمير المنفصل الذي ليس خبره اسم الإشارة ممتنع عندهم ، وما ورد منه عدّوه شاذًا [30] ، نحو قول الشاعر[31]:

أَبَا حَكَمٍ هَـا أَنْتَ عَمُّ مُجَالِـدٍ وَسَيِّدُ أَهْلِ الأَبْطَحِ الْمُتَنَـاحِرِ

وصرّح الغلاييني(1364هـ) بجواز الفصل بين هاء التنبيه واسم الإشارة بالضمير واستشهد له بقوله تعالى ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ من الآية/119 من سورة آل عمران ، وبيّن أنّ الفصل بغيره قليل ومثّل له "ها إنّ الوقت قد حان"[32].

وفيه نظر: فالشاهد الذي ذكره الغلاييني وردت فيه (الهاء) وحدها وهذي مختصة بالتنبيه، واستعملت على أصلها، لا غير، ولا وجود لاسم الإشارة ظاهرًا كان أم مقدرًا. يتضح مما تقدم أنّ هذا الاستعمال ليس بشاذ، إنّما هو استعمال هاء التنبيه على أصلها، ولا أرى مسوغًا لعدم إجازته. وأكّد النحويون تقديم الهاء قبل القسم [33]، ومنه ما أنشده سيبويه للشاعر زهير، إذ يقول[34] :

تَعَلَّمَنْ هَـا لَعَمـرُ اللهِ ذَا قَسَمـًا فَاقدِرْ بذَرْعِـكَ وَانْظُـرْ أيْنَ تَنْسَلِكُ

ومنه كذاك قولهم : "إي ها الله ذا" وعدّوها عوضًا من حرف القسم ولذا تثبت ألفها[35]. والمراد : إي والله للأمر هذا ، فحذف الأمر لكثرة الاستعمال وقُدم الهاء[36]. قال سيبويه: "زعم الخليل أنه المحلوف عليه، كأنه قال: إي والله للأمر هذا، فحذف الأمر لكثرة استعمالهم هذا في كلامهم، وقدّم (ها)"[37].

يمكن القول إنّ الـ(هاء) المتصلة باسم الإشارة لا تفيد التنبيه، و الـ(الهاء) التي تفيد التنبيه هي (الهاء) التي ترد منفردة وألفها واقفة، ولكل منهما وظيفة تختلف عن الأخرى ، ولا فصل بين هاء التنبيه واسم الإشارة البتة. أما المتصلة باسم الإشارة فهي تكون من أصل بنية الاسم، وإذا ما حذفت فتكون مراعاة للسياق لأحد الأمور الآتية:

1/ ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ من الآية/245 من سورة البقرة

ذكر الطوسي أن المعنى المراد هو "التلطف في الاستدعاء إلى أعمال البر والانفاق في سبيل الخير"[38]، فناسب هذا التلطف أن يكون المقرض قريبًا من الله، وهذا القرب ناسب عدم ذكر الهاء مع اسم الإشارة، والله أعلم.

أما قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ من الآية/255 من سورة البقرة، فالمعروف أنّ الشفاعة لا تكون إلّا للقريب فجاء اسم الإشارة من دون هاء ليبين قرب الشفيع من الله لذا لم يطل الاسم بوجود الهاء فحذفها مراعاة للسياق، لأنه سياق تقريب المنزلة. والله أعلم.

أما ورودها في قوله تعالى ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (20) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ من الآيتين/ 20-21 من سورة الملك، فذكر الطبرسي أنّه "استفهام إنكار أي لا جند لكم ينصركم مني ويمنعكم من عذابي إن أردت عذابكم .. وكأنه سبحانه يقول للكفار بأي قوة تعصونني أ لكم جند يدفع عنكم عذابي"[39] فالسياق سياق قوة وشدة وتحدٍّ لهم بأنْ لا ناصر لهم ولا رازق لهم إلا الله، فناسب مجيء الصيغة كاملة مراعاة للقوة والشدة. والله أعلم

ما يتصل باسم الإشارة :

تتصل بأسماء الإشارة حروف لا تكاد تفارقها في أكثر استعمالها ، وقد عني الدارسون – قديمًا وحديثًا – بها ، وعدّوها علامة لتمييز مدى الإشارة وحددوا مراتبها وفاقًا لذاك ، ويمكن إيضاح ذاك بالآتي :

1/ الهاء :

تأتي الهاء مع اسم الإشارة ، وتكون سابقةً له ، نحو : هذا ، هذه ، هاتا، هذان، هاتان ، هؤلاء ، وهو الغالب فيها [40] ، وربما تأتي مع هذاك وهاتيك[41]، واشترط أحد النحويين المحدثين – في اجتماع الهاء والكاف – عدم الفصل بين الهاء واسم الإشارة بضمير أو غيره[42] ، نحو قول طرفة بن العبد [43] :

رَأَيْتُ بَنِي غَبْـرَاءَ لَا يُنْكِرُونَنِي وَلَا أَهْلُ هَذاكَ الطِّرافِ المُمَدَّدِ

وفي رواية أخرى : [44] (وَلَا أَهْلُ هَاتِيْكَ الطِّرافِ المُمَدَّدِ) ، ولم يجز اللغويون والنحويون دخولها مع اللام مطلقًا ، فلا يُقال (هذَالِكَ)[45] وعلّلوا امتناعها بكثرة الزوائد، أو كراهية الاستطالة[46]، أو أنّ اللام موضوعة للبعد والهاء موضوعة للقرب[47]. واتفقوا – في كل ما تقدم – على أنّ الهاء للتنبيه[48]، ما خلا الزجاجي(337هـ) فقد عدّها للإشارة[49]. ومُثِّل لها بـ (هذا) و (هو)[50] ، إذ يقول : "قالوا هو قائم فالهاء وحدها اسم والواو علامة الرفع وقالوا هما فحذفوا الواو الزائدة وأتوا بالميم لما كانت من الزوائد كرهوا أن يعربوه من وجهين وأمّا هذا فإنه كان الأصل هذاي فكثر الاستعمال فحذفوا الياء وجعلوا رفعه ونصبه وجره بمنزلة واحدة "[51] فيلحظ أنّه قد جعل الهاء أصلًا، ولو كانت الهاء للتنبيه لقال الأصل فيه (ذاي) وحذفت الياء. أمّا إن كان قصده التنبيه فهو بعيد عندي؛ لأنّه عدّ التنبيه للغائب جائزا بتمثيله إياه بالضمير (هو)

وأخواته. والنحويون جعلوا تنبيه المخاطب للحاضر المشاهد لا الغائب[52]. وذهب المبرد إلى أنّ الهاء زائدة [53]، واستشهد بقول الأعشى[54] :

هــؤلا ثُمَّ هــؤلا كُلًا أعــ طيتَ نِعــالا مَحْذُوَّةً بمثَــالِ

وجاء في لسان العرب في تفسير (هذا) "ها وألا حرفان يُفتتح بهما الكلام لا معنى لهما إلّا افتتاح الكلام ، تقول : هذا أخوك ، فها تنبيه وذا اسم المشار إليه وأخوك هو الخبر ، قال : وقال بعضهم ها تنبيه تفتتح العرب الكلام به بلا معنى سوى الافتتاح : ها إنّ ذا أخوك ، وألا إنّ ذا أخوك" [55] نلحظ أن قوله (ها إنّ ذا أخوك) أنّها للتنبيه ، ووضعت على أصلها. أمّا قوله (هذا أخوك) فلا تحتمل تنبيهًا، إنّما هو ضمن صيغة اسم الإشارة ، لكثرة اتصاله به ، لأنّ هاء التنبيه تكون افتتاحية ولها الصدر في الكلام، كما هو حاصل مع (ألا)، فلا يمكن تأخيره البتة فلا يكون تنبيها في قولنا (أخوك هذا). ويمكن الاستدلال على أنّها تتركب مع اسم الإشارة وتكون معه اسمًا واحدًا بقولنا: يا هذا، وأحرف النداء وظيفتها التنبيه والعرب يكرهون اجتماع حرفين في معنى واحد ، وهنا اجتمع الحرفان ، فلا بدّ من سلب التنبيه من أحدهما ، فأمّا الياء فهي لغرض النداء وما بعدها منادى، والتنبيه بها واجب ، لذاك فمن الأولى أن يكون التنبيه مسلوبًا من (هذا) لتتركب مع (ذا) اسم الإشارة ، ويعضد ذاك كثرة الاستعمال. وعلى أساس ما تقدم يمكن القول إنّ الهاء تكون تنبيهًا إذا ما أتت منفردة (غير متصل باسم الإشارة) سواء في بداية الكلام أم في وسطه ، نحو قول النابغة[56] :

ها، إنَّ ذي عِذْرَةٌ، إنْ لَمْ تَكُنْ نَفَعَتْ فَإنَّ صَاحِبَهـا مُشَــارِكُ النَّكَدِ

2/ الكاف :

يعد الكاف من لواحق أسماء الإشارة فيقال: ذاك وذلك و تيك وتلك و ذانك و تانك و أولئك وأولاك وأولالك، وهو عند اللغويين والنحويين حرف خطاب لا اسم، وليس له موضع إعراب [57]، وعلّلوه بامتناع وقوع الاسم الظاهر في موقعها[58]، قال سيبويه: "من زعم أنّ كاف ذاك اسم لم يكن له بد من أن يزعم أنّها مجرورة أو منصوبة فإن كانت منصوبة انبغى له أن يقول: (ذاك نفسَك زيد) إذا أراد الكاف، وينبغي له أن يقول إن كانت مجرورة (ذاك نفسِك زيد) وينبغي له أن يقول إنّ تاء أنت اسم ؛ وإنّما تاء أنت بمنزلة الكاف"[59] ونقل ابن منظور أنّ سيبويه ذكر أنّه لو كان لها حظ من الإعراب لقلت ذلك نفسِك زيد، وقد خطّأه ، وصرح بعدم إجازته ، وصوابه ذلك نفسُه، واللام للتوكيد ومثل له ذلك الحق وهذاك الحق[60]. واختاره ابن جني[61]، وبيّن بعض النحويين أن هذه الكاف تتصرف مع المخاطب في أحواله فتكون للمفرد والمثنى والجمع بنوعيه[62]. واستشهدوا بقوله تعالى ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ (سورة مريم/9)، ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (سورة آل عمران/47)، ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ (سورة يوسف/37)، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (سورة الزمر/6)، ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ (سورة يوسف/32) ويمكن الإتيان بالكاف مفتوحة في الأحوال كلها[63]، وفيه وجهان[64]:

- أنّه أقبل على خطاب الواحد من الجماعة لجلالته مع أنّ المراد الجميع.
- أنهم خوطبوا كلهم على معنى اسم مفرد يشملهم، فكأنّه قيل : يا جمع أو يا فريق[65]. ويبدو أنّ الإنسان مخيَّر في تصرف الكاف من عدمه ولا يقيده شرط إطلاقا؛ إذ إنّ ثمة دلالة بيانية تُستوحى من زيادة المبنى، وهذه الزيادة إنّما تُنبئ عن

تعظيم الأمر إذا جاءت مع اسم الإشارة فقولك: ذلك وذلكنَّ وذلكم بزيادة النون والميم فيها تشديد وتأكيد على الأمر. وهذا ما صرّح إليه د. فاضل السامرائي[66].

وذكر الرضي أنّها تختص بالمتوسط والغائب البعيد من دون القريب ؛ معلّلًا ذاك بأنّ الإشارة في الغالب للمحسوس الحاضر ، وإذا ما اتصل الكاف أخرجه من كونه مخاطبًا حاضرًا ، فلا يقال : ذاك قلت كذا ، بل يقال : ذاك قال كذا ، وقد يكون حاضرًا، فلما أوردت الكاف معنى الغيبة في اسم الإشارة صار مع الكاف بين الحضور والغيبة وهو حال المتوسط[67]. وصرح المبرد وابن السراج بأنّ الكاف حرف خطاب يومأ به إلى البعيد ؛ معلّلَيْن ذاك بالحاجة إلى تنبيه المخاطَب بالكاف[68]، يفهم من كلامهما أنّهما جعلا للكاف وظيفة ثالثة – وهي التنبيه – فضلا عن الخطاب والبعد. وقد سبقهما سيبويه إلى ذاك؛ إذ عدّ (ذاك) بمنزلة (هذا) إلّا أنّ (ذاك) عنده يفيد التنبيه لشيء متراخ[69]، إذ يقول: "وذاك بمنزلة هذا إلّا أنّك إذا قلت ذاك فأنت تنبه لشيء متراخ"[70]، وتمتنع الكاف حين الفصل بين الهاء واسم الإشارة[71]. وفسّر اللغويون (ذاك وذلك) بقولهم: "إذا بَعُدَ المشار إليه من المخاطَب وكان المخاطِب بعيدا ممن يشير إليه زادوا كافًا فقالوا ذلك أخوك"[72] فعدّوا الكاف لبعد المشار إليه، أمّا (ذلك) فعلّلوا زيادة اللام بشبه الكاف في (ذاك) بكاف (أخاك وعصاك) فجاءت اللام لأمن اللبس ، وذكروا أنّ اللام إذا دخلت ذهبت بمعنى الإضافة[73].

3/ اللام :

مثلما يلحق الكاف اسم الإشارة ، تعدّ اللام من لواحقه كذاك ، إلّا أنّه لا يأتي إلّا مع الكاف في اسم الإشارة غير المتصل بالهاء، فاللام والهاء يتعاقبان[74]، وذكر ابن منظور أنّه يجاء باللام لأمن اللبس بين كاف (ذاك) وكاف (أخاك وعصاك)[75]، كما تقدم آنفًا. ونقل الزجاجي وابن منظور أنّ اللام عند سيبويه مؤكّد[76]، وذكره غيره[77]. وذكر الزجاج أنّها زائدة للتوكيد والتكثير[78]، وأكّد الجوهري زيادتها للتكثير مع اسم الإشارة (ذلك)[79]، وجعلها عوضًا من الهاء مع (تلك)[80]، وعدّها بعضهم للبعد[81]، وصرح ابن السراج بزيادتها[82]، وكذا الزجاجي وذكر أنّه مذهب الفراء وجميع الكوفيين[83]، وجعله آخرون دالًا مع الكاف على البعد[84]، أو شدة البعد[85]، وذهب بعضهم إلى أنّ اتصال اسم الإشارة باللام والكاف أو بالكاف وحده إشارة للبعيد، وهم بهذا يخيرون المتكلم بوجود اللام من عدمه[86]. وقيل إنّه لا يخرج عن واحدة من ثلاث[87]: إمّا للبعد، أو عماد، أو عوض عن الهاء[88]. وثمة مواضع ثلاثة يمتنع فيها اللام ، وهي[89] :

1/ المثنى : يقال : ذانك ، تانك ، ولا يقال : ذان لك ، ولا تان لك .

2/ الجمع : ومنعوه في لغة من مدّ ، يقال : أولئك ولا يقال : أولاءلك ، وجوّزوه في لغة من قصر ، يقال : أولالك[90].

3/ إذا تقدمت عليه هاء التنبيه ، يقال : هذاك ، ولا يقال : هذالك ، ويعلل بكراهة كثرة الزوائد[91]، وعلله الرضي(686هـ) بأنّه لا ينبه العاقل أحدًا على ما لا يشاهَد[92]، وذكر السهيلي(581هـ) أنّ لزيادة الحروف في أسماء الإشارة دلالة، فتدل كثرة الحروف على أنّ مسافة الإشارة كبيرة، وتدل قلتها على قلة المسافة[93].

ويُستنتج ممّا تقدّم من عرضٍ للآراء والأمثلة أنّ هذه الحروف هي حروف إشارية اكتسبت الإشارة من كثرة استعمالها مع أسماء الإشارة فأصبحت معها بمنزلة الكلمة الواحدة ولا ينبغي للدارس تجزئتها ، أمّا من جهة القرب والبعد أنّ (هذا وهذه وهاتا وهذان وهاتان وهؤلاء) للقريب سواء أ اتصل الهاء بها أم لم يتصل، وأنّ (ذاك وذلك وأولئك) للبعيد بأنواعه ، والكاف هنا فيها دلالة على البعد فضلًا عن دلالة الخطاب ، أما اللام ففيها دلالة التعظيم.

ومثلما دخلت الهاء والكاف واللام على (ذا) تدخل كذاك على (هنا) فتكون (ههنا ، هناك ، هنالك) [94] ، إلّا أنّ الكاف معها لا يُثنّى ولا يُجمع ولا يُؤنث[95].

صيغة (كذا)

يرى بعض اللغويين أنّه اسم مبهم للكناية [96]، وعدّها بعضهم كلمتين[97]. جاء في العين: " كذا: كذا وكذا : الكاف فيها للتشبيه وذا إشارة " [98]. وذكر سيبويه أنّ الخليل (رحمه الله) قال: " كأنّهم قالوا : له كالعدد درهما،000. فهذا تمثيل وإن لم يتكلم به. وإنّما تجيء الكاف للتشبيه فتصير وما بعدها بمنزلة شيء واحد. من ذلك قولُك: كأنّ، أدخلتَ الكاف على (أنّ) للتشبيه"[99]. وذهب النحويون إلى أنّه مركب من كاف التشبيه واسم الإشارة (ذا) ، فهو في الأصل كلمتان، وحين التركيب تنازلا عن معنيهما – أي التشبيه والإشارة– واختصا بالكناية[100]. يقول الرضي: "وأما بناء (كذا) فلأنه في الأصل (ذا) المقصود به الإشارة، دخل عليه كاف التشبيه، وكان (ذا) مشارًا به إلى عدد معين في ذهن المتكلم، مبهم عند السامع، ثم صار المجموع بمعنى (كم)، وانمحى عن الجزأين معنى التشبيه، والإشارة، كما ذكرنا في: فاها لفيك، وأيدي سبا، فصار الكلمتان ككلمة واحدة، ولذا نقول: إن كذا مالك، يرفع (مالك) على أنّه خبر(إنّ) 000 وقد يكون لغير العدد، أيضا، نحو: قال فلان كذا"[101]. وسيبويه لم يعدّ (كذا) المفردة كنايةً، إنّما عدّ المكررة (كذا وكذا) كناية[102]، إذ يقول في باب: "وذلك قولك: له كذا وكذا درهما، وهو مبهمٌ في الأشياء بمنزلة كم، وهو كنايةٌ للعدد"[103]، غير أنّ بعض النحويين نفَوا أن يكون الكاف على بابه من التشبيه وعدّوه زائدًا وزيادته لازمة[104]. و(كذا) عند النحويين اسمٌ مبهمٌ بمنزلة (كم الخبرية)[105]. واستدلوا على صيرورتها كالجزء الواحد بعدم إضافتها، ولا توكيدها، ولا تأنيثها[106]، وغالبًا ما تكرر بالعطف(كذا وكذا)[107]، ومنه قول الشاعر[108]:

عِدِ النفسَ نُعمى بعد بُؤساك ذَاكِرًا كذا وكذا لُطفا به نُسي الْجُهْد

وقلّما يرد استعمالها مفردة (كذا) أو مكررة بلا واو (كذا كذا)[109]، ويتفق النحويون على كناية (كذا) عن العدد المفرد، و(كذا وكذا) عن العدد المعطوف، و(كذا كذا) عن العدد المركب.[110] وأكدوا أنّها دالة على التكثير[111]، وبعضهم أنكرها[112]. وذكر بعض النحويين أنّها ترد على ثلاثة أوجه[113] :

1/ أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما وهما كاف التشبيه و(ذا) الإشارية، وتدخل عليها هاء التنبيه ، نحو قوله تعالى على لسان النبي سليمان ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ (سورة النمل/42) .

2/ أن تكون كلمة واحدة مركبة كناية عن العدد.

3/ أن تكون كلمة واحدة للكناية عن غير العدد ، كما جاء في الحديث أنّه يقال للعبد: "عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا"[114].

ويبدو أنّه في استعمالها مفردة تجمع معنيين – التشبيه والإشارة –، أمّا إذا جاءت مكررة – معطوفة كانت أم غير معطوفة – فتكون بمنزلة كلمة واحدة غرضها الكناية . وترد هذه الكلمة مع اللام والكاف (كذلك) وهي في هذه الصورة تلازم حالة واحدة ، فتكون كلمتين أحداهما التشبيه (الكاف) والثانية اسم إشارة (ذلك) ومعناه (مثل ذلك)[115]، نحو قوله تعالى ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الشعراء/74)، أي: مثل ذلك الفعل، وغالبًا ما يكون المشار إليه محذوفًا أو سابقًا له[116]. وجعلها د. فاضل السامرائي في معنى (أيضًا) كقوله تعالى في سورة الدخان ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ ، والتقدير: وزوجناهم بحور عين أيضًا[117]. وأرى أنّها تأتي بمعنى (أيضًا) عندما تقع بعد الجملة لا قبلها، والدليل أنّ د. فاضل السامرائي –عند التقدير- جعلها في نهاية الجملة لا قبلها. ثمّ إنّ (أيضًا) لا تُستعمل إلّا مع شيئين بينهما توافق،

إذ يقول أبو البقاء الكفوي (1094هـ): "أَيْضا: مصدر (آض)، وَلَا يسْتَعْمل إِلَّا مَعَ شَيْئَيْنِ بَينهمَا توَافق وَيُمكن اسْتغْنَاء كل مِنْهُمَا عَن الآخر"[118]. وهذا لا يكون مع ما صرح به د. فاضل السامرائي. وذهب المفسرون في الآية المذكورة آنفًا إلى تقدير : الأمر كذلك ، أو كذلك يفعل بالمتقين ، أو آتيناهم مثل ذلك [119]، فالمعنى خالص للتشبيه.

الخلاصة

1. توصل البحث إلى عدّ الهاء المنفردة تكون تنبيهًا، أمّا الهاء المتصلة بأسماء الإشارة فقد انفرد البحث بعدِّها ضمن أسماء الإشارة وليس تنبيهًا للمخاطب كما ذهب إليه النحويون - قدماء ومحدثين- مستدلًا عليه بنداء اسم الإشارة ، نحو : يا هذا فالياء: حرف تنبيه والعرب تكره اجتماع حرفين بمعنى واحد ، وبهذا يكون الهاء من ضمن أسماء الإشارة ، وهي صيغ مرتجلة .

2. أسماء الإشارة صيغ جامدة وليست مشتقة، والصيغ الجامدة تؤخذ كما هي، ولا تجزأ، لذا نؤكد أن الهاء المذكورة مع أسماء الإشارة هي جزء ثابت وحذفها في مواضع قليلة له دلالة تتلاءم مع سياق النص.

3. توصل البحث إلى أنّ زيادة الحروف في اسم الإشارة تنبئ عن تعظيم المشار إليه وتشديده وتأكيده، فـ(اللام) تعدّ تعظيمًا للمشار إليه قريبًا كان أم بعيدًا، مشاهَدًا كان أم غائبًا محسوسًا كان أم معنويًا. والكاف دالة على الخطاب والبعد معًا وهو مذهب الجمهور. أما الميم والنون في قولك: (ذلكم وذلكنّ وذلكما) فهي للتشديد والتأكيد.

الهوامش:

(1) ينظر : الجمل في النحو : 266،وكتاب سيبويه : 354/2.

(2) ينظر : الجمل في النحو : 266 ، وشرح شذور الذهب : 173.

(3) ينظر :شرح التسهيل : 245/1، والجنى الداني: 346.

(4) ينظر : الجنى الداني : 347 ،همع الهوامع : 367/4، وجامع الدروس العربية : 128/1 ، 261/3 ،

(5) ينظر : الجنى الداني : 347 ، وجامع الدروس العربية : 128/1.

(6) ينظر : تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد : 329/2.

(7) شرح ديوان لبيد : 360.

(8) كتاب سيبويه : 354/2.

(9) ينظر : شرح التسهيل : 254/1.

(10) ينظر : شرح الرضي على الكافية : 345/4.

(11) ينظر : الجنى الداني : 347.

(12) ينظر : شرح المفصل : 245/3.

(13) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: 410، وشرح الأشموني: 124/1، وجامع الدروس العربية :128/1.

(14) ينظر : كتاب سيبويه : 354/2.

(15) ينظر : التبصرة والتذكرة :498/1.

(16) ينظر : كتاب سيبويه : 354/2.

(17) ينظر : شرح الكافية الشافية : 315/1.

(18) شرح الرضي على الكافية : 345/4

(19) ينظر : الجنى الداني: 347،ومغني اللبيب: 456،وشرح الأشموني: 125/1،وحاشية الصبان: 237/1.

(20)() ينظر :معاني القرآن (للفراء) : 231/1، معاني القرآن وإعرابه : 463/1 ، وارتشاف الضرب :977/2.

(21) معاني القرآن وإعرابه : 463/1.

(22) ينظر : الكشاف : 89-90.

(23) كتاب سيبويه : 212/2.

(24) لسان العرب (حرف الألف اللينة(ها)) : 475/15.

(25) ينظر : شرح الكافية الشافية : 865/2، واللمحة في شرح الملحة : 266/1، ومغني اللبيب : 456.

(26) ينظر المفصل في صنعة الإعراب : 409.

(27) ينظر : المصدر نفسه : 409، وشرح الرضي على الكافية: 386/2، وجامع الدروس العربية : 173/1.

(28) ديوانه : 37.

(29) شرح ديوان لبيد : 360. والبيت مذكور في : كتاب سيبويه : 354/2، وينظر : المعجم المفصل في شواهد العربية (فصل الياء المفتوحة) : 346/8.

(30) ينظر : الجنى الداني : 348 ، وارتشاف الضرب :977/2.

(31) لم أعثر على قائله ، والبيت مذكور في : الجنى الداني : 348 ، وارتشاف الضرب :977/2. وينظر : المعجم المفصل في شواهد العربية (فصل الراء المكسورة) : 465/3.

(32) ينظر : جامع الدروس العربية : 128/1.

(33) ينظر كتاب سيبويه : 499/3 ، والمقتضب : 323/2 ، والأصول في النحو : 1: 431-431.

(34) ديوانه : 44 .

(35) ينظر : كتاب سيبويه: 499/3، وتعليق الفرائد على تسهيل الفوائد: 331/2.

(36) ينظر : كتاب سيبويه : 499/3 .

(37) كتاب سيبويه : 499/3.

(38) التبيان في تفسير القرآن: 286/2.

(39) التبيان في تفسير القرآن: 66/10.

(40) ينظر : الجمل في النحو : 266، وشرح الكافية الشافية : 317/1، وشرح الرضي على الكافية : 381/2.

(41) ينظر : الصحاح (باب الألف اللينة(ذا)) : 2550-254/6.

(42) ينظر : النحو الوافي : 327/1.

(43) ديوانه :62.

(44) ينظر شرح الكافية الشافية : 317/1.

(45) ينظر : اللامات : 131/1، والصحاح (باب الألف اللينة(ها)) : 2557/6 واللباب في علل البناء والإعراب : 487/1.

(46) ينظر : شرح التسهيل : 244/1 ، وشرح الكافية الشافية : 318/1.والجنى الداني : 347.

(47) ينظر : شرح المفصل : 245/3.

(48) ينظر : الجمل في النحو : 266، وشرح التسهيل : 244/1، وارتشاف الضرب : 976/2، والجنى الداني : 246، وشرح قطر الندى: 100، وجامع الدروس العربية:128/1 والنحو الوافي :327/1.

(49) ينظر : اللامات : 131/1.

(50) ينظر : الجمل في النحو : 266.

(51) الجمل في النحو: 282-283.

(52) ينظر : شرح الرضي على الكافية : 381/2.

([53]) ينظر : المقتضب : 278/4.

([54]) ديوانه : 251 .

([55]) لسان العرب (حرف الألف اللينة(تفسير هذا)) : 453/15.

([56]) ديوانه : 37 .

([57]) ينظر : كتاب سيبويه : 488/3،332، 218/4،والمقتضب : 275/3، والأصول في النحو : 127/2.

([58]) ينظر : شرح الرضي على الكافية : 382/2.

([59]) كتاب سيبويه : 245/1.

([60]) ينظر : لسان العرب (حرف الألف اللينة -تفسير ذاك وذلك) : 453/15.

([61]) ينظر : الخصائص : 429.

([62]) ينظر : المفصل في صنعة الإعراب : 181، وشرح الكافية الشافية : 316/1.

([63]) ينظر : ارتشاف الضرب : 978/2، والجنى الداني : 92، وتعليق الفرائد على تسهيل الفوائد : 333/2.

([64]) ينظر : تعليق الفرائد على تسهيل الفرائد : 333/2.

([65]) ينظر : ارتشاف الضرب : 978/2، والجنى الداني : 92، وتوضيح المقاصد : 411/1.

([66]) ينظر : معاني النحو : 97-98.

([67]) ينظر : شرح الرضي على الكافية : 382/2.

([68]) ينظر : المقتضب : 275/3،والأصول في النحو : 127/2.

([69]) ينظر : كتاب سيبويه : 78/2.

([70]) المصدر نفسه : 78/2.

([71]) ينظر : النحو الوافي : 327/1.

([72]) لسان العرب (حرف الألف اللينة -تفسير ذاك وذلك) : 452/15.

([73]) ينظر : المصدر نفسه (حرف الألف اللينة -تفسير ذاك وذلك) : 452/15.

([74]) ينظر : اللامات : 132، وشرح الرضي على الكافية : 381/2.

([75]) ينظر : لسان العرب (حرف الألف اللينة -تفسير ذاك وذلك) : 452/15.

([76]) ينظر : اللامات : 131 لسان العرب (حرف الألف اللينة -تفسير ذاك وذلك) : 453/15.

([77]) ينظر : نتائج الفكر في النحو : 178،وتوضيح المقاصد : 1548/3.

([78]) ينظر :ما ينصرف وما لا ينصرف : 79.

([79]) ينظر : الصحاح (ذا) : 2550/6.

([80]) ينظر : المصدر نفسه : (تا) : 2548/6.

([81]) ينظر : شرح الرضي على الكافية : 382/2، وارتشاف الضرب :976/2، والنحو الوافي : 324/1.

([82]) ينظر : الأصول في النحو : 127/2.

([83]) ينظر : اللامات : 131.

([84]) ينظر : توضيح المقاصد : 409/1، والنحو الوافي: 124/1.

([85]) ينظر :النحو المصفى : 136.

([86]) ينظر : شرح الرضي على الكافية : 384/2، وشرح شذور الذهب : 173.

([87]) ينظر : وتوضيح المقاصد : 411/1.

([88]) ينظر : اللباب في علل البناء والإعراب : 487/1.

([89]) ينظر : شرح شذور الذهب : 173-174.

([90]) ينظر : اللامات : 131، وتوضيح المقاصد : 409/1.

([91]) ينظر : شرح الأشموني : 122/1.

([92]) ينظر : شرح الرضي على الكافية : 381/2.

([93]) ينظر : نتائج الفكر في النحو : 178.

([94]) ينظر : المفصل في صنعة الإعراب : 181/1،وشرح الكافية الشافية : 318/1،وارتشاف الضرب :982/2.

([95]) ينظر : ارتشاف الضرب :982/2.

([96]) ينظر : الصحاح : (باب الألف اللينة (لا)) 2553/6 ، ولسان العرب (حرف الألف اللينة(كذا)) : 464/15.

([97]) ينظر: العين (باب الكاف والذال و(واياء)) :398/5، وتهذيب اللغة (باب الكاف والظاء) :184/10.

([98]) العين : (باب الكاف والذال و(واياء)) :398/5.

([99]) كتاب سيبويه :171/2.

([100]) ينظر : شرح الكافية الشافية : 1713/4، وهمع الهوامع : 390/4.

([101]) شرح الرضي على الكافية :

([102]) ينظر : كتاب سيبويه : 170/2.

([103]) المصدر نفسه : 170/2.

([104]) ينظر : سر صناعة الإعراب : 303، وشرح المفصل : 204/4.

([105]) ينظر : كتاب سيبويه : 170/2 ،وشرح المفصل : 204/4، وشرح الرضي على الكافية : 123/3-124، وتوضيح المقاصد : 1342/3.

([106]) ينظر : سر صناعة الإعراب : 303، وشرح المفصل : 204/4 .

([107]) ينظر : توضيح المقاصد : 1343/3، ومغني اللبيب : 248/1.

([108]) لم أعثر على قائله ، والبيت بلا نسبة في : مغني اللبيب : 248/1، وهمع الهوامع : 390/4. وينظر : المعجم المفصل في شواهد العربية (فصل الدال المضمومة) : 276/2.

([109]) ينظر : توضيح المقاصد : 1343/3.

([110]) ينظر : توضيح المقاصد : 1344/3،ومغني اللبيب : 248/1.

([111]) ينظر : سر صناعة الإعراب :203/1-304، وشرح التسهيل : 422/2،وشرح الكافية الشافية : 1710/4.

([112]) ينظر : توضيح المقاصد : 1343/3.

([113]) ينظر : ارتشاف الضرب : 794/2، ومغني اللبيب : 247/1-248.

([114]) المسند الصحيح(باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، 314):177/1،وسنن الترمذي(باب منه ،2596):713/4.

([115]) ينظر : الكشاف : 396/1 ، 2/ 361.

([116]) ينظر :معاني النحو : 100/1.

([117]) ينظر : المصدر نفسه : 100/1.

([118]) الكليات (فصل الألف والياء) : 224.

([119]) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : 137/4، والكشاف : 477/5-478، ومفاتيح الغيب : 228/27.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(745هـ)، تح: د. رجب عثمان محمد ، مراجعة : د. رمضان عبد التواب ،ط1، مكتبة الخانجي- القاهرة، 1998م.

الأصول في النحو : أبو بكر ، محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (316هـ) ، تح: د.عبد الحسين الفتلي ، ط4 ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، 1999م.

إعراب القرآن : أبو جعفر ، أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس(338هـ)، تح: د. زهير غازي زاهد ، ط2، عالم الكتب – القاهرة ، 1985م.

تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد: الشيخ محمد بدر الدين بن أبي بكر بن عمر الدماميني (827هـ)، تح : د. محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى ، ط1، 1983م.

تهذيب اللغة : أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري الهروي(370هـ) ، تح: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي –بيروت ، 2001م.

توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك : أبو محمد، بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي(749هـ)، تح: عبد الرحمن علي سليمان ، ط1، دار الفكر – القاهرة ، 2008م.

جامع الدروس العربية : مصطفى بن محمد الغلاييني(1364هـ)، ط28، المكتبة العصرية– بيروت ، 1993م.

الجمل في النحو : أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (175هـ) ، تح: فخر الدين قباوة ، ط1، مؤسسة الرسالة – بيروت ،1985م.

الجنى الداني في حروف المعاني : أبو محمد ، بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي، ح: د.فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل ، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1992م.

الخصائص : أبو الفتح ، عثمان بن جني (392هـ) ، تح : محمد علي النجار ، ط2، عالم الكتب- بيروت ، 2010م.

ديوان الأعشى : شرح : د. يوسف شكري فرحات ، دار الجيل – بيروت ، 2005.

ديوان النابغة الذبياني : تح : كرم البستاني ، د.ط ، دار صادر- بيروت، د.ت .

سر صناعة الإعراب : أبو الفتح ، عثمان بن جني، تح: د. حسن هنداوي، ط2، دار القلم– دمشق ، 1993م.

شرح الأشموني لألفية ابن مالك : أبو الحسن نور الدين، علي بن محمد بن عيسى الأشموني الشافعي(900هـ) ، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: حسن حمد ، إشراف: د. إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1998م.

شرح التسهيل : جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجيّاني الاندلسي ، ابن مالك، تح : عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون ، ط1، دار هجر – القاهرة، 1990م.

شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: تح: د. إحسان عباس، د.ط، مطبعة الكويت- الكويت، 1962م.

شرح الرضي المعروف شرح كافية ابن الحاجب : رضي الدين الاستراباذي(686هـ) ،تح: يوسف حسن عمر ، ط1، مكتبة بارسا – طهران ، 2010م.

شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : أبو محمد ، عبد الله بن يوف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف ، جمال الدين بن هشام ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع- القاهرة، 2004م.

شرح الكافية الشافية : أبو عبد لله جمال الدين محمد بن عبد الله بن ماك الطائي الجيّاني، تح: عبد المنعم أحمد هريدي ، ط1، دار المأمون – الرياض، د.ت .

شرح المفصل : موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (643هـ) ، تح : أ.د إبراهيم محمد عبد الله ، ط1، دار سعد الدين – القاهرة ، 2013م.

الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : أبو نصر ، اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (393هـ)، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، ط4، دار العلم للملايين- بيروت ،1987م.

العين : أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، مكتبة الهلال- بيروت، د.ت.

كتاب سيبويه : أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي الملقب بسيبويه(180هـ) ، تح: عبد السلام هارون ، ط3، مكتبة الخانجي – القاهرة ، 1988م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم ، جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (538هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط1، مكتبة العبيكان – الرياض، 1998م.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي(1094هـ)، تح: عدنان درويش ومحمد المصري ، ط2، مؤسسة الرسالة- بيروت ، 1998م.

اللامات : أبو القاسم ، عبد الرحمن بن اسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، تح: د. مازن المبارك ، ط2، دار الفكر – دمشق ، 1985م.

اللباب في علل البناء والإعراب : أبو البقاء ، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين، تح: عبد الإله النبهان ، ط1، دار الفكر – دمشق ، 1995م.

لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين بن منظور الأنصاري (711هـ)، ط3، دار صادر- بيروت ، 1414هـ.

ما ينصرف وما لا ينصرف : أبو اسحاق الزجاج(311هـ) ، تح: هدى محمود قراعة، د.ط ، الأهرام- القاهرة ، 1971م.

معاني النحو : د. فاضل صالح السامرائي، ط5، دار الفكر- عمّان ، 2011م.

المعجم المفصل في شواهد العربية: د. إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية- بيروت، 1996م.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : أبو محمد ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف ، جمال الدين بن هشام، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط6، دار الفكر- دمشق ، 1985م.

مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير : أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(606هـ)، إشراف: مكتب التوثيق والدراسات، ط1، دار الفكر- بيروت ، 2005م.

المفصل في صنعة الإعراب : أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، تح: د. علي بو ملحم ، ط3، مكتبة الهلال- بيروت ، 1993م.

المقتضب : أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي المعروف بالمبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة ، ط3، الأهرام- القاهرة ، 1994.

نتائج الفكر في النحو : أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي(581هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض،ط1، دار الكتب العلمية- بيروت،1992م.

النحو المصفى : محمد عيد، د.ط ، عالم الكتب- القاهرة، 2005م.

النحو الوافي : عباس حسن ، ط4، دار المعارف- القاهرة، 1973م.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : الإمام جلال الدين السيوطي، تح: عبد العال سالم مكرم، ط1، مؤسسة الرسالة- بيروت ، ودار البحوث العلمية- الكويت ، 1992م.

دور القيادة الروحية في تحسين الخدمات التأمينية / دراسة تحليلية

The Role of Spiritual Leadership in Improving Insurance Services / An Analytical Study

نور علي سلمان[1]

مها صباح إبراهيم[2]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract

This research aims to demonstrate the role of spiritual leadership, the independent variable, across its dimensions (vision, hope, altruism, meaning, and membership), in the dependent variable (insurance services). The importance of the research lies in employing these variables and dimensions to serve the future of insurance companies, which suffer from deficiencies in implementing the dimensions related to improving customer service and achieving customer happiness. Accordingly, the research problem was defined by the main question: What role can spiritual leadership play in improving insurance services at the Iraqi General Insurance Company? A descriptive analytical approach was adopted. To achieve the research objectives and answer the questions, data was analyzed based on the company's financial statements for the period 2019-2022. The research reached a set of conclusions, the most important of which was that the spiritual leadership variable improves the insurance services provided to customers if the company applies and adheres to the dimensions of spiritual leadership.

keywords: *Spiritual Leadership, Insurance Services, Insurance Company.*

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان دور القيادة الروحية المتغير المستقل عبر أبعادها) الرؤية، الأمل، حب الإيثار، المعنى، العضوية) في المتغير التابع (الخدمات التأمينية (، وتمثلت أهمية البحث في توظيف هذه المتغيرات والأبعاد لخدمة مستقبل شركات التأمين، والتي تعاني من قصور في تطبيق الأبعاد الخاصة بتحسين خدمة الزبائن وتحقيق البهجة لهم، وعليه تحددت مشكلة البحث بالتساؤل الرئيس ما الدور الذي يمكن أن تؤديه القيادة الروحية في تحسين الخدمات التأمينية في شركة التأمين العراقية العامة مكاناً للتطبيق، وتم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، ومن أجل تحقيق أهداف البحث والإجابة عن التساؤلات، تم تحليل البيانات بالاعتماد على البيانات المالية للشركة للمدة من 2019-2022، وتوصل البحث لمجموعة من الاستنتاجات كان أهمها أن متغير القيادة الروحية يحسن من الخدمات التأمينية المقدمة للزبائن إذا ما طبقت والتزمت الشركة بأبعاد القيادة الروحية.

الكلمات المفتاحية: القيادة الروحية، الخدمات التأمينية، شركة التأمين.

http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2-3

[1] Lect. Noor Ali SALMAN, Higher Institute of Accounting and Financial Studies, University of Baghdad, Iraq noor@pgiafs.uobaghdad.edu.iq

[2] Assist. Prof. Dr. Maha Sabah IBRAHIM, Higher Institute of Accounting and Financial Studies, University of Baghdad, Iraq maha.sb@pgiafs.uobaghdad.edu.iq

المبحث الأول: منهجية البحث

أولاً: مشكلة البحث: تسعى شركات التأمين لتحسين أدائها ورفع كفاءتها الإنتاجية ولعناصرها المنتجة كافة، وتحقيق أعلى ربح ممكن، إذ يُعد قطاع التأمين من أهم القطاعات الخدمة التي تساعد على زيادة التنمية الاقتصادية، ولكن هناك بعض جوانب القصور في السلوكيات التي يمكن أن تعتمدها الإدارات العليا مع العاملين والزبائن من أجل مواكبة التطورات والتغيرات التي تحيط بالشركة، وهذا يتطلب وجود قيادة إدارية قادرة على مواجهة هذه التحديات والتطورات ولديها الكفاءة لإدارة الشركة وفق المبادئ والقيم الأخلاقية والتي تنعكس على بيئة العمل وبالتالي تحسين خدماتها المقدمة، من هنا برزت مشكلة البحث انطلاقاً من الدور الذي يمكن أن تمارسه القيادة الروحية والمتمثلة بـ (الرؤية، الأمل، حب الإيثار، المعنى، العضوية) في تحسين الخدمات التأمينية للشركة المبحوثة. ولهذا يمكن تحديد مشكلة البحث بالتساؤل الرئيس الآتي: هل يوجد دور للقيادة الروحية في تحسين الخدمات التأمينية للشركة المبحوثة؟

ثانياً: أهمية البحث: تتحدد أهمية البحث بالآتي:

1. حداثة موضوع (القيادة الروحية) ومحدودية الدراسات التي تناولتهُ، كونه من المفاهيم الحديثة، مما يجعلهُ مصدراً معرفياً ذا قيمة للباحثين والمختصين ومحفزاً لإجراء المزيد من البحوث لإثراء هذا الموضوع.
2. تزويد المسؤولين في الشركة المبحوثة لفهم وإدراك الدور الكبير الذي يمكن أن تمارسه القيادة الروحية لتحسين إنتاجية الشركة عبر زيادة المعرفة بالخدمة التأمينية ومنافعها ومميزاتها وبما ينعكس على الأداء العام للشركة.

ثالثاً: أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

1. التعرف على مستوى تطبيق القيادة الروحية في الشركة المبحوثة.
2. بيان دور القيادة الروحية في تحسين إنتاجية الشركة المبحوثة عبر خدماتها.

رابعاً: المخطط الفرضي للبحث:

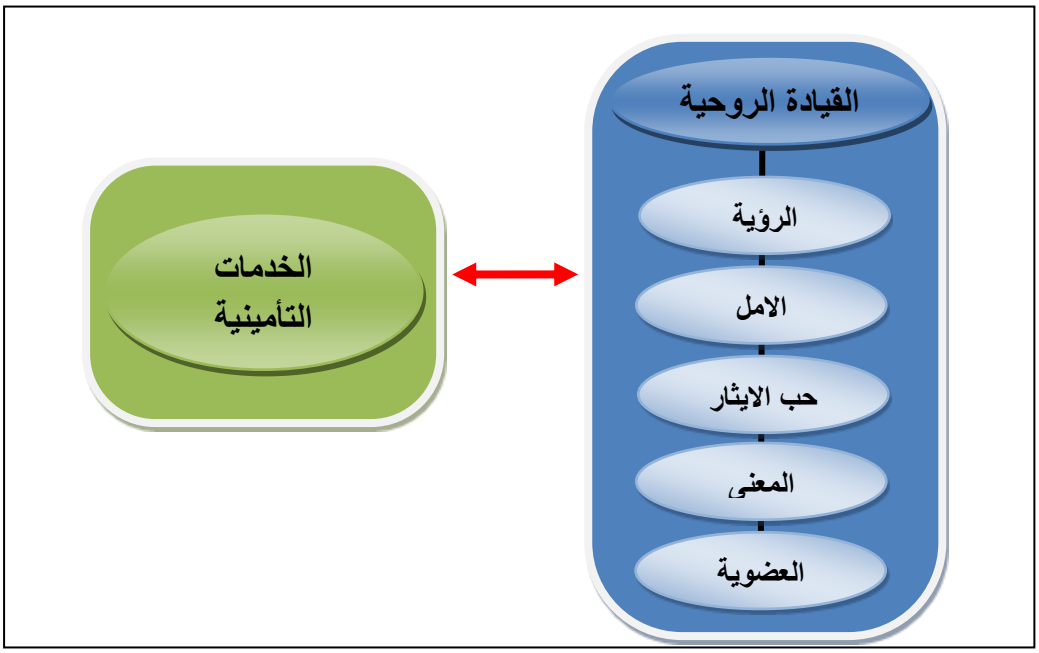

الشكل (1) المخطط الفرضي للبحث

المصدر: إعداد الباحثتان

خامساً: منهج البحث: اعتمد البحث الحالي على المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف البحث، وبالاعتماد على التقارير المالية السنوية، وفي ضوء ذلك تم جمع البيانات والمعلومات وتحليلها.

سادساً: حدود البحث: تتمثل حدود البحث بالآتي:

الحدود المكانية: تمثلت بشركة التأمين العراقية العامة، والواقعة ضمن الرقعة الجغرافية لمحافظة بغداد.

الحدود الزمانية: تمثلت مدة إنجاز البحث من (2025/1/19) إلى .(5/6/2025)

سابعاً: موقع إجراء البحث: تعد شركة التأمين العراقية العامة أحد شركات التمويل الذاتي التابعة لوزارة المالية، تأسست في 1959/10/14 بالاستناد إلى قانون الشركات رقم (31) لعام 1957 في بغداد كشركة أهلية، وخضعت لقانون التأميم في عام 1964، وتخصصت بأعمال التأمين على الحياة، فأصبحت أول وأكبر شركة عربية متخصصة بأعمال التأمين على الحياة، وفي عام 1988 صدر قرار (92) الذي يقضي بإلغاء التخصيص والسماح للشركة بمزاولة أعمال التأمين المختلفة، فضلاً عن التأمين على الحياة.

تهدف الشركة إلى توافر الحماية التأمينية للثروات البشرية والمادية وتلبية احتياجات زبائنها الحاليينّ وتوقعاتهم المستقبلية، والعمل على إبقاء الشركة في المقدمة والمحافظة على مركزها في السوق التأميني، والمساهمة في التنمية الاقتصادية من خلال نشر الوعي التأميني بين أفراد المجتمع، فضلاً عن السعي باستمرار إلى تطوير الأنشطة التأمينية من خلال تنمية وإدامة المحافظ التأمينية والاستثمار الصحيح والناجح للموارد.

ثامناً: وسائل جمع البيانات والمعلومات:

1. **الجانب النظري:** تم الاعتماد على المصادر من الكتب والرسائل والأطاريح والدوريات والبحوث المتوافرة في مكتبات الجامعات ومواقع شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).
2. **الجانب العملي:** الوثائق الرسمية والمتمثلة بالقوائم المالية، والتقارير السنوية الصادرة عن شركة التأمين العراقية وللسنوات.(2019-2022)

المبحث الثاني: الجانب النظري للبحث

أولاً: تعريف القيادة الروحية:

تشير القيادة الروحية إلى استخدام القيم والمعاني الروحية في تحفيز العاملين، وخلق بيئة عمل قائمة على الرؤية المشتركة والرحمة والإنصاف، وقد عرّفها (Fry) بأنها "قدرة القائد على تكوين رؤية قائمة على الإيمان والأمل، وتعزيز الشعور بالانتماء والمعنى، عبر ممارسة قيم قائمة على المحبة والرحمة والنزاهة (Fry, 2003:695) وقد توسع المفهوم لاحقاً ليشمل تعزيز الاستدامة والتكامل الأخلاقي داخل الشركة (Benefiel & Geigle, 2014) 176 :ويرى (389: 2012 (Chen & Yang,أن القيادة الروحية تسهم في خلق بيئة عمل قائمة على المعنى والمحبة والأمل، مما يؤدي إلى تحفيز داخلي مستدام لدى العاملين، كما أشار (Sundarakani & Ali,2021:2567) إلى أن القيادة الروحية تمثل أسلوباً قيادياً قائمًا على القيم الروحية والرفاه النفسي، يدمج بين الأداء المؤسسي ورضا الموظفين الداخلي.

ثانياً: أهمية القيادة الروحية:

تُعد القيادة الروحية أحد الاتجاهات المعاصرة في الفكر القيادي، إذ تركز على إلهام الأفراد من خلال تعزيز القيم الروحية مثل الأمانة، والإخلاص، والرحمة، والهدف المشترك. وتبرز أهميتها في قدرتها على خلق بيئة عمل إنسانية ذات

مغزى، مما يؤدي إلى زيادة الالتزام الوظيفي، وتحسين الأداء، وتقوية العلاقات داخل الشركة. كما تساعد في بناء ثقافة مؤسسية إيجابية تقوم على الثقة والمعنى، وهو ما يُعد ضرورياً في عالم الأعمال الحديث الذي يواجه ضغوطاً متزايدة وتحديات أخلاقية معقدة(Fry, 2003:707) ، وتُظهر الدراسات الحديثة أن القيادة الروحية تعزز الالتزام التنظيمي والروح المعنوية في بيئة العمل، مما يؤدي إلى زيادة الولاء التنظيمي وتحسين الأداء الوظيفي (Astakoni et al., 2022:625)، فهي تعزز السلوكيات الإيجابية لدى الموظفين، مثل التعاون والمبادرة، مما ينعكس إيجابيًا على جودة الخدمة المقدمة للعملاء في قطاع التأمين.(Utama et al., 2023:420) ، فضلاً عن أنها تُسهم في بناء بيئة عمل مستدامة من خلال تعزيز القيم الأخلاقية والروحية، مما يؤدي إلى تحسين رفاهية الموظفين وزيادة رضاهم الوظيفي (Ronthy, 2020:15).

ثالثاً: مميزات القيادة الروحية:

إن لامتلاك منظمات الأعمال القيادة الروحية يمكنها من تحقيق العديد من المزايا أهمها:

1. تعزيز الالتزام التنظيمي من خلال توفير بيئة عمل ذات معنى، مما يزيد من ارتباط الموظفين بالمنظمة، ويقلل من معدلات الدوران الوظيفي.(Khan & Mahmud, 2024: 5)
2. رفع الأداء الوظيفي من خلال تعزيز الدافع الداخلي لدى الموظفين، مما يؤدي إلى تحسين الإنتاجية والابتكار Zhang & Yang, 2020: 12).).
3. بناء ثقافة مؤسسية قائمة على القيم كالصدق والرحمة والإخلاص داخل المنظمة، مما يخلق بيئة عمل إيجابية تدعم النزاهة والشفافية..(Reave, 2005:663)
4. زيادة رضا الموظفين فالتركيز على الجوانب الروحية في القيادة يُحسن من رضا الموظفين، ويقلل من التوتر النفسي، مما ينعكس إيجابًا على جودة الحياة الوظيفية..(Ronthy, 2020:15)
5. تعزيز الابتكار والإبداع واستكشاف أفكار جديدة، مما يُعزز من قدراتهم الإبداعية، ويُسهم في تطوير المنظمة (Chen & Yang, 2012: 389)..
6. تحسين العلاقات داخل المنظمة وزيادة روح التعاون والاحترام المتبادل بين الأفراد، مما يؤدي إلى انسجام الفرق وتقليل الصراعات الداخلية..(Reave, 2005:667)
7. تحقيق الاستدامة المؤسسية من خلال التركيز على المعنى والمبادئ، تُسهم القيادة الروحية في توجيه المنظمة نحو ممارسات مسؤولة اجتماعيًا وأخلاقيًا، مما يُعزز من استدامتها على المدى الطويل (Ronthy, 2020:17)..

رابعاً: إبعاد القيادة الروحية: وتمثلت بالآتي:

1. الرؤية: تشير إلى قدرة القائد على صياغة هدف مستقبلي مشترك ومُلهم يتجاوز الغايات المادية، ويرتبط بالقيم العليا والمعاني الأخلاقية. وهي تُعزز شعور الأفراد بأنهم يسهمون في قضية إنسانية ذات مغزى "الرؤية الروحية تُساعد في تحفيز العاملين من خلال ربطهم بمستقبل مشترك يحمل قيمة إنسانية.(Fry, 2003:705)
2. الإيمان/الأمل: يتمثل في إيمان القائد، ويقينه بأن الأهداف قابلة للتحقق، حتى في ظل التحديات، ويقوم بنقل هذا اليقين إلى العاملين. الإيمان هنا لا يُفهم بمعناه الديني، بل كقوة نفسية إيجابية تعزز الثقة بالمستقبل أما الأمل هو الدافع الخفي الذي يُمكّن الأفراد من الاستمرار رغم العقبات، ويمنحهم القوة لتجاوز الإحباط.(Reave, 2005,: 664)

3. حب الإيثار: ويعني إظهار الرحمة، التسامح، العدالة، والاحترام في جميع التفاعلات داخل الشركة. القائد الروحي يُعامل موظفيه وزبائنه بإنسانية عالية، ويشجع على بيئة عمل قائمة على الاحترام والثقة المتبادلة "المحبة الإنسانية في القيادة تُعزز الانتماء، وتقلل الصراعات، وتخلق ثقافة عمل متماسكة (Jurkiewicz & Giacalone, 2004: 131)".

4. المعنى: يتعلق هذا البعد بشعور الفرد بأن عمله له قيمة ورسالة، وأنه جزء من هدف أكبر يخدم الآخرين. القائد الروحي يُشجع العاملين على النظر إلى وظائفهم كأدوار هادفة، وليس فقط كمصدر دخل. فالمعنى هو ما يجعل الأفراد يلتزمون طوعاً بالعمل، لأنه يتوافق مع قيمهم الشخصية.(Petchsawang & Duchon, 2009: 462) "

5. العضوية: هي المبادئ التي تحكم سلوك الشركة، وتشمل الأمانة، العدالة، الشفافية، الرحمة، وخدمة الآخرين. القائد الروحي يسعى لترسيخ هذه القيم داخل الشركة، بحيث تُصبح جزءًا من ثقافتها. "بدون قيم روحية راسخة، لا يمكن للقيادة الروحية أن تتحول إلى ثقافة مؤسسية حقيقية.(Benefiel & Geigle, 2014: 182) "

خامساً: الخدمات التأمينية:

تشير الخدمات التأمينية إلى مجموعة الأنشطة التي تقدمها شركات التأمين بغرض توفير الحماية المالية ضد المخاطر المحتملة التي يتعرض لها الأفراد أو المؤسسات، مقابل دفع قسط تأميني معين، فالخدمة التأمينية "تعهد تقدمه شركة التأمين بتعويض المؤمن له عن الخسائر المحتملة الناجمة عن خطر معين، وفقاً لشروط العقد، مقابل أقساط محددة تُدفع بشكل دوري(Rejda & McNamara, 2021: 32)"، كما يعرّفها Skipper & Kwon (2007) بأنها" أداة لتحويل المخاطر من الفرد أو الشركة إلى شركة التأمين مقابل تكلفة محددة، بهدف تحقيق الأمن المالي وتقليل عدم اليقين.(Skipper & Kwon, 2007: 15) .

سادساً: أهمية الخدمة التأمينية: يمكن تلخيص أهمية الخدمة التأمينية بالآتي:

1. توفير الحماية المالية فهي تساعد الأفراد والشركات على تعويض الخسائر المحتملة الناتجة عن المخاطر غير المتوقعة مثل الحوادث، الكوارث، أو الأمراض، مما يقلل من العبء المالي المفاجئ عليهم (Rejda & McNamara, 2021: 17)..

2. تشجيع الاستثمار والنمو الاقتصادي، فعندما يحصل المستثمرون والشركات على تغطية تأمينية مناسبة، فإنهم يكونون أكثر استعدادًا لتحمّل المخاطر، مما يُسهم في تعزيز روح المبادرة وتوسيع المشاريع الاقتصادية (Skipper & Kwon, 2007: 54)..

3. تعزيز الاستقرار الاجتماعي خاصة في مجالات الحياة والصحة، تضمن الحد الأدنى من الدخل والرعاية للفئات الأكثر عرضة للخطر، مما يعزز العدالة الاجتماعية والتضامن المجتمعي..(Dickson & Waters, 2020:33)

4. دعم استدامة الأعمال والمؤسسات فالتأمين يقلل من أثر المخاطر التشغيلية على أداء الشركات، ويُسهم في استمرارية العمل حتى في حال وقوع حوادث أو خسائر كبيرة، مثل الحريق أو السرقة أو المسؤولية القانونية (Rejda & McNamara, 2021:89)..

5. توفير مصادر تمويل غير مباشرة إذ تستثمر شركات التأمين أقساط التأمين المحصّلة في مشاريع اقتصادية، وبالتالي تساهم في تحريك عجلة التنمية من خلال تمويل الأنشطة الصناعية والتجارية والبنى التحتية (Skipper & Kwon, 2007: 60)..

6. تعزيز الثقة في التعاملات توفر الخدمات التأمينية بيئة آمنة للأنشطة التجارية والعقود والمعاملات المختلفة، مما يعزز ثقة الأطراف المتعاملة، ويقلل من مخاوف المخاطر القانونية أو المادية.

7. دعم جهود الدولة في إدارة المخاطر العامة تُعد التأمينات أداة مساعدة للدولة في إدارة الكوارث الطبيعية والمخاطر العامة مثل الأوبئة أو الفيضانات، من خلال التوزيع العادل للخسائر وتحقيق الاستجابة السريعة.

المبحث الثالث: الجانب العملي

سيتم عرض وتحليل البيانات المالية للشركة المبحوثة وللمدة من (2019-2022) وهي تعتبر أداة قوية تعكس واقع الشركة، وتقدم نظرة شاملة عن صحة الشركة المالية وقدرتها على تحقيق الإيرادات، ووفق الفقرات الآتية:

1. الأَهمية النسبية لإيرادات النشاط التأميني: يقيس هذا المؤشر أهمية إيرادات النشاط التأميني بالنسبة لإجمالي إيرادات الشركة المبحوثة، إذ يتضح من الجدول (1)، انخفاض الإيرادات الواردة عن عمليات الإعادة، والإيرادات المتحققة عن النشاط الاستثماري ، إذ بدأت نسبة إيرادات النشاط التأميني إلى إيرادات النشاط الجاري تصاعدية، إذ بلغت نسبة (94%) خلال سنة 2021، ثم انخفضت بشكل طفيف خلال سنة 2019 و2020 وبنسبة (93%) ناتجة عن انخفاض إنتاجية بعض المحافظ التأمينية، ثم انخفضت في سنة 2022 لتحقق نسبة (88%) بالرغم من ارتفاع الإيرادات التأمينية نتيجة لارتفاع إيرادات الاستثمار، وإيرادات عمليات الإعادة.

الجدول (1) الأَهمية النسبية لإيرادات النشاط التأميني للمدة(2019-2022)

التفاصيل	2019	2020	2021	2022
إيرادات النشاط الجاري	75684976	66738753	111784939	136948127
إيرادات النشاط التأميني	70228692	61796928	105557287	120496294
الأَهمية النسبية لإيرادات النشاط التأميني	%93	%93	%94	%88

المصدر: إعداد الباحثتان بالإعتماد على القوائم المالية.

2. الاقساط المتحققة والمخططة: بينت الشركة ان عملية تحديد الأقساط المخططة يتم من قبل لجنة مكونة من المدير العام وبعض مسؤولي الأقسام المعنية، وبناءً على ما حققته الشركة من أقساط فعلية للسنة السابقة، إذ بلغت أعلى نسبة تحقق لخطة الإنتاج في سنة 2022 وبنسبة (165%)، وأدنى نسبة تحقق بلغت في سنة 2020 وبنسبة (97%). فبلغت الأقساط المتحققة ذروتها بالزيادة خلال سنة 2022 بمبلغ (120496294) ألف دينار وبنسبة تطور (14%) عن السنة السابقة، ناتجة عن زيادة نشاط عدد من المحافظ التأمينية كـ (محفظة التأمين الهندسي، ومحفظة التأمين البحري/بضائع، ومحفظة التأمين ضد الحريق، ومحفظة الحوادث العامة)، وأدنى أقساط متحققة في سنة 2020 وبمبلغ (61796928) ألف دينار وبنسبة تطور (-12%) وذلك بسبب تأثير جائحة كورنا والحضر الشامل الذي أدى إلى توقف أنشطة الشركة، وكما يتضح من الجدول (2)،

الجدول (2) الأقساط المخططة والمتحققة

التفاصيل	2019	2020	2021	2022
الأقساط المخططة	62000000	64000000	61000000	73000000
الأقساط المتحققة	70228692	61796928	105557287	120496294
نسب تحقق خطة الإنتاج	%113	%97	%173	%165
نسب التطور الإنتاج	%13-	%12-	%71	%14

المصدر: من إعداد الباحثتان بالإعتماد على القوائم المالية والتقارير السنوية.

3. صافي الربح: بلغ صافي الربح المتحقق ذروته بالزيادة في سنة 2022 بمبلغ (12049241) ألف دينار وبنسبة تطور (10%) عن السنة السابقة ناتجة عن ارتفاع إيرادات النشاط الجاري (إيراد العمليات التأمينية، وإيراد الاستثمار) مقارنة بنفقاته، في حين بلغ أدنى صافي ربح متحقق في سنة 2020 وبمبلغ (8392005) ألف دينار وبنسبة تطور (-16%) ناتجة عن انخفاض الإيرادات والذي أدى بدوره إلى انخفاض الأداء المالي للشركة. فضلاً عن تجاوز صافي الربح المتحقق عما خطط له، إذ بلغت أعلى نسبة له في سنة 2018 وبنسبة (214%)، وهو مؤشراً إيجابيا ينعكس على أداء الشركة من خلال مساهمته في تحسين الكفاءة التشغيلية وتعزيز إستراتيجيات التسويق، وأدنى نسبة بلغت (100%) في سنة 2020 إلا أنها تبقى ضمن النسبة المخطط لها من الشركة. وتذبذب نسب صافي الربح المتحقق للأقساط، إذ بلغت ذروتها بالزيادة في سنة 2019 و2020 وبنسبة (14%)، وأدنى نسبة كانت في السنوات 2021 و2022 وبنسبة (10%) على التوالي، بالرغم من ارتفاع الأقساط المتحققة، وقد يكون ناتج عن زيادة مبالغ التعويضات المدفوعة، فضلاً عن المصروفات والعمولات التأمينية، وكما موضح بالجدول:(3)

جدول (3) صافي الربح المتحقق والمخطط ونسب تحقق الربح ونسب تطور الأرباح ونسبة صافي الربح المتحقق للأقساط للمدة (2019-2022)

التفاصيل	2019	2020	2021	2022
صافي الربح المخطط	7828643	8328324	7425715	10040751
صافي الربح المتحقق	9946296	8392005	10930655	12049241
نسب تحقق الربح	127%	100%	147%	120%
نسبة تطور الأرباح	12%	-16%	30%	10%
الأقساط المتحققة	70228692	61796928	105557287	120496294
صافي الربح المتحقق للأقساط	14%	14%	10%	10%

المصدر: من إعداد الباحثتان بالإعتماد على القوائم المالية والتقارير السنوية.

4. الانتاجية : يتضح من الجدول (4)، تذبذب إنتاجية الفرد، إذ بلغت ذروتها بالزيادة في سنة 2022 وبمبلغ (31889954) ألف دينار والتي تمثل (25.9%) من إجمالي الأقساط المتحققة؛ مما يشير إلى أن إنتاجية الفرد تسهم بنحو ربع إجمالي الأقساط المتحققة، وأدنى إنتاجية كانت في سنة 2020، إذ بلغت (16459692) ألف دينار ناتجة عن

انخفاض الأقساط التأمينية المتحققة، ويشير تذبذب الإنتاجية صعوداً وهبوطاً إلى تذبذب الأقساط المتحققة خلال السنة، فضلاً عن تذبذب إنتاجية الأجر، إذ حققت ذروتها بالارتفاع في سنة 2022 وبنسبة (22.786%)، في حين أدنى إنتاجية أجر كانت في سنة 2020 بنسبة (13.533) ناتجة عن انخفاض الأقساط المتحققة.

جدول (4) إنتاجية الفرد وإنتاجية الآجر للمدة (2019-2022)

التفاصيل	2019	2020	2021	2022
الأقساط المتحققة	71339704	62711428	106861236	123095226
عدد العاملين	380	381	389	386
إنتاجية الفرد	18773606	16459692	27470754	31889954
الرواتب والأجور المدفوعة	4783104	4633817	4740986	5402322
إنتاجية الآجر	14.915	13.533	22.534	22.786

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على التقارير السنوية.

5. تحليل الحصة السوقية: ويعبر عن مدى قدرة الشركة على خدمة السوق الذي تعمل فيه، ويقيس نسبة إجمالي مبيعات الشركة المبحوثة (أقساط التأمين) إلى إجمالي مبيعات شركات التأمين في سوق التأمين العراقي، عن طريق مقارنة نتائج آداء الشركة مع آداء المنافسين (شركة التأمين الوطنية، وشركة إعادة التأمين العراقية، وشركات التأمين الأهلية).

جدول (5) تحليل الحصة السوقية للمدة (2018-2022)

التفاصيل	2019	2020	2021	2022
الأقساط المتحققة لشركة التأمين العراقية العامة	70228692	61796928	105557287	120496294
إجمالي أقساط شركات التأمين المنافسة	278872797	232056121	315063044	363593272
نسب الحصة السوقية لشركة التأمين العراقية	%25	%27	%34	%33

المصدر: إعداد الباحثتان بالاعتماد على التقارير السنوية الصادرة عن ديوان التأمين العراقي .

يتضح من الجدول (5)، تفاوت نسب الحصة السوقية للشركة المبحوثة، فقد تراوحت ما بين (25% - 34%)، إذ بلغت في سنة 2019 وبنسبة (25%) ناتج عن انخفاض الأقساط المتحققة عن بعض محافظ التأمين، ومنها محفظة التأمين على الحياة / جماعي، والسيارات تكميلي، ثم ارتفعت تدريجياً للسنوات 2020 و2021 وبنسبة (27%) و(34%) على التوالي، لتعاود الانخفاض بشكل طفيف خلال سنة 2022 وبنسبة (33%) ناتج عن انخفاض الأقساط المتحققة عن محفظة التأمين على الحياة جماعي / متُعدد المنافع، والسيارات تكميلي.

المحور الرابع: الاستنتاجات والتوصيات:

أولاً: الاستنتاجات:

1. حققت الشركة المبحوثة مستوى مرتفع من الخطة الإنتاجية، إذ تجاوزت ما خطط لها، وهو مؤشراً إيجابيا من الناحية الإنتاجية إلا أنه يعكس غياب الدقة في التخطيط وعدم أخذ الظروف المحيطة بالسوق التأميني بعين الاعتبار.

2. إنّ إيرادات النشاط التأميني (أقساط التأمين) تشكل الجزء الأكبر من الإيرادات المتحققة للشركة، والذي يعد مؤشراً إيجابياً من ناحية فاعلية الشركة في تحقيق أقساط التأمين.

3. إنّ عملية تحديد صافي الربح المخطط تتم بالاعتماد على إجمالي ما حققته الشركة من إيرادات وما أنفقته من مصاريف للسنة المالية السابقة، ويعد مؤشراً لكفاءة الشركة في إدارة نفقاتها؛ مما يعكس نجاحاً مالياً.

4. تتمثل إنتاجية الفرد برواتب إضافية تصرف لكل موظف في الشركة كحصة من الأقساط المتحققة خلال السنة، ويعود ذلك لكون الشركة ذاتية التمويل، وإنّ ما تدفعه الشركة من إنتاجية خلال السنة يعتمد على الأقساط المتحققة لتلك السنة.

ثانياً: التوصيات:

1. تعزيز الأداء المالي للشركة عن طريق الاهتمام بقياسه وتقييمه وبشكل مستمر، من أجل الحصول على صورة كاملة عن وضعها المالي وتحديد مواطن الضعف والقوة فيه، والكشف عما حققته الشركة من تطور في أعمالها.

2. إجراء التقييم الدوري لآداءالمنتجينّ من خلال متابعة نسب التنفيذ للخطط الإنتاجية من حيث الأقساط المتحققة، وعلى مستوى كل محفظة من محافظ التأمين، والعمل بأسلوب الثواب والعقاب ومنح الحوافز بحسب ما حققه كل منتج من خطته الإنتاجية وبشكل عادل.

3. وضع خطة سنوية لعدد الوثائق (عدد الوثائق المخططة) عن محافظ التأمين العام بشكل فردي لتقييم مدى قدرة الشركة على تحقيق أهدافها المخططة على مستوى كل محفظة خلال السنة.

المصادر:

Ali, A., & Sundarakani, B. (2021). Spiritual leadership and supply chain resilience. Sustainability, 13(5), 2567.

Astakoni, I. M. P., Sariani, N. L. P., Yulistiyono, A., Sutaguna, I. N. T., & Utami, N. M. S. (2022). Spiritual Leadership, Workplace Spirituality and Organizational Commitment; Individual Spirituality as Moderating Variable. Italienisch, 12(2), 620–631.

Benefiel, M., Fry, L. W., & Geigle, D. (2014). Spirituality and religion in the workplace: History, theory, and research. Psychology of Religion and Spirituality, 6(3), 175–187.

Chen, C. Y., & Yang, C. F. (2012). The Impact of Spiritual Leadership on Organizational Citizenship Behavior: A Multi-Sample Analysis. Journal of Business Ethics, 105(1), 375–391.

Chen, C. Y., Yang, C. Y., & Lee, M. (2021). Spiritual leadership, follower positive emotions, and helping behavior: A cross-level investigation. Leadership & Organization Development Journal, 42(1), 45–60.

Dickson, D., & Waters, H. R. (2020). Actuarial Models and Insurance. Cambridge University Press.

Fry et al. (2011), Journal of Management, Spirituality & Religion, 8(4), p. 316.

Fry, L. W. (2003). Toward a theory of spiritual leadership. The Leadership Quarterly, 14(6), 693–727.

Fry, L. W., & Slocum, J. W. (2008). Maximizing the triple bottom line through spiritual leadership. Organizational Dynamics, 37(1), 86–96.

Garcia-Zamor, J. C. (2003). Workplace Spirituality and Organizational Performance.Public Administration Review, 63(3), 355–363.

Jurkiewicz, C. L., & Giacalone, R. A. (2004). A values framework for measuring the impact of workplace spirituality on organizational performance. Journal of Business Ethics, 49(2), 129–142.

Khan, S. M., & Mahmud, N. (2024). Spiritual Leadership and Organizational Commitment-An Empirical Review. International Journal of Academic Research in Business and Social Sciences, 14(12), 1–15.

Pandey, A., Gupta, R. K., & Arora, A. P. (2021). Spiritual leadership and organizational citizenship behavior: The role of emotional resilience and organizational identification during COVID-19. Journal of Organizational Change Management, 34(2), 210–228

Pawar, B. S. (2016). Workplace spirituality and employee well-being: An empirical examination.Employee Relations, 38(6), 975–994.

Petchsawang, P., & Duchon, D. (2009). Measuring workplace spirituality in an Asian context. Human Resource Development International, 12(4), 459–468.

Reave, L. (2005). Spiritual values and practices related to leadership effectiveness. The Leadership Quarterly, 16(5), 655–687.

Rejda, G. E., & McNamara, M. J. (2021). Principles of Risk Management and Insurance (14th ed.). Pearson.

Ronthy, M. (2020). Spiritual Leadership: Meaning in the Sustainable Workplace. Sustainability, 12(1), 267.

Skipper, H. D., & Kwon, W. J. (2007). Risk Management and Insurance: Perspectives in a Global Economy. Blackwell Publishing.

Utama, R. G., Wahyuningsih, R. S. H., & Surwanti, A. (2023). The Influence of Spiritual Leadership on Organizational Citizenship Behavior: Workplace Spirituality and Thriving at Work as Mediation. Jurnal Bisnis: Teori dan Implementasi, 14(2), 417–435.

Zhang, Y., & Yang, F. (2020). How and when spiritual leadership enhances employee innovative behavior. Personnel Review, 49(5), 1234–1248.

التغطية الإعلامية الجهوية كرافعة للعمل الاجتماعي والإحساني و التطوعي: تجربة إذاعة وجدة الجهوية من خلال مبادرات الشباب خلال زلزال الحوز

Regional Media Coverage as a Catalyst for Social, Humanitarian, and Volunteer Action: The Experience of Oujda Regional Radio through Youth Initiatives during the Al Haouz Earthquake

محمد بلاوي[1]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract

Regional media in Morocco represents one of the key pillars for achieving social development and promoting the values of solidarity and citizenship, especially in times of crises and natural disasters.

During the Al Haouz earthquake that struck southern Morocco in 2023, regional media coverage emerged as a central actor in shaping public opinion and encouraging volunteer participation.

This study aims to analyze the role played by Oujda Regional Radio in supporting and accompanying youth and social initiatives during the earthquake, by referencing theoretical frameworks related to media and society, and drawing on McQuail's theory of mass communication.

- To what extent did regional media coverage—represented by Oujda Radio—contribute to promoting social and volunteer work during the Al Haouz earthquake disaster? And what mechanisms did it use to achieve effective collective mobilization despite the geographic distance?.

Key Themes: *Regional Broadcasting, Community Radio (Oujda), Volunteer Response, Al Haouz Earthquake Relief, Youth-Led Grassroots Efforts*.

الملخص:

تمثل وسائل الإعلام الجهوية في المغرب أحد الركائز الأساسية لتحقيق التنمية الاجتماعية وتعزيز قيم التضامن والمواطنة، لا سيما في أوقات الأزمات والكوارث الطبيعية. وخلال الزلزال الذي ضرب منطقة الحوز جنوب المغرب سنة 2023، برزت التغطية الإعلامية الجهوية كفاعل محوري في تشكيل الرأي العام وتحفيز المشاركة التطوعية.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الدور الذي اضطلعت به إذاعة وجدة الجهوية في دعم ومواكبة المبادرات الشبابية والاجتماعية أثناء الزلزال، وذلك بالاستناد إلى الأطر النظرية المتعلقة بالعلاقة بين الإعلام والمجتمع، مع الاعتماد على نظرية الاتصال الجماهيري لماكويل (McQuail).

- إلى أي مدى ساهمت التغطية الإعلامية الجهوية – ممثلة في إذاعة وجدة – في تعزيز العمل الاجتماعي والتطوعي خلال كارثة زلزال الحوز؟ وما الآليات التي استخدمتها لتحقيق تعبئة جماعية فعالة رغم البعد الجغرافي؟

الكلمات المفتاحية: الإعلام الجهوي، إذاعة وجدة الجهوية، التطوع، زلزال الحوز، مبادرات شبابية.

http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2-4

[1] Researcher Mohammed BELLAOU , Moroccan National Radio and Television (SNRT), Kingdom of Morocco bellaoui.rtm.oujda@gmail.com

مقدمة

يشكل الإعلام الجهوي في المغرب إحدى الركائز الأساسية في تحقيق التنمية الاجتماعية وتعزيز قيم التضامن والمواطنة، خصوصًا في ظل الأزمات والكوارث الطبيعية.

خلال زلزال الحوز الذي ضرب مناطق جنوب المغرب سنة 2023، برزت التغطية الإعلامية الجهوية كفاعل مركزي في تأطير الرأي العام، وتحفيز المشاركة التطوعية.

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل دور إذاعة وجدة الجهوية في مرافقة ودعم المبادرات الشبابية والاجتماعية خلال الزلزال، من خلال استحضار المرجعيات النظرية المرتبطة بالإعلام والمجتمع، واستثمار نظرية ماكويل للاتصال الجماهيري.

إشكالية البحث

ما مدى مساهمة التغطية الإعلامية الجهوية ممثلة في إذاعة وجدة، في تحفيز العمل الاجتماعي والتطوعي خلال كارثة زلزال الحوز؟ وما هي الآليات التي اعتمدتها لتحقيق تعبئة جماعية فعالة رغم البعد الجغرافي؟

أهداف البحث

- إبراز الوظائف الاجتماعية للإعلام الجهوي في سياق الأزمات.
- تحليل تجربة إذاعة وجدة في دعم المبادرات المدنية.
- ربط الممارسة الإعلامية بنظرية الاتصال الجماهيري.
- تقديم توصيات عملية لتعزيز الإعلام المجتمعي.

المنهجية

تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تحليل مضامين التغطية الإعلامية لإذاعة وجدة خلال الزلزال، واستقراء الأدبيات النظرية ذات الصلة، مثل كتاب "الإعلام والمجتمع" لطه عبد العاطي نجم، ونظرية ماكويل في الاتصال الجماهيري.

أولاً: الإطار النظري

1. الإعلام وتشكيل الوعي الاجتماعي – طه عبد العاطي نجم:

يشير طه عبد العاطي نجم إلى أن الإعلام ليس ناقل للخبر، بل فاعل في بناء الوعي الجماعي، وتوجيه السلوك المجتمعي، خصوصًا في فترات الأزمات.

فوظيفة الإعلام، حسب نجم، تتمثل في التعبئة، التوجيه، والتنمية، ما يجعله قوة معنوية داخل المجتمع (نجم، 2012، ص. 74)[2].

2 الإعلام وتشكيل الوعي الاجتماعي – طه عبد العاطي نجم

2. نظرية الاتصال الجماهيري – دينيس ماكويل[3]:

يعد دينيس ماكويل من أبرز منظّري الاتصال الجماهيري، ويؤكد أن وسائل الإعلام تلعب وظائف متعددة: الإخبار، التفسير، الربط الاجتماعي، الترفيه، والمراقبة. وتلعب دورًا أساسيًا في التنشئة الاجتماعية، وتشكيل السلوك الجماعي خلال الأزمات.(McQuail, 2010)

ثانيًا: الإعلام الجهوي والعمل الاجتماعي في المغرب

مع بروز سياسة الجهوية الموسعة، تعزز دور الإعلام المحلي، وأصبح مطالبًا بالانخراط في قضايا المجتمع، لا سيما الاجتماعية منها. وقد أبانت إذاعة وجدة عن وعي استباقي خلال زلزال الحوز، إذ لم تكتف بتغطية الحدث، بل انخرطت في تحفيز الساكنة على التبرع، تنظيم القوافل، ودعم المتطوعين.

قبل الحديث عن إذاعة وجدة الجهوية دعونا نتحدث عن قيم التطوع و العمل الإحساني و الخيري المتأصلة في المجتمع المغربي.

يُعَدُّ التطوع ظاهرةً اجتماعيةً وإنسانيةً متجذِّرةً في التاريخ المغربي، حيث ارتبطت بمختلف مراحل تطور المجتمع.

ومع ظهور الدولة الحديثة ومؤسساتها، أصبح التطوع ركيزةً أساسيةً في البناء المجتمعي، تتفاوت تأثيراته بحسب السياقات الاجتماعية والثقافية. وقد حظي هذا المفهوم بتأييد واسع من قبل الأديان والفلسفات الاجتماعية، نظراً لأبعاده الإنسانية والأخلاقية والحضارية، والتي تهدف إلى الارتقاء بالفرد والجماعة، ومساعدتهم في مواجهة التحديات المجتمعية.

عبر التاريخ، شكَّل الأفراد تجمُّعاتٍ طوعيةً تنظَّمت عبر العُرف والتقاليد، قبل أن تتحول مع تبلور الفكر الإداري الحديث إلى مؤسساتٍ ذات هيكل تنظيمي واضح، تقوم على رؤى فكرية متجانسة لتحقيق أهداف مشتركة. وقد نشأت هذه المؤسسات استجابةً لحاجات مجتمعية محددة، حيث أطلق الأفراد مبادراتٍ واعيةً لمعالجة تلك الاحتياجات، مما أفرز عدداً من المنظمات التطوعية غير الربحية التي تركِّز على الأبعاد التربوية والاجتماعية والثقافية والبيئية.

ومع تطور النسيج الاجتماعي وبروز حاجات جديدة، تطوَّرت أشكال التطوع في المغرب لتمتد إلى مجالات الدفاع عن السيادة الوطنية، وبناء البنية التحتية، وتشييد المرافق الدينية والتعليمية والصحية، خاصة في المناطق النائية.

وبذلك أصبح التطوع دعامةً أساسيةً للعمل المدني والجمعوي، مستنداً إلى قيم التضامن والتكافل المتأصلة في الثقافة المغربية، والمستمدّة من الموروث الإسلامي والإنساني متعدد الروافد.

و لعل وجود مؤسسة التعاون الوطني التي أسسها المغفور له الملك محمد الخامس طيب الله ثراه خير دليل على تجذر هذه القيم في المجتمع المغربي.

1. النشأة والتطور التاريخي:

أُنشئ التعاون الوطني سنة **1957** كمؤسسة خاصة ذات طابع اجتماعي، مُعترف لها بـ**المنفعة العامة**، قبل أن يتحول إلى **مؤسسة عمومية** تتمتع بـ**الشخصية المدنية والاستقلال المالي**، وتخضع لوصاية **الوزارة المكلفة بالشؤون**

3 الاتصال الجماهيريرل دينيس ماكويل الجزء

الاجتماعية .يعكس هذا التحول تطورًا في السياسات العمومية المغربية، حيث انتقل من العمل الخيري التقليدي إلى مؤسسة منظمة تساهم في **التنمية الاجتماعية** وفق رؤية دولة الرعاية الحديثة[4].

2. الأهداف والأدوار التنموية:

يُعد التعاون الوطني أحد أبرز الفاعلين في **المجال الاجتماعي والتضامني**، ويرتبط دوره ارتباطًا وثيقًا بمفهوم **العمل التطوعي** الذي تمت مناقشته سابقًا، حيث:

- يُعزز **قيم التكافل والتضامن**، التي تشكل أساسًا للعمل التطوعي في المغرب.
- يُقدم خدمات اجتماعية (دعم الأسر الفقيرة، محاربة الهشاشة، التكفل بالأشخاص ذوي الإعاقة) مما يُكمّل جهود الجمعيات التطوعية.
- يُشكل جسرًا بين **المبادرات التطوعية الأهلية** و**السياسات العمومية**، مما يعكس التكامل بين المجتمع المدني والدولة في تحقيق التنمية.

و هذا السياق و في إطار التحولات المجتمعية التي أعقبت دستور 2011، الذي أرسى مبادئ الديمقراطية التشاركية وكرَّس أدواراً محورية للمجتمع المدني، برزت الحاجة إلى تقنين العمل التطوعي وتطويره. وقد تجسَّد ذلك في المصادقة على القانون المنظم للتطوع التعاقدي في يوليو 2021، كمحاولةٍ لتأطير هذا المجال قانونياً وتعزيز مساهمته في التنمية المستدامة.

وعلى صعيد السياسات العمومية، يُلاحَظ إطلاق برامج مثل "متطوع" التابع لوزارة الشباب والثقافة والتواصل، والذي يستهدف فئة الشباب (18-22 سنة) لتعزيز قيم المواطنة وتنمية مهاراتهم في مجالات البيئة، والصحة، والتراث، وغيرها. وقد حقق هذا البرنامج نجاحاً ملحوظاً في دورته الثانية، مما يعكس تجاوباً إيجابياً من الشباب المغربي.

لذا، يتطلب النهوض بالعمل التطوعي تعزيز التوعية عبر المنظومة التعليمية والإعلامية وإدراج مفاهيم التطوع في المناهج الدراسية،

كما ينبغي تعزيز الشراكات بين القطاعات الحكومية والجمعيات، وإنشاء هيئة وطنية تُعنى بالتطوع، مع الاستفادة من التجارب الدولية الناجحة في هذا المجال.

ثالثا: نبذة تاريخية عن الشركة الوطنية للإذاعة و التلفزة(إذاعة وجدة الجهوية أحد مكونات الشركة)

الشركة الوطنية للإذاعة و التلفزة هو محطة راديو المغرب الذي بث برامجها لأول مرة في عهد الحماية الفرنسية يوم 13 أبريل 1928 تحت وصاية المكتب الوطني للبريد و التلغراف.

كان المغرب آنذاك من رواد ميدان الاتصال السمعي البصري. وقد عرفت المملكة بالفعل في الخمسينات تجربة أولى مع الشركة الفرنسية "تيلما" التي كانت ترى في الجالية الأوروبية المقيمة في المغرب جمهورا مهما.

وفي سنة 1951، تم تسليم رخصة الاستثمار والإذاعة إلى "تيلما" التي لم تبدأ البث إلا في سنة 1954.

في أكتوبر 1966، أصبحت الإذاعة المغربية مؤسسة عمومية تمتلك الشخصية المدنية والاستقلالية المالية، لتعود في يناير 1968 إلى وصاية الإدارة.

4 الموقع الالكتروني لمؤسسة التعون الوطني

و في سنة 1978، أصبحت الشركة الوطنية للإذاعة و التلفزة ملحقة بالإدارة المركزية لوزارة الاتصال.

و في أبريل 2005، في سياق تحرير القطاع السمعي البصري المغربي و نظرا للمنافسة الحادة التي يعرفها هذا القطاع، تحولت الإذاعة و التلفزة المغربية -"إ.ت.م"- إلى "الشركة الوطنية للإذاعة و التلفزة"- "ش.و.إ.ت"- التي كانت إدارة عمومية آنذاك، كما تم تغيير وضعية موظفي الإذاعة و التلفزة المغربية و الذين يبلغ عددهم 2300 نظرا لتحول الشركة إلى مؤسسة وطنية مستقلة.

أعطيت الانطلاقة للعديد من المشاريع لتحديث القطاع و التي تمثلت في إعادة هيكلة الشركة إنشاء قنوات موضوعاتية جديدة، إنشاء بوابة في الانترنيت، انطلاق التلفزة الرقمية الأرضية و أخيرا انطلاق التلفزة الشخصية المتنقلة.

فحظيرة أجهزة استقبال موجات الإذاعة والتلفزة المغربية تطورت بشكل كبير لتصل إلى جهاز راديو لثلاثة مواطنين وجهاز تلفزة لستة مواطنين.

و إذاعة وجدة الجهوية هي واحدة من إحدى عشر إذاعة على المستوى الوطني فضلا عن الإذاعة الوطنية و أذاعة محمد السادس للقرآن الكريم و الإذاعة الأمازيغية و الإذاعة الدولية.

و قبل الحديث عن الإذاعة الجهوية لوجدة التي تبث برامجها للمستمعين على مستوى جهة الشرق,لا بأس أن نلقي نظرة على المؤهلات التي تزخر بها هذه الجهة .

المصدر: مجلس جهة الشرق

تمتد جهة الشرق على مساحة جغرافية تناهز حوالي 90130 كلم² ويبلغ عدد سكانها 2.294.665 نسمة حسب الاحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2024، أي ما يعادل 6.23% من مجموع سكان المملكة. يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، وغربا أقاليم الحسيمة وتازة وبولمان، ومن الشرق والجنوب الشرقي الجزائر، ومن الجنوب الغربي إقليم الراشدية.

كما تتميز الجهة بتنوع تضاريسها، حيث تمتد الواجهة البحرية على طول 200 كلم ، فضلا عن السهول والأنهار والجبال والنجود العليا والصحراء، و تعتبر جهة الشرق بوابة في اتجاه افريقيا ونقطة ارتكاز مغاربية، وواجهة متوسطية منفتحة على اوروبا، شكلت على مر السنين فضاء لتلاقح الحضارات وتمازج العادات والأنماط والطقوس والتقاليد. وتتوفر الجهة على مؤهلات اقتصادية هامة من شأنها تحقيق تنمية مجالية متكاملة وشاملة.

تتكون جهة الشرق من عمالة وسبعة أقاليم وتضم 124 جماعة ترابية، منها 28 حضرية:

*عمالة وجدة أنكاد.

- إقليم الناظور.
- إقليم الدريوش.
- إقليم جرادة.
- إقليم بركان.
- إقليم تاوريرت.
- إقليم جرسيف.
- إقليم فجيج.

هذا، وقد عرفت جهة الشرق قفزة نوعية وتحول كبير على مستوى البنيات التحتية وإنجاز مشاريع تنموية مهيكلة واستراتيجية وذلك بفضل التوجيهات الملكية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وايده والتي تضمنها الخطاب التاريخي لـ 18 مارس 2003 حيث رسم جلالته المعالم الكبرى وحدد التوجهات الأساسية لخارطة الطريق الرامية إلى تحقيق اقلاع تنموي جهوي، ومنذ هذا التاريخ شهدت جهة الشرق تحولا كبيرا على مستوى البنيات التحتية وإطلاق المشاريع التنموية الكبرى.[5].

الإذاعة الجهوية لوجدة

إذاعة وجدة الجهوية السياق و النشأة:

تعتبر إذاعة وجدة الجهوية، من أهم وأقدم المحطات الإذاعية ببلادنا، إذ يعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 1962 ، ومنذ ذلك التاريخ وهذه الإذاعة تلعب دورا هاما وحيويا في تنوير الرأي العام المحلي والجهوي وحتى الوطني من خلال معالجة مجموعة من القضايا الاجتماعية الثقافية الرياضية والسياسية عبر عدة برامج مباشرة كانت تبثها حيث نالت هذه البرامج صيتا ذائعا لدى المستمعين والمهتمين أيضا.

اتخذت إذاعة وجدة في بداية الأمر مقرا صغيرا بساحة مولاي الحسن أين يوجد الآن سوق طنجة بحلته الجديدة، وظلت لمدة طويلة تبث برامجها من هناك قبل أن يتم نقلها مرة أخرى نحو شارع سجلماسة بالقرب من السوق المغطاة marche couvertقبل أن يتم نقلها للمقر الحالي بشارع عمر الريفي سنة 1987، هذا وقد عرفت هذه الإذاعة ظهور وتألق مجموعة من الإذاعيين المتميزين الذي أبلوا البلاء الحسن لهذه المحطة الكبيرة والتاريخ يحفظ العديد من الأسماء الوازنة التي كانت أصواتها الرخيمة والعذبة تطل علينا عبر برامج هذه المحطة الشامخة التي لا شك

5 موقع مجلس جهة الشرق

أنها تبقى راسخة وموشومة في ذاكرة ساكنة المدينة والجهة والوطن ككل، وهنا لابد أن أقف عند بعض رجالات هذه المؤسسة الذين تركوا بصمات واضحة في تاريخ الإعلام المسموع ببلادنا منهم من فارقنا إلى الأبد ومنهم من لازال حيا يرزق، ونخص بالذكر"محمد مجدولين" أول مدير لهذه المحطة، وعمر بلشهب المرحومين يحي الكوراري وقاسم جداين إضافة إلى محمد مقروف وعبد الحفيظ القادري المدير الحالي للمحطة ومجموعة أخرى من الأطر التي ضحت بالغالي والنفيس لتجعل من هذه المحطة أداة إعلامية مهمة ببلادنا.

هذا وقد عرفت هذه المحطة بث مجموعة من البرامج الإذاعية المباشرة التي كانت تشهد نسبة واسعة من ا لمستمعين في الوطن وخارجه، وهنا أخص بالذكر برنامج "صوت الحق" الذي كان يشرف عليه الأستاذ المرحوم "عمر بلشهب" حيث كان هذا البث الإذاعي الحي يعالج مأساة إنسانية خطيرة وتتعلق بالطرد التعسفي الذي أقدم عليه النظام الجزائري بزعامة الراحل" الهواري بومدين"وهو القرار الذي شرد الآلاف من المغاربة واعتبر حينها هذا القرار بجريمة بشعة ضد الإنسانية، ولا زالت تداعياته ترخي بظلالها على سياسة البلدين.

حيث كان يتناول هذا البرنامج معاناة ومأساة المطرودين، إضافة إلى مجموعة من البرامج الأخرى، كبرنامج تهاني وأماني الذي كان يشرف عليهما المرحوم يحيى الكوراري وبرنامج مشوار من إعداد وتقديم محمد مقروف وغيرها من البرامج الأخرى التي نالت إعجابا واستحسانا من طرف المستمعين والمهتمين.

برنامج تهاني و أماني للمرحوم يحي الكراري و الذي كان علامة فارقة في برامج الإذاعة و الذي شكل فضاءا لمغاربة العالم للتواصل مع الوطن.

للإشارة هذا البرنامج حضي بتنويه خاص من طرف المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه في إحدى خطبه.

برنامج المتغيبين للمرحوم يحي الكراري أيضا رسخ لفعل إنساني في لم شمل العائلات و البحث عن المتغيبين و رسم الإبتسامة على محي المستمعين.

ومن جهة أخرى تعيش إذاعة وجدة في الوقت الراهن مجموعة من الصعوبات من جراء الاستنزاف التي عرفته الطاقة البشرية من خلال إحالة العديد من الأطر على التقاعد واستفادة آخرون من عملية المغادرة الطوعية، ويبقى هذا المعطى أهم معضلة في وجه إذاعة وجدة التي تعيش خصاصا مهولا ولا سيما على المستوى التقني للأسباب السالفة الذكر.[6]

6 الاذاعة و التلفزة المغربية

ترددات إذاعة وجدة الجهوية

وهنا نشير بأن منذ سنة 2017 تم تمديد ساعات عمل الاذاعة من 8 ساعات إلى 24 ساعة مع تغيير موجة 96.10 التي هي الآن مخصصة لإذاعة محمد السادس للقرآن الكريم إلى موجة 104 بوجدة. و بالتالي تغير المحطة الجهوية للإذاعة بوجدة إلى إذاعة وجدة الجهوية و أصبح تغطي جميع جهة الشرق.

البعد الإجتماعي للأذاعة وجدة الجهوية

رغم البعد الجغرافي (أكثر من 800 كلم)، جسدت مدينة وجدة عبر إعلامها الجهوي، وخاصة إذاعتها، نموذجًا للتضامن الوطني. فقد:

- بثت برامج تعبئة وتحفيز؛
- نسّقت بين فعاليات مدنية ومؤسساتية؛
- ربطت المستمعين وجدانيًا بالمناطق المنكوبة.

هذا التفاعل يكرس مفاهيم القرب المعنوي والوجداني، ويؤكد على قدرة الإعلام في تحريك الحس التضامني و المساهمة في تشكيل الوعي المجتمعي و هذا ما ذهب إليه الدكتور طه عبد العاطي نجم من خلال من كتابه" الإعلام والمجتمع و خاصة الفصل الرابع [7]حين تحدث عن الدور المحوري الذي تؤديه وسائل الإعلام في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى الأفراد والجماعات .ويؤكد الكاتب على أن الإعلام لم يعد مجرد أداة لنقل المعلومات، بل أصبح قوة اجتماعية فاعلة تؤثر في توجهات الناس وسلوكياتهم ومواقفهم من مختلف القضايا.

فمنذ الساعات الأولى للبث خصصت الإذاعة الجهوية لوجدة لقاءات مباشرة مع أشخاص من عين المكان للحديث عن الفاجعة و التواصل مع المستمعين.

كما تمت استضافة خبراء و باحثيين بهدف بسط المفاهيم و شرح ما يمن شرحه, كما خصصت إذاعة وجدة الجهوية فقرات خاصة ضمن بثها اليومي تهدف إلى **الدعم النفسي والتخفيف من الهلع والخوف**، حيث استضافت مختصين في علم النفس الاجتماعي، وأطباء، وأساتذة، لتقديم نصائح وإرشادات نفسية للمستمعين.

وشكل هذا التوجه جزءًا من استراتيجية إنسانية شاملة، تراعي الأبعاد النفسية للأزمات، وتكرس دور الإعلام في توفير الطمأنينة والثقة.

هذا التفاعل يكرس مفاهيم القرب المعنوي والوجداني، ويؤكد على قدرة الإعلام في تحريك الحس التضامني.

7 الدكتور طه عبد العاطي نجم من خلال من كتابه" الإعلام والمجتمع

فمدينة وجدة وباقي أقاليم جهة الشرق شهدت دينامية تضامنية غير مسبوقة، تمثلت في إطلاق قوافل تطوعية متعددة نحو المناطق المنكوبة في الحوز، وقد شملت هذه القوافل جمعيات مدنية، مجموعات شبابية، مهنيين، وأطرًا صحية وتربوية، محمّلين بالمساعدات العينية والطبية.

لعبت إذاعة وجدة الجهوية دورًا محوريًا في مرافقة هذه المبادرات، حيث خصصت تغطيات مباشرة ومستمرة لتحركات القوافل، واستضافت منسقين ومتطوعين للحديث عن دوافعهم وتجربتهم. وقد برز برنامجا **"صباح الخيرمن وجدة "**و"**مع الشاب**" كمنصتين أساسيتين لتمكين هؤلاء الشباب من إيصال أصواتهم، والتعبير عن مشاعرهم، وتوثيق تجاربهم الميدانية.

كما ساهمت الإذاعة في التنسيق بين مختلف الفاعلين المدنيين والسلطات لتفادي الازدواجية وتوجيه الجهود نحو الحاجات المستعجلة.

هذا الدور الإعلامي التشاركي و الاتصال الجماهيري عزّز من فعالية المبادرات وجعل منها نموذجًا يُحتذى به.

ذلك أن الاتصال الجماهيري، كما عرفه دينيس مكويل، هو عملية تتسم بمستوى عالٍ من المشاركة، حيث يتبادل الأفراد الأدوار ويتفاعلون في إطار اجتماعي.ومن هنا تنبع أهمية الإعلام في بناء علاقة تواصلية فعالة تعزز من التماسك الاجتماعي و يتجلى ذلك من خلال ما قامت الإذاعة بتتبع وتغطية **حملات التبرع بالدم** التي نُظّمت بكل من وجدة وبركان، والتي شهدت مشاركة واسعة من مختلف مكونات المجتمع المحلي، من فرق رياضية ومهنيين وطلبة وموظفين، حيث سعت من خلال التغطيات الإذاعية إلى تسليط الضوء على هذه المبادرات، وتشجيع المواطنين على المساهمة، وتوفير منصة للتعبير عن دوافعهم الإنسانية.

و يتقاطع هذا الدور الحيوي مع أفكار الفيلسوف الكندي مارشال ماكلوهان الذي اعتبر أن وسائل الإعلام هي امتداداً لحواس الإنسان، حيث تقوم التكنولوجيا اليوم بدور الحواس في إدراك الواقع والتفاعل معه، وهو ما يجعل الإعلام عنصراً مركزياً في تشكيل الوعي الجمعي.

وفي هذا الإطار، يمكن استحضار تصنيف الدكتور محمد عبد القادر حاتم[8] وظائف الإعلام والاتصال الاجتماعية كالشكل الآتي :

- تعزيز النشاط الاجتماعي والتعبير عن الحضارة وثقافة المجتمع.
- خلق روح الإلهام والابتكار لدى أفراد المجتمع.
- إيجاد قاعدة مشتركة تجمع بين أفكار وآراء ومعتقدات أفراد المجتمع تأصيل الشعور بالانتماء والولاء عند الأفراد وإحساسهم بأنهم يعيشون ويتعايشون مع بعضهم ولا غنى لبعضهم عن بعض.
- دور الإعلام والاتصال كقناة للتعبير عن عواطف واحتياجات أفراد المجتمع وأمانيه مهما تضاءلت أو تعاظمت، أي أن تكون هذه العملية كمرآة لأفراد المجتمع ومتطلباته.
- تحقيق أكبر قدر ممكن من المعرفة بأنواعها، والعمل على تنظيم وتنسيق هذه المعرفة وشرحها بأسلوب يفهمه الجميع.
- القضاء على الخوف والقهر والسيطرة والقلق الذي ينتاب بعض البشر.

8 الحوار المتمدن-العدد: 6341 - 2019 / 9 / 4 - 05:27
المحور: العولمة وتطورات العالم المعاصر

- إثراء الروابط الاجتماعية والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع وجمع صفوفهم وتوحيد كلمتهم.

هكذا يتضح أن الإعلام ليس ناقل للمعلومات، بل هو أداة فاعلة في تشكيل الواقع وبناء الوعي المشترك. وسائل الإعلام أصبحت اليوم أحد أهم العوامل المؤثرة في تشكيل الوعي الاجتماعي، وأن مسؤولية الإعلام لا تقتصر فقط على نقل الأخبار، بل تمتد إلى الإسهام في بناء مجتمع متماسك وواعٍ ومنفتح على التطور.

وهذا ما اتضح جليا خلال زلزال الحوز, فإذاعة وجدة الجهوية و بالرغم من وجود و سائل التواصل الاجتماعي إلا و حافظت على مكانتها كجسر تواصل مع مختلف مكونات المجتمع المدني.

من هذا المنطلق يمكن الحديث عن أولا المسؤولية الاجتماعية للإذاعة كما أشار إلى ذلك دينيس ماكويل [9] بأن وسائل الإعلام تتحمل مسؤولية خدمة الصالح العام في الأزمات .تطبيقًا على تجربة زلزال الحوز و هنا أضيف دور إذاعة مراكش الجهوية لأنها بدورها إذاعة جهوية و تبث برامجها من الجهة المتضررة من زلزال الحوز و هذا ما يوضح التقارير التي أنجزت حولها حيث تحولت إلى منصة خدمة عامة كما وصفها التقرير السنوي للهيئة العليا للاتصال السمعي البصري [10](2023) حيث:

- خصصت 85% من وقت البث لمعلومات الإنقاذ.
- أوقفت جميع الإعلانات التجارية لمدة أسبوعين.
- طبقت مبدأ" الدقة قبل السرعة "في نشر المعلومات.

ثانيا : نموذج الاستخدام والإشباع

بحسب تحليل ماكويل، يسعى الجمهور لتحقيق إشباعات محددة من الوسائل الإعلامية في حالة الكارثة.

كما حددت دراسة جامعة محمد الخامس [11](2024) أربع حاجات أساسية أشبعتها الإذاعة:

1. حاجة أمنية :بث تعليمات الإخلاء الآمن.
2. حاجة معرفية :خرائط توزيع المساعدات.
3. حاجة انتمائية :برامج تواصل العائلات المشتتة.
4. حاجة علاجية :جلسات الدعم النفسي المباشر.

نظرية وضع الأجندة

يشرح ماكويل[12] كيف تحدد الوسائل الإعلامية أولويات الجمهور في الأسبوع الأول بعد الزلزال:

- رصدت منظمة اليونسكو [13](2023) أن إذاعة مراكش الجهوية ركزت على:
- التغطية الأولية : إنقاذ المحاصرين (70%) من المحتوى
- الأجندة المتوسطة : تنسيق المتطوعين(20%)
- الأجندة طويلة المدى : إعادة الإعمار(10%)

9 طه عبد العاطي نجم (2012). الإعلام والمجتمع. القاهرة: دار الفكر العربي
10 التقرير السنوي للهيئة العليا للاتصال السمعي البصري لسنة 2024
11 دراسة لجامعة محمد الخامس بالرباط حول الإذاعة
12 طه عبد العاطي نجم (2012). الإعلام والمجتمع. القاهرة: دار الفكر العربي
13 تقرير منظمة اليونسكو حول الاعلام لسنة 2029 عبر موقعها الالكتروني

التوصيات

1. إنشاء وحدات إعلامية خاصة بإدارة الأزمات.
2. تكوين الصحفيين في الإعلام التضامني.
3. تعزيز التعاون بين الإعلام والمجتمع المدني.
4. دعم الإذاعات الجهوية لوجستيًا وتقنيًا.

خاتمة

لقد أكدت تجربة زلزال الحوز أن الإعلام الجهوي يمكن أن يتجاوز دوره الإخباري التقليدي ليصبح فاعلاً حقيقياً في بناء جسور التضامن الوطني والتماسك المجتمعي. وقد برزت إذاعة وجدة الجهوية كأنموذج مشرق لهذا الإعلام القريب من المواطن، حيث لم تكتف برصد الأحداث ونقل الأخبار، بل ساهمت في صناعة الفعل التضامني والتطوعي من خلال تأطير المبادرات، التنسيق بين الفاعلين، وإيصال صوت الشباب والمتطوعين إلى الرأي العام.

كما تجلت من خلال الهبة التضامنية التي قادها شباب مدينة وجدة وجهة الشرق، روح وطنية عالية ووعي مدني متقدم، ما يؤكد أن المجتمع المغربي، ورغم التحديات، لا يزال يختزن طاقات هائلة تحتاج فقط إلى إعلام مسؤول يُفعلها ويوجهها

إن ما قامت به إذاعة وجدة لم يكن تغطية إعلامية عادية أم عابرة، بل مساهمة فعلية في دعم العمل الإنساني، وتثبيت قيم التآزر، وتقديم نموذج إعلامي يحتذى به في أزمنة الكوارث والأزمات.

المراجع:

طه عبد العاطي نجم (2012). الإعلام والمجتمع. القاهرة: دار الفكر العربي.

McQuail, D. (2010). McQuail's Mass Communication Theory (6th ed.). London: SAGE Publications.

وزارة الاتصال المغربية (2023). تقرير حول التغطية الإعلامية لزلزال الحوز.

التعاون الوطني المغربي. أرشيف تدخلات الدعم الاجتماعي 2023.

إذاعة وجدة الجهوية. أرشيف التغطية الخاصة بزلزال الحوز.

الحوار المتمدن-العدد: 6341 - 2019 / 9 / 4 - 05:27

المحور: العولمة وتطورات العالم المعاصر.

الموقع الإلكتروني للتعاون الوطني.

أرشف الشركة الوطنية للإذاعة و التلفزة.

طه عبد العاطي نجم (2012). الإعلام والمجتمع. القاهرة: دار الفكر العربي

الشعرية الديستوبية في "الخوض في الماء" لتريسي ك. سميث: الخراب الاجتماعي والبيئي

Dystopian Poetics in Tracy K. Smith's Wade in the Water: Social and Environmental Ruin

Widad Allawi SADDAM [1]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract

Tracy K. Smith, a former U.S. Poet Laureate, is known for addressing urgent social and political themes in her work. Her 2018 collection, *Wade in the Water*, blends dystopian elements with historical and contemporary concerns such as environmental degradation, systemic racism, and the fallout of industrialization. This paper examines the dystopian poetics of Wade in the Water (2018) by Tracy K. Smith, emphasizing how the collection depicts the junction of environmental and social devastation. Smith's poetry addresses the disintegration of historical, political, and ecological institutions, providing a profound critique of modern society's deterioration through lyrical imagery, fragmentary tales, and historical references. Utilizing intimate, collective, and environmental histories, Smith constructs a dystopian setting where both past and present endure the dire repercussions of racial, socioeconomic, and environmental injustices. Wade in the Water intricately weaves together loss, resilience, and resistance, highlighting the voices of oppressed groups and their fight for survival and justice in a deteriorating world. This essay examines how Smith's poetic style intertwines personal and communal suffering, exposing the widespread impacts of environmental degradation, colonial violence, and systematic oppression. The collection ultimately acts as summons to recognize and address the dystopian realities of the present while providing a means of collective remembrance and unity against social and environmental degradation.

Key words: Tracy K. Smith, dystopian, collapse, social ruin, environmental ruin

.

http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2-5

[1] Asst. Prof. Dr., College of Dentistry, Ibn Sina University of Medical and Pharmaceutical Sciences, Iraq
dr.wedad.allawi@ibnsina.edu.iq

Introduction

Tracy K. Smith, is a member of a notable lineage of African American poet-autobiographers, including Langston Hughes, Claude McKay, Maya Angelou, Audre Lorde, and Elizabeth Alexander. Smith's 2015 book, Ordinary Light, chronicles her losses and revisits the formative experiences that shaped her to become a poet. Her fourth poetry collection, Wade in the Water, published in 2018, reveals elements of personal, literary, and American history through acts of erasure, including a series of erasure poems that highlight the words and worlds that remain. Engaging with these texts in dialogue uncovers the insights gained via each deletion and the associated losses in the process of reclamation. (Kyler, C. 2022)

American Toxicity: Wade in the Water by Tracy K. Smith

How can one navigate through hazardous water? (Smith, 2018); in her significant fourth collection Wade in the Water, Tracy K. Smith addresses this subject through several thought-provoking methods. Smith contemplates that the water is literal, political, historical, and metaphorical. The water which people consume, is the culture they inhabit, the past they bear, and the spirituality infused in their daily existence. Smith critically examines these interactions through juxtaposition, documentary poetics, erasing techniques, secular hermeneutics, and anecdotal narration. When Smith revisits a damaged and desolate Earth, attuning herself to its grievances, sorrows, and discontent, revealing what is fundamental and superfluous to the human condition.

The core of this conflict for a universally accessible world lies in power dynamics. These dynamics significantly influence the daily lives of Americans, consciously or unconsciously; regardless of being political or domestic, and irrespective of magnitude. Power dynamics influence the drinking water supply. Water is intended to purify, restore, and rejuvenate people; but, the infiltration of unregulated harmful substances into drinking water is resulting in fatalities, both in America and globally. In the eco-poetics poem “Watershed,” Smith extracts sentences from an article detailing a lawyer's protracted legal struggle against the megacorporation DuPont. The investigation revealed decades of chemical pollution that caused illness among employees and led to significant water contamination in certain areas, as well as global damage. The second definition of watershed is: an event or period that signifies a pivotal turning point in a course of activity or state of things. The case against DuPont marked a pivotal point in environmental regulation; yet, for many, the resolution arrived too late, since the original plaintiffs succumbed to cancer after witnessing the bulk of their 200 cows suffer from illness, insanity, and death due to contaminated drinking water.

200 cows more than 600 hilly acres property would have been even larger had J not sold 66 acres to DuPont for waste from its Washington Works factory where J was employed did not want to sell but needed money poor health mysterious ailments (1-8).

It is terrible to comprehend the awful consequences of DuPont's irresponsibility; since everyone has practically been exposed to PFOA, a deadly chemical used to produce Teflon; it

is present in the blood and blood banks (Bilott, R.2020). Smith may have carried on with her day after reading this article in the NYT; however, she chose to produce a profound work of art that serves as a testament to this horrific occurrence. Smith precisely pulls unsettling segments from this literature and interlaces them with excerpts from a second text, narratives of near-death experiences, which markedly contrast in tone and subject matter. This audacious intellectual leap contributes to the excitement of contemporary poetics. This interweaving produces an almost surreal poetry that emphasizes the global health problem while contemplating the true significance of existing on the brink of life and death. The near-death experiences chosen by Smith are grounded on love, a sentiment contrary to the actions typically undertaken by companies. In the afterlife, as per these narratives, “All that was made said, done, or even thought without love was undone (Smith, 2020).

If this is our conception of the afterlife, why does humanity engage in so many actions devoid of love in our daily existence? “I hypothesize that Earth could serve as a site for education,” one near-death survivor conjectures, emphasizing the vast amount left to be learned. Smith excels in shifting her focus from the macro to the micro, from the external to the internal, and vice versa, thereby revealing the impact of political dynamics on everyday life. In the impactful documentary poem "Wade in the Water," Smith adopts the perspectives of African Americans who served in the Civil War, many of whom were once enslaved individuals. Smith accurately extracts lines and words from correspondence with family members and appeals to Abraham Lincoln for freedom and justice, organizing them into epistolary poems that illuminate the numerous injustices encountered by soldiers during the Civil War, alongside their personal anxieties regarding their families. Smith elucidates how injustices frequently lead to further injustices, with oppression often serving as the primary mechanism by which this nation functions under the guise of freedom.

Smith primarily focuses on equalizing the power dynamics, as the Declaration of Independence, arguably the nation's most significant document, is deconstructed to reveal its flaws and inherent myopia. If Earth is Eden, why do we continue to devastate its lands and resources and subjugate its inhabitants? I use the term "we" since this book implicates everyone in the collective contamination of this water (Chaplin, J. & Merchant, C. 2004).

In Wade in the Water, Tracy K. Smith delves into themes of social and environmental decay, offering a poetic lens on contemporary dystopian realities. Four poems from this collection that underscore these motifs include "Wade in the Water," "Will Tell You the Truth," "Declaration," and "An Old Story." Through these poems, Smith intertwines historical narratives with contemporary reflections, illuminating the persistent challenges of social and environmental degradation. Her work serves as a poignant reminder of the cyclical nature of oppression and the enduring hope for redemption and change. Wade in the Water is a rich collection of poems that addresses themes of history, identity, and social justice, while also engaging with the environment in ways that critique social and ecological ruin. It suggests a focus on the darker, ruinous aspects of the social and environmental landscapes.

The poem in titled "Wade in the Water," draws from African American spirituals and speaks to resilience in facing historical trauma, while also evoking imagery of the natural environment. The water in the poem serves as a symbol of both cleansing and danger, reflecting a world where history, violence, and nature intertwine. This poem bridges the past and present, underscoring a dystopian awareness of ongoing racial and environmental injustices, while also gesturing toward a possibility of spiritual survival. The poem discloses the collapse of social and natural worlds in Smith's contemporary poetry.

"One of the women greeted me.

I love you, she said.

She didn't know me,

but I believed her…" 1-4

From a social perspective, the opening lines highlight the erosion of genuine human connection in a fragmented world. The woman's unexpected declaration of love contrasts with the alienation often caused by systemic inequality and societal decay. This moment of empathy serves as a counterpoint to social ruin, where such connections are rare or undervalued.

…And a terrible new ache

Rolled over in my chest, like in a room where the drapes

Have been swept back." 5-7

The "terrible new ache" evokes the weight of collective grief and the emotional toll of witnessing social collapse. The imagery of light entering a dark room suggests awareness—a painful realization of the injustices and suffering that persist. It mirrors the experience of confronting the devastating effects of social and environmental neglect, such as systemic racism, poverty, and climate destruction. "…My man, said one of the women, / My husband, my soldier, my love…" 8-9

Through the contexts shaped by violence, war, and displacement, the poet particularly reflects on personal and social loss. The possessive declarations—"my husband, my soldier"—underscore the human cost of conflict and systemic oppression. Social ruin is apparent in the way relationships and communities are torn apart by forces beyond individual control.

"Out of the dust and mud,

Out of the ground, the air,

the water, they sang." 10-12

The imagery of "dust and mud" connects to environmental degradation and the way human activity has scarred the natural world. Singing, however, represents resilience and the human spirit's ability to rise above ruin. The mention of the earth's elements—ground, air, and water—suggests their dual role as sources of life and sites of destruction when exploited or polluted. "Wade in the water, God's gonna trouble the water." 13-14

The refrain from the spiritual ties social and environmental ruin together. “Trouble the water” has historical significance as a call for liberation, but it also evokes the turbulent state of the natural world. Rising seas, polluted rivers, and the destabilization of ecosystems reflect the environmental consequences of human neglect and exploitation. “I’m tired of walking through this world / Like I’m just here to bear witness.” 15-16

The poet captures the exhaustion of living amidst societal and environmental decay. The speaker’s weariness points to the overwhelming nature of systemic problems, from racial injustice to climate change. It critiques passive observation and implies the need for active engagement and accountability in addressing these crises.

“Something is singing in the stone,

Something is trying to make its way to the surface

Of my body.” 17-19

Smith utilizes “singing in the stone” to symbolize buried truths and histories; both social and environmental that demand acknowledgment. The earth itself (“stone”) turns out to be a repository of memory, which bears the scars of exploitation and destruction. She refers to the call to action or a desire for renewal by using “something” that tries to surface. Despite the ruin that happens to the earth, there is a potential for healing and transformation. The poet addresses the historical and current impact of systemic oppression, including slavery, war, and marginalization. She highlights the fragmentation of human relationships and communities in the face of social injustices that refrain from the spiritual underscores the resilience and resistance of marginalized groups. The images of “dust and mud” and references to natural elements like stone and water draw attention to humanity’s destructive relationship with the environment. The troubled waters caused by human actions can be read metaphorically for ecological instability The poem suggests that environmental degradation is intertwined with social exploitation and historical injustices. The natural world serves as both a witness to and a participant in the human struggle for justice and survival. The resilience of the human spirit, signified over singing and spirituals, parallels the enduring strength of the earth, even as both are scarred by misuse and abandonment.

Smith wrote a contemporary lyric poem that takes fragments of the “Declaration of Independence”; she names it “ Declaration” to highlight the historical racial oppression and inequality in the United States during the time of this important document which did not consider ending slavery. Smith uses her striking voice as a Black female poet, to focus on the hypocrisy of the concepts about freedom put forward in the “Declaration of Independence.” By uncovering certain words, Smith reveals the voices of the“Declaration” is a found blackout poem. In contrast of this document, Thomas Jefferson who wrote much of the original of it, was himself an enslaver. Smith turns in “Declaration,” Jefferson’s words about oppression caused by King George III back against Jefferson. She uses this pivotal text in American politics to show the atrocities of the slave trade and the system of slavery

that built the young nation. Moreover, “Declaration” confirms how these early failings of the United States government continue to have an impact on the 21st century. The text contains some lines of the original document, for that reason, the poem is printed in italics; and also contains spaces that bring specific attention to that document; which the poet kept for their poignancy to the struggle of Black Americans. It emphasizes a dystopian sense of social ruin, where the promises of equality and freedom are overshadowed by oppression and exploitation. The poem critiques the nation’s foundation and points to a future haunted by the unresolved legacies of its past.

He has

sent hither swarms of Officers to harass our people

He has plundered our—

ravaged our—

destroyed the lives of our—

taking away our—

abolishing our most valuable—

and altering fundamentally the Forms of our—

In every stage of these Oppressions We have Petitioned for

Redress in the most humble terms:

Our repeated

Petitions have been answered only by repeated injury.

We have reminded them of the circumstances of our emigration

and settlement here.

—taken Captive

on the high Seas

to bear—

The poem highlights social ruin by showcasing how the country's fundamental document was blind to the brutality of slavery, a systemic injustice built into the very foundation of the nation. Smith’s manipulation of the text leaves behind only the words that expose the historical oppression of African Americans, emphasizing how ideals like "life, liberty, and the pursuit of happiness" excluded entire populations.

The dystopian poetics stem from disillusionment with national myths and the realization that the promise of freedom has been historically undermined. The poem presents a ruined social order, one that perpetuates inequality and violence under the guise of democracy. While "Declaration" primarily focuses on human exploitation, the environmental implications of these systems are inextricably linked. The colonial mindset critiqued in the poem is also responsible for the extraction and degradation of natural resources. The violence inflicted upon people parallels the violence inflicted upon the

environment a recurring theme in discussions of environmental ruin. The language of destruction and death in the poem can be interpreted as a broader indictment of humanity's unsustainable relationship with the planet.By repurposing the Declaration of Independence, Smith challenges readers to confront the hard truths about the cost of liberty as presented in American history. This confrontation is essential for tackling both social and environmental disasters. The poem reveals the harm done to marginalized populations while also tacitly demanding accountability for the exploitation of the Earth, which is treated with the same contempt as the oppressed.

To reveal another truth about the suffering of the marginalized people Smith continues to reflect her voice through writing poems; she wrote the poem "I Will Tell You the Truth About This, I Will Tell You All About It" as a letter written during the Civil War by African American soldiers and their families. African Americans were supposedly "released" by fighting for the Union, yet they nevertheless faced racial brutality and systematic oppression in this dystopian past. Smith paints a realistic picture of the Civil War experiences of African American soldiers and their families. The sequence, which is based solely on historical records, features deposition statements from African American veterans, their widows, and descendants who are seeking their due pensions, as well as the voices of a mother begging President Lincoln to release her son from the army and a soldier sending love to his children back home. The poem also reflects the emotional toll of this neglect. The voices of mothers, wives, and soldiers converge in shared suffering, representing the fracturing of community ties under oppressive conditions. Social ruin manifests not only in economic exploitation but also in the disintegration of familial bonds and communal support systems. The dystopian environment is marked by war, racial injustice, and the deep social fractures that persisted even after emancipation. This poem illustrates how a society built on racial hierarchies fails to uphold its promises of justice and equality, a thematic echo of dystopian collapse.The poet presents racial injustice and unfulfilled promises, Historical trauma and exploitation, and social and ideological collapse.

"I will tell you the truth about this, I will tell you all about it.
Excellent sir, my son went in the 54th regiment."1-3

The poem begins with a solemn declaration of truth, reflecting the speaker’s earnest desire to convey the hardships faced by African American soldiers. By referencing the 54th regiment, a famous African American unit, the speaker underscores their family's personal sacrifice and involvement in the fight for freedom. This opening sets a tone of sincerity and urgency, hinting at the social injustice the speaker is about to reveal. The voices in the poem speak from a place of profound disenfranchisement, highlighting the systemic failures that undermine the humanity of African American soldiers. These men and their families escaped the horrors of slavery, and found themselves ensnared in a new system of oppression. The phrases “we never was freed yet” and “run right out of slavery into soldiery” reveal the unbroken chain of exploitation. Soldiers receive inadequate pay, face dismissal, and endure neglect, while their families perish in poverty. The dogged plea for “fair play”

underscores the persistent inequities that constitute social ruin: a societal structure that consistently prioritizes the interests of power over justice and equity.

Although the poem doesn't specifically indicate the environment, its themes of systemic neglect and extraction resonate deeply with environmental ruin. As example of this ruin, is the enslaved and oppressed who were often forced to labor in agriculture and industrial sectors, directly tied to the exploitation of natural resources. The soldiers in the poem, pulled from fields and factories, represent the laboring class that bore the brunt of environmental degradation while being denied its benefits. The same structures that dehumanized these individuals also perpetuated unsustainable practices, depleting the land and polluting ecosystems.

"Sir, my husband who is in Company K, 22nd regiment, U.S. colored troops,

And now in the Macon Hospital at Portsmouth with a wound in his arm,

Has not received any pay since last May, And then only $13." 4-7

The poem highlights the systemic inequities that African American soldiers faced. The husband's injury underscores the physical toll of war, yet his service is met with financial neglect. The inconvenience and the delay of payment symbolize how these soldiers were undervalued, exposing broader social disparities. Despite its demands for sacrifices, the government failed to provide basic compensation, deepening the soldiers' and their families' struggles.

The poem suggests that systemic exploitation damages both society and the environment, often targeting the most vulnerable populations. The same forces that perpetuated racial inequality also facilitated the environmental degradation that disproportionately affected marginalized communities. African American laborers, subjected to physical and emotional ruin, were deeply entangled with the land, their suffering entwined with the soil they were forced to till. Smith's poem implicitly invites readers to reflect on this intersection and to consider how histories of oppression continue to inform current crises.

Call the attention of Your Excellency to our case.

For instance, look and see that we never was freed yet.

Run right out of slavery into soldiery and we hadn't nothing at all." 8-11

The line *"we never was freed yet"* suggests that although they were legally emancipated, they continued to face oppression, exploitation, and denial of rights. The transition from slavery to soldiering was not accompanied by meaningful liberation or support, leaving them in a state of destitution and neglect. *"we hadn't nothing at all"* highlights the soldiers' vulnerability and lack of resources. their impoverished state, coupled with references to their "perishing", hints at the ecological damage and dislocation they faced. Crops, homes, and livelihoods were often destroyed, leaving families vulnerable.

"I am willing to be a soldier and serve my time faithful like a man.
But I think it is hard to be put off in such doggish manner as that.

Will you see that the colored men fighting now are fairly treated?
You ought to do this and do it at once."

The poet repeats his devotion words about the ones who serve faithfully, despite the injustices they face. The phrase “doggish manner” illustrates the dehumanizing treatment endured by African American soldiers, equating it to the conditions of servitude. The direct appeal for fair treatment emphasizes the urgent need for justice and equality, suggesting that the delay in addressing these issues only intensifies the harm.

"Not let the thing run along. Need it quickly and manfully.
We poor oppressed ones appeal to you and ask fair play.
So please, if you can do any good for us, do it in the name of God." 18-20

The poem conveys an urgent plea for immediate action. The repetition of “quickly” and “manfully” implies both a sense of frustration and an appeal to the authority’s moral responsibility. The invocation of “God” adds a spiritual dimension, highlighting the speaker’s belief in the righteousness of their cause and the moral obligation to intervene.

"Excuse my boldness, but please, your reply will settle the matter
And will be appreciated by a colored man
And who is willing to sacrifice his son in the cause of freedom and humanity."

The final lines reflect the speaker’s desperation and humility. The mention of sacrificing a son emphasizes the immense personal cost borne by African American families. By framing the request as one of fairness and humanity, the speaker reinforces the moral weight of their appeal.

"I have nothing more to say.
Hoping that you will lend a listening ear.
To a humble soldier.
I will close, your for Christ’s sake.
I shall have to send this without a stamp.
For I h’ain’t money enough to buy a stamp."

The poem ends on a poignant note of humility and poverty. The lack of funds to purchase a stamp encapsulates the depth of their struggle, serving as a powerful metaphor for systemic neglect. The speaker’s appeal “for Christ’s sake” underscores their desperation and faith in the potential for moral action.

The poem paints a multifaceted picture of societal and environmental degradation. It portrays the ongoing hardships that African American soldiers and their families face. It brings attention to structural injustices, emotional pain, and financial hardship. Each verse elaborates on the theme of betrayal by a society that demanded their loyalty yet denied them justice and dignity. The speaker's unwavering confidence in both humanity and God highlights the resilience of oppressed communities when faced with dire situations. This poem powerfully captures the ecological and societal devastation caused by conflict. It highlights the hardships faced by African American soldiers who, despite taking on the role

of freedom defenders, continued to be bound by institutionalized discrimination and disregard. The speaker emphasizes the moral fortitude and tenacity of the underprivileged in the face of devastating circumstances by calling for justice and humanity. Their predicament is a potent reminder of how closely environmental health and social justice are related.

Another poem in the title "An Old Story" presents a clear reflection of dystopian poetics. it displays a vision of an apocalyptic world ravaged by violence, hate, and environmental destruction. This poem is, where Smith imagines a future where everything has decayed: society has collapsed, and humanity has lost its way. The poem is both a cautionary tale and a hopeful vision. It starkly portrays the consequences of unchecked human greed and the potential collapse of both natural and social systems. Yet it also gestures toward the possibility of regeneration, urging humanity to rediscover its capacity for empathy, humility, and stewardship. By linking social and environmental ruin, Smith challenges readers to consider the interconnectedness of all life and to take collective action toward a more sustainable and compassionate future.

In this dystopian world, environmental and social ruin are intertwined. The imagery of the natural world in the poem—floods, fires, and barrenness—suggests a collapse of the planet's ecosystems alongside the collapse of human morality. However, despite the overwhelming despair, Smith offers a faint glimmer of hope as she envisions renewal through collective memory and a return to a more harmonious relationship between people and the earth. The poem represents the cyclical nature of dystopia and hope, where the world is destroyed but contains the potential for rebirth. The vision of dystopia here is both environmental (climate ruin) and social (collapse of moral order and community), but Smith reminds readers that from these ashes, something new and possibly better might emerge.

"An Old Story" poetically examines humanity's destructive tendencies and the possibility of renewal. The poem's vivid imagery and cyclical narrative evoke both social and environmental ruin, while ultimately suggesting the potential for reconciliation with the natural world and with one another. Through this lens, Smith intertwines the social and environmental, showing how their interdependence shapes the trajectory of human existence.

The poem opens with an ominous reflection: "We were made to understand it would be / Terrible." This sets the tone for an exploration of environmental degradation driven by human greed and unchecked desire. Words like "livid" and "ravaged" describe a landscape in turmoil, mirroring the catastrophic consequences of humanity's exploitation of natural resources. The "epic wind" becomes a metaphor for the chaos wrought by a society that has prioritized consumption over conservation, leaving the land broken and depleted.

We were made to understand it would be

Terrible. Every small want, every niggling urge,

Every hate swollen to a kind of epic wind. 1-3

Parallel to environmental collapse is the theme of social disintegration. The "worst in us" refers to humanity's capacity for hatred, selfishness, and violence, which exacerbates not only environmental destruction but also societal breakdown. The poem's depiction of a society where the worst impulses dominate reflects the erosion of collective values, leaving communities fractured and incapable of meaningful repair.

Livid, the land, and ravaged, like a rageful

dream. The worst in us having taken over

and broken the rest utterly down. 4-6

This societal ruin is not only destructive but self-perpetuating. Smith's description of a "long age" passing suggests stagnation, a period where humanity is unable or unwilling to confront its failures. The disconnection between people and the environment is mirrored in the alienation among individuals, further compounding the damage. Smith's portrayal of a devastated environment highlights the fragility of ecosystems under relentless strain. The phrase "how little would survive us" underscores the long-term consequences of human action, reminding readers that the natural world, once abundant, may not recover from the harm inflicted by unsustainable practices.

A long age

Passed. When at last we knew how little

Would survive us—how little we had mended 7-9

Despite the bleakness, Smith offers a vision of redemption. The awakening of "something / Large and old" signals a shift in consciousness, an acknowledgment of humanity's shared responsibility. The resurgence of "animals long believed gone" symbolizes the resilience of nature and its capacity for recovery when given the chance.

The transformation is also social. The act of singing, a collective expression of humanity's capacity for creation and connection, brings about a "different manner of weather." This shift represents a reconciliation, both with the natural world and among people. The final lines, where humanity marvels at the return of color and life, suggest a profound rediscovery of beauty, humility, and interdependence.

Or built that was not now lost—something

Large and old awoke. And then our singing

Brought on a different manner of weather. 8-10

Then animals long believed gone crept down

From trees. We took new stock of one another.

We wept to be reminded of such color.11-13

Smith's poem highlights the interconnectedness of social and environmental ruin. The degradation of the land and the fracturing of human relationships are not separate phenomena but parallel outcomes of the same destructive tendencies. By depicting their

recovery as intertwined, the poem argues that solutions must also be holistic. Humanity's ability to mend relationships with each other and the environment is presented as the key to survival and renewal.

Conclusion

Tracy K. Smith creates a lyrical setting in Wade in the Water where the political and personal cross to expose the dystopian undercurrents of America's social and environmental woes. Her poems offer not just a mirror to group suffering but also a silent protest against silence and erasure as they negotiate historical trauma, environmental damage, and systematic injustice. Smith provides voice to the voiceless and makes clear the creeping violence of environmental and social breakdown by combining archive materials, spiritual allusion, and lyrical clarity. Her apocalyptic poetics ultimately serve as a call to witness, to recall, and to recover agency, not as a vehicle for only sadness. Wade in the Water is therefore a necessary literary reaction to modern catastrophe, reminding readers of both the fragility of our planet and the continuing power of artistic testimony.

Tracy K. Smith's *Wade in the Water* examines dystopia through both historical and contemporary lenses. The poems explore the persistent social injustices that underpin society, including racial oppression, the commodification of human life, and the failure of national ideals. At the same time, Smith's work touches on environmental ruin and how the degradation of the natural world parallels the moral collapse of societies. These poems convey the weight of historical trauma, while also contemplating the possibility of transformation and renewal in a world fractured by systemic inequality and destruction.

It can be concluded that Tracy K. Smith uses dystopian poetics to probe the ways that human societies fail and to ask what it means to survive in a world that is morally and ecologically crumbling. Her poems call attention to the cycles of destruction and the faint but persistent hope for healing and redemption.

References:

Bilott, R. (2020). *Exposure: Poisoned water, corporate greed, and one lawyer's twenty-year battle against DuPont*. Atria Books.

BookRags. (n.d.). *Wade in the Water: Poems - Summary & Study Guide*. Retrieved from https://www.bookrags.com/studyguide-wade-in-the-water-poems/

Chaplin, J., & Merchant, C. (2004). *Reinventing Eden: The fate of nature in Western culture*. *Environmental History, 9*(4). https://doi.org/10.2307/3986268

Kyler, C. (2022). Water and light: Erasure and recovery in the work of Tracy K. Smith. CEA Critic, 84*(3), 240–245.*

Harvard Review. (n.d.). *Wade in the Water by Tracy K. Smith*. Harvard Review. Retrieved from https://www.harvardreview.org/book-review/wade-in-the-water/

Smith, T. K. (2018). *Wade in the Water: Poems*. Graywolf Press.

Tracy K. Smith, "An Old Story" from Wade in the Water. Copyright © 2018 by Tracy K. Smith. Reprinted by permission of Graywolf Press, www.graywolfpress.org.

Kaufman Music Center

https://www.kaufmanmusiccenter.org › mch › event › i-will-tell-you-the-truth-about-it-i-will-tell-you-all-about-it

Smith, T. K. (2011). *Watershed*. In *Life on Mars* (pp. 60–61). Graywolf Press.

Smith, T. K. (n.d.). Commentary on near-death experiences and global health threats. The New York Times.

Smith, J. M. (2020). Interweaving tragedy and transcendence: The poetics of Tracy K. Smith. Harvard University Press.

Smith, T. K. (2018). Declaration. In *Wade in the water*. Graywolf Press.

دور الابتكار المالي في المصارف العراقية وتأثيره على استراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة: دراسة مستقبلية

Description In Rajih Al-Hilli's Poetry

بلسم حسين رهيف [1]

لواحظ خليل ابراهيم [2]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract

The current research aims to demonstrate the role of financial innovation in Iraqi banks, with dimensions (innovation in financial products, process innovation, technological innovation, and institutional innovation), and its impact on the financial management strategies of startups, with dimensions (customer focus, rapid growth, market adaptation, and effective resource management) in a sector where keeping pace with technology is one of the most important elements of its sustainability and excellence. The research is based on a main hypothesis, which is (there is a statistically significant relationship between the requirements of financial innovation in Iraqi banks and its impact on the financial management strategies of startups). The descriptive, historical, analytical, quantitative, and statistical methods were used, and the questionnaire was adopted as a tool for collecting data and information from a sample of (50) individuals in positions such as (authorized manager, deputy authorized manager, department director, section director, deputy section director, branch official, and unit official). The statistical program (SPSS) was used to calculate (the arithmetic mean, standard deviation, coefficient of variation, F-test, coefficient of determination R2, X2 test, and T-test). We can confirm that financial innovation has a significant impact on the financial management strategies of startups, while emphasizing that there are other factors that may also contribute to determining the changes in this dependent variable. The research is divided into four sections: The first section deals with the research methodology. The second section includes the basic concepts of the research. The third section is concerned with analyzing the research results and testing its hypotheses. The fourth section comes to confirm the most important conclusions and recommendations reached by the research.

Keywords: Financial innovation, fintech, startups..

http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2-6

[1] Lect. Balsam Hussain RAHEEF, Post-Graduate Institute for Accounting and Financial Studies, University of Baghdad, Iraq balsam@pgiafs.uobaghdad.edu.iq

[2] Lect. Dr. Lawhedh Khaleel IBRAHIM, Post-Graduate Institute for Accounting and Financial Studies, University of Baghdad, Iraq lawhedh.k 491@cis.uobaghdad.edu.iq

الملخص:

يهدف البحث الحالي إلى بيان دور الابتكار المالي في المصارف العراقية ذات الأبعاد (الابتكار في المنتجات المالية، الابتكار في العمليات، الابتكار التكنولوجي، الابتكار المؤسسي) وتأثيره على استراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة ذات الأبعاد (التركيز على العميل، النمو السريع، لتكيف مع السوق، إدارة الموارد بفعالية) في قطاع يعد مواكبة التكنولوجيا أحد أهم عناصر ديمومته وتفوقه، استند البحث على فرضية رئيسة تمثلت بـ(وجود علاقة تأثير معنوية ذات دلالة إحصائية لمتطلبات الابتكار المالي في المصارف العراقية وتأثيره على استراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة)، واستخدام المنهج الوصفي التاريخي والتحليلي الكمي والإحصائي واعتماد الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات من العينة البالغ عددها (50) ممن هم بموقع (مدير مفوض، م. مدير مفوض، مدير دائرة، مدير قسم، م. مدير قسم، ومسؤول شعبة، ومسؤول وحدة)، واستخدم البرنامج الإحصائي (SPSS) لاحتساب (الوسط الحسابي، والانحراف المعياري، ومعامل الاختلاف، واختبار F, ومعامل التحديد R2, واختبار X2, واختبار T,) يمكننا التأكيد على أن الابتكار المالي له تأثير معنوي على إستراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة، مع التأكيد على أن هناك عوامل أخرى قد تساهم أيضًا في تحديد التغيرات في هذا المتغير التابع.

قسم البحث إلى أربعة مباحث: - اختص المبحث الأول: بمنهجية البحث، أما المبحث الثاني: فقد تضمن المفاهيم الأساسية للبحث، واهتم المبحث الثالث: بتحليل نتائج البحث واختبار فرضياته، أما المبحث الرابع: فقد جاء ليؤكد أهم الاستنتاجات والتوصيات التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: الابتكار المالي، التكنولوجيا المالية، الشركات الناشئة.

المقدمة

تُعد استراتيجيات الشركات الناشئة والابتكار المالي عنصرين متكاملين يسهمان في تعزيز تنافسية واستدامة الشركات الناشئة في بيئة الأعمال الحديثة. يمثل الابتكار المالي فرصة للشركات الناشئة لتحسين كفاءتها والوصول إلى موارد مالية جديدة، بينما توفر الشركات الناشئة بيئة خصبة لتجريب هذه الابتكارات وتطويرها. لذا، من الضروري دعم هذه العلاقة من خلال سياسات تنظيمية وبرامج تمويلية تعزز من تكامل الابتكار المالي واستراتيجيات الشركات الناشئة.

المبحث الأول منهجية البحث

أولا: مشكلة البحث

في ظل التطورات التكنولوجية المتسارعة في القطاع المالي على مستوى العالم، أصبح الابتكار المالي ضرورة أساسية لتحسين كفاءة العمليات المصرفية وتعزيز القدرة التنافسية. ومع ذلك، تواجه المصارف في العراق تحديات كبيرة فيما يتعلق بتبني الابتكارات المالية نتيجة للقيود التنظيمية، ضعف البنية التحتية التكنولوجية، ونقص الوعي المالي. هذا يعوق قدرة المصارف على تحقيق التحول الرقمي الكامل والاستفادة من الابتكارات المالية في تحسين الأداء والكفاءة.

في الوقت نفسه، تعاني الشركات الناشئة في العراق من صعوبات كبيرة في الحصول على التمويل وإدارة مواردها المالية بفعالية، مما يحد من قدرتها على النمو والتوسع. ورغم أن الابتكار المالي يوفر حلولًا جديدة لهذه الشركات، فإن تأثيره على استراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة في العراق لا يزال غير مدروس بشكل كافٍ، لهذا يمكن القول ان مشكلة البحث تتلخص بالإجابة عن.

1- دراسة تأثير الابتكار المالي في المصارف العراقية على استراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة

2- تحليل العوائق التي تعيق تبني هذه الابتكارات والفرص التي يمكن أن تسهم وصول الشركات الناشئة إلى مصادر تمويل جديدة بطرق أكثر مرونة وكفاءة.

ثانياً: فرضيات البحث

يوجد تأثير إيجابي للابتكار المالي في المصارف العراقية على تحسين وسائل تمويل للشركات الناشئة.

ثالثاً: الأساليب الإحصائية المعتمدة في البحث

تم استخدام المعالجات الإحصائية باستخدام البرنامج الإحصائيSPSS:

النسب المئوية والتكرارات والمتوسط الحسابي / يعكس تكرار عينة البحث.

اختبار (Alpha Cronbach،s) / يعكس ثبات فقرات الاستبانة.

معامل ارتباط بيرسون ليعكس درجة الارتباط والصدق البنائي للاستبانة.

رابعاً: مجتمع الدراسة وعينة البحث

تم اختيار عينة بحثية تمثل مجتمع الدراسة المكون من:

العاملين في المصارف العراقية :حيث تم اختيار موظفين من مختلف المستويات الإدارية في المصارف التي تبنت الابتكار المالي، بالإضافة إلى المصارف التقليدية لمقارنة تأثير الابتكار المالي.

أصحاب الشركات الناشئة في العراق :تم استهداف الشركات الناشئة التي تعتمد على الخدمات المصرفية المبتكرة أو التي تتأثر بتطبيق الابتكارات المالية في إدارة مواردها المالية.

تم استخدام تقنية العينة العشوائية الطبقية لتحديد حجم العينة المناسب، حيث شملت الدراسة ما يقرب من 50 مشاركاً (25) من العاملين في المصارف (المصرف الأهلي العراقي والبنك الإسلامي العراقي زين كاش الشركة العالمية للبطاقة الذكية (25) من أصحاب الشركات الناشئة) Wayl وَيل*[3]، Lezzoo ليزو**[4] لعام 2024.

المبحث الثاني: الابتكار المالي

أولاً: المفهوم:

الابتكار ليس مجرد تحسين للمنتجات أو العمليات، بل هو تغيير استراتيجي شامل يهدف إلى خلق أسواق جديدة أو إعادة تشكيل الأسواق القائمة (EY ,2019 p23,) ويُعرف الابتكار المالي بأنه عملية مستمرة تهدف إلى تحسين جودة وكفاءة الخدمات المالية من خلال تطوير تقنيات وأدوات جديدة تلبي الاحتياجات المتغيرة للزبائن وتعزز كفاءة المؤسسات المالية. أو وفقًا لتعريف منتدى الاقتصاد العالمي يُشير الابتكار المالي إلى "العملية التي يتم من خلالها إدخال منتجات أو عمليات أو تقنيات مالية جديدة إلى السوق بهدف تحسين الكفاءة وتوسيع نطاق الوصول إلى الخدمات المالية." يشمل هذا الابتكار تحسين الأدوات المالية التقليدية، إلى جانب تطوير وسائل حديثة تسهم في تحقيق الشمول المالي وتعزيز الأداء المؤسسي.

ثانيا: الأبعاد:

<u>ويمكن تصنيفها إلى أربعة محاور رئيسية:</u>

أ- الابتكار في المنتجات المالية(Flammer, 2020. p53) :

يشير هذا المتغير إلى تطوير أدوات مالية جديدة تلبي احتياجات الأسواق المتغيرة. ومن أبرز الأمثلة) المشتقات المالية التي تُستخدم كأدوات لإدارة المخاطر وتقليل تقلبات السوق. تُعد هذه الأدوات ركيزة أساسية في استراتيجيات التحوط المالي والسندات الخضراء التي تركز على تمويل المشاريع البيئية والمستدامة، مما يعزز من دور القطاع المالي في تحقيق الأهداف البيئية العالمية والخدمات المصرفية الرقمية : مثل المحافظ الإلكترونية ومنصات التداول عبر الإنترنت، التي تقدم حلولًا مالية مريحة وفعالة للعملاء).

ب- الابتكار في العمليات(Gomber et al., 2018) :

يركز هذا النوع من الابتكار على تحسين الكفاءة التشغيلية للمؤسسات المالية بأتمتة العمليات المالية لتحليل البيانات وتحسين القرارات المالية، بهدف رفع الكفاءة وتقليل الأخطاء، أو من خلال توفير معاملات إلكترونية تمكن زبائن المصرفين تنفيذ معاملاتهم المالية بشكل ذاتي دون الحاجة للتعامل المباشر مع الموظفين.

[3] منصة لتحويل تجار السوشيال ميديا إلى أعمال رسمية، شهدت نموًا في الدفعات الإلكترونية بنسبة 11 ضعفًا في 2024، وتعاونت مع المصرف العراقي الأول لدعم الدفع عبرQR / شركة ناشئة مختصة بالتكنولوجيا المالية.

[4] تطبيق سوبر للتوصيل والخدمات، أطلق منصة "جيران" للتجارة الاجتماعية، وغطى أكثر من 50% من السوق العراقية في 2024/ شركة ناشئة مختصة بالتجارة الإلكترونية.

ج-الابتكار التكنولوجي:.(Nakamoto, 2008) :

يعتمد هذا المتغير على توظيف التكنولوجيا الحديثة لتحسين الخدمات المالية كمنصات الدفع الإلكتروني تقنية البلوكشين تُستخدم لتعزيز الشفافية والأمان في تسجيل البيانات المالية وإتمام المعاملات.

د-الابتكار المؤسسي:

إعادة هيكلة المؤسسات المالية لتكون أكثر مرونة وكفاءة في مواجهة تحديات السوق تطوير نماذج الأعمال مثل منصات التمويل الجماعي والبنوك الافتراضية، التي تُمكّن المؤسسات من تقديم خدمات مبتكرة بتكاليف أقل (Gomber et al., 2018).

ثالثا: الأهمية:

أ- **تحسين الأداء المالي** يسهم الابتكار المالي في تعزيز الكفاءة التشغيلية وإدارة الموارد بشكل أكثر فاعلية، مما يؤدي إلى (تقليل التكاليف التشغيلية، زيادة الربحية الإجمالية للمؤسسات المالية(Gomber et al., 2018)

ب- **تعزيز الشمول المالي** يمكن للابتكار المالي تقديم حلول مبتكرة للوصول إلى الفئات غير المشمولة ماليًا، خاصة في المناطق النائية والمجتمعات منخفضة الدخل مثل تطبيقات الدفع الرقمي التي تتيح الوصول إلى الخدمات المالية بسهولة وبتكلفة منخفضة(Sahay et al., 2020) .

ج-**تعزيز المكانة التنافسية للمصرف.**

المبحث الثاني: الشركات الناشئة

أولا: المفهوم:

تُعرف الشركات الناشئة وفقًا لـ(Blank & Dorf, 2012) بأنها كيانات صغيرة ومرنة تركز على تطوير نماذج أعمال مبتكرة للتعامل مع احتياجات السوق، تتبع نهجًا ديناميكيًا في تطوير منتجاتها واختبارها في السوق. وتتمتع الشركات الناشئة بميزة تنافسية رئيسية تتمثل في السرعة على التكيف توجيه الموارد المحدودة بشكل استراتيجي لتحقيق أقصى تأثير.

ثانياً: استراتيجيات الشركات الناشئة :

في بيئة الأعمال الديناميكية اليوم، أصبحت الشركات الناشئة القوة الدافعة للاقتصادات الحديثة. تستند هذه الشركات إلى نماذج عمل مرنة ومبتكرة، مما يجعلها قادرة على التكيف مع التغيرات السريعة في السوق من خلال تبني الإستراتيجيات التالية (التميمي، 2024، ص88)

1-التركيز على العميل "التعلم من العملاء":

الشركات الناشئة تركز بشكل أساسي على فهم احتياجات العملاء وتقديم حلول مبتكرة تلبي تلك الاحتياجات.

2- النمو السريع:

عبر تصميم نماذج أعمال قابلة للتوسع باستخدام التكنولوجيا الرقمية وتطوير قنوات توزيع مرنة للوصول إلى قاعدة عملاء أوسع.

3-التكيف مع السوق:

أهمية المرونة والقدرة على التمحور لتجنب الفشل.

4- إدارة الموارد بفعالية:

تبني استراتيجيات مبتكرة لإدارة رأس المال والموارد البشرية والتكنولوجية.

ثالثا: الابتكار المالي والشركات الناشئة (ضياء، الشكرجي، 2022، ص. 6)

1- توسيع فرص التمويل من خلال مصادر تمويل غير تقليدية.

2- خفض التكاليف التشغيلية :عبر استخدام حلول التكنولوجيا المالية لتحسين كفاءة العمليات.

3- إدارة المخاطر :تقدم الأدوات المالية الحديثة لمواجهة تقلبات الأسواق.

4- تعزيز الشفافية : تزيد حلول التكنولوجيا المالية من شفافية العمليات المالية.

رابعاً: التحديات المرتبطة بالابتكار المالي (عبد الله &كريم، 2021، ص208)

1- التنظيم والقوانين:

يواجه الابتكار المالي تحديات تنظيمية، حيث تسعى الحكومات إلى تحقيق التوازن بين تعزيز الابتكار وحماية حقوق المستثمرين والمستهلكين.

2- القبول المجتمعي:

قد تتردد بعض الشركات أو العملاء في تبني حلول مالية مبتكرة بسبب نقص الوعي أو عدم الثقة بالتكنولوجيا.

3-التحديات التقنية:

يتطلب الابتكار المالي بنية تحتية تقنية متقدمة وتوافر الكفاءات اللازمة.

المبحث الثالث: الجانب التطبيقي للبحث

يهدف المبحث إلى التأكد من صدق الاستبانة وثباتها فضلا عن توفر البيانات اللازمة لاختبار فرضيات البحث من خلال إجراء التحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي، ومن ثم اختبار الصدق والثبات وعلى النحو الآتي:

أولا: ترميز متغيرات البحث وأبعادها الواردة في الاستبانة:

تضمنت الاستبانة متغيرين أساسيين (الابتكار المالي، استراتيجيات الإدارة المالية) وتم قياس المتغير المستقل من خلال (الابتكار في المنتجات المالية، الابتكار في العمليات، الابتكار التكنولوجي، الابتكار المؤسسي) أما المتغير التابع فقد تم قياسه باعتماد المؤشرات (التركيز على العميل، النمو السريع، التكيف مع السوق، إدارة الموارد بفعالية) .

1-تحليل البيانات الديموغرافية لعينة البحث:

يعرض الجدول أدناه البيانات الديموغرافية لعينة البحث وفق الآتي :

جدول (1) الخصائص الديمغرافية لأفراد عينة الدراسة

المتغير	الفئة	التكرار	النسبة(%)
الفئة العمرية	من 25 إلى أقل من 35 سنة	26	43.3
	من 35 إلى أقل من 45 سنة	18	30.0
	50سنة فأكثر	16	26.7
الموقع الوظيفي	مدير مفوض	2	3.3
	معاون مدير مفوض	4	6.7
	مدير دائرة	4	6.7
	رئيس قسم	6	10.0
	مواقع وظيفية أخرى	44	73.3
المؤهل العلمي	إعدادية	2	3.3
	دبلوم	6	10.0
	دبلوم عالي	8	13.3
	بكالوريوس	22	36.7
	ماجستير	14	23.3
	دكتوراه	8	13.3
سنوات الخدمة	أقل من 10 سنوات	16	26.7
	من 10 إلى أقل من 20 سنة	22	36.7
	من 20 إلى أقل من 30 سنة	14	23.3
	30 سنة فأكثر	8	13.3

المصدر : إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج.SPSS V.25

من خلال جدول (1) يتبين للباحث إن أظهرت البيانات الخاصة بعينة الدراسة توزعاً متنوعاً من حيث الفئات العمرية، الموقع الوظيفي، المؤهل العلمي، وسنوات الخدمة وفيما يتعلق بالفئة العمرية، كانت الفئة الأكثر تمثيلاً هي من 25 إلى أقل من 35 سنة بنسبة 43.3%، مما يعكس إقبال الشباب على المشاركة في الدراسة. تلتها الفئة العمرية من 35 إلى أقل من 45 سنة بنسبة 30%، بينما كانت الفئة العمرية 50 سنة فأكثر أقل تمثيلاً بنسبة 26.7% وأما الموقع الوظيفي، فقد تبين أن الغالبية العظمى من المشاركين يشغلون مواقع وظيفية غير قيادية بنسبة 73.3%، بينما كانت الوظائف القيادية تشكل نسبة 26.7% فقط. من بين الوظائف القيادية، كان رؤساء الأقسام أكثر تمثيلاً بنسبة 10%، فيما يخص المؤهل العلمي، كانت نسبة حملة البكالوريوس هي الأعلى، حيث بلغت 36.7%، تلتها فئة حملة الماجستير

بنسبة 23.3%. أما حملة الدبلوم العالي فقد شكلوا 13.3%، في حين كانت نسبة حملة الإعدادية هي الأقل بنسبة 3.3% وأخيرًا، فيما يتعلق بسنوات الخدمة، كانت الفئة التي تمتلك خبرة من 10 إلى أقل من 20 سنة الأكثر تمثيلًا بنسبة 36.7%، تلتها الفئة التي تمتلك خبرة أقل من 10 سنوات بنسبة 26.7%. أما فئة أكثر من 30 سنة فقد شكلت 13.3% فقط.

2-اختبار التوزيع الطبيعي للبيانات:

جدول(1) اختبار التوزيع الطبيعي لبيانات الدراسة

نوع ومعالم الاختبار المتغيرات وأبعادها	Kolmogorov-Smirnov		
	إحصاءه الاختبار	قيمة المعنوية	معنوية الاختبار
الابتكار المالي	0.175	.000	معنوي
استراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة	0.078	0.200	معنوي

المصدر :إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج.SPSS V.25

التناسق بين مكونات المقياس (الفا كرونباخ) يشير ثبات المقياس إلى مدى اتساق الأسئلة في قياس الغرض نفسه، ويعكس قدرة المقياس على تكرار النتائج نفسها عند استخدامه مجددًا. يُستخدم معامل ألفا كرونباخ لقياس الاتساق الداخلي لفقرات المقياس وأبعاده، وتعتبر قيمته مقبولة إذا كانت 0.70 أو أكثر. أما إذا كانت أقل، فإن الاتساق الداخلي يُعتبر ضعيفًا.

جدول(2) اختبار التناسق بين مكونات المقياس

المقياس	معامل ألفا كرونباخ للمتغيرات
الابتكار المالي	0.904
استراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة	0.776

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على نتائج برنامج SPSS. V.25.

يوضح الجدول (3) أن قيمة ألفا كرونباخ لمتغير "الابتكار المالي" بلغت 0.904، مما يدل على أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الاتساق الداخلي والموثوقية. أما بالنسبة لمتغير " استراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة "، فقد حصل على قيمة 0.776، وهي مقبولة ولكن أقل من " استراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة "، مما يشير إلى موثوقية جيدة مع إمكانية التحسين لزيادة التجانس الداخلي.

ثانيا: وصف وتشخيص متغيرات البحث:

1- متغير الابتكار المالي (المتغير المستقل):

في ضوء استجابة وحدة المعاينة للمجتمع، سوف يتم الاعتماد على الوسط الحسابي والانحراف المعياري لتلك الإجابات ولأن هذا البحث قد اعتمد على مقياس (Likert) الخماسي في اجابات عينة البحث للاستبانة، فسيكون مستوى كل متغير محصورا بين (5-1) وتقوم الباحثة في عرض التحليل الاحصائي لمتغير الابتكار المالي .

جدول (3) الاوساط الحسابية والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف والاهمية النسبية لبعد الابتكار المالي

التفاصيل	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية	معامل الاختلاف
تقدم المصارف منتجات مالية جديدة تُسهم في تلبية احتياجات الأسواق الناشئة.	4.22	0.58	0.84	0.14
تعتمد المصارف على تطوير منتجات مالية موجهة لتحسين الأداء المالي للعملاء.	4.10	0.71	0.82	0.17
الابتكار في تصميم المنتجات المالية يعزز من تنافسية المصارف في السوق.	4.03	0.86	0.81	0.21
البعد الأول/ الابتكار بالمنتجات المالية	4.12	0.72	0.82	0.17
توظف المصارف تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحليل البيانات المالية وتقديم توصيات استراتيجية	3.87	0.75	0.77	0.19
تُسهم التكنولوجيا المالية الحديثة في تقليل المخاطر المرتبطة بالعمليات المصرفية	4.08	0.70	0.82	0.17
الاستثمار في تطبيقات الخدمات المصرفية الرقمية يزيد من رضا العملاء وثقتهم	4.00	0.58	0.80	0.15
البعد الثاني/الابتكار في التكنولوجيا المالية	3.98	0.68	0.80	0.17
تُطور المصارف عملياتها الإدارية باستخدام تقنيات حديثة لتحسين الكفاءة التشغيلية	3.80	0.66	0.76	0.17
تساهم العمليات المصرفية المبتكرة في تقليل زمن معالجة المعاملات المالية	4.10	0.63	0.82	0.15
توفر المصارف سياسات تشغيلية مرنة لتلبية متطلبات السوق المتغيرة	3.67	0.82	0.73	0.22
البعد الثالث/ الابتكار في العمليات والإجراءات	3.86	0.70	0.77	0.18
تعتمد المصارف استراتيجيات تسويقية مبتكرة لزيادة انتشار خدماتها	4.08	0.79	0.82	0.19

يُسهم استخدام القنوات الرقمية في تعزيز التفاعل مع العملاء وتوسيع قاعدة العملاء	4.15	0.68	0.83	0.16
يُسهم استخدام القنوات الرقمية في تعزيز التفاعل مع العملاء وتوسيع قاعدة العملاء	4.02	0.62	0.80	0.16
البعد الرابع: الابتكار في استراتيجيات التسويق المالي	4.08	0.70	0.82	0.17
يُسهم استخدام القنوات الرقمية في تعزيز التفاعل مع العملاء وتوسيع قاعدة العملاء	3.92	0.83	0.78	0.21
تُعزز المصارف العلاقات مع العملاء من خلال تقديم خدمات مالية مخصصة	4.00	0.61	0.80	0.15
تعتمد المصارف على آليات مبتكرة لاستقبال شكاوى العملاء ومعالجتها بكفاءة	4.23	0.83	0.85	0.20
توظف المصارف نظمًا متقدمة لإدارة تفاعلات العملاء وتعزيز ولائهم	3.93	0.76	0.79	0.19
البعد الخامس: الابتكار في إدارة العلاقات مع العملاء	4.02	0.76	0.80	0.19

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على نتائج برنامج SPSS. V.25.

من خلال الجدول (4) تقييم الابتكار في المصارف عبر خمسة أبعاد رئيسية، حيث أظهرت النتائج توافقًا جيدًا بين أفراد العينة. وكانت نتائج الابعاد وفق الاتي

البعد الأول: الابتكار بالمنتجات المالية: بلغ متوسط هذا البعد 4.12، وهو يشير إلى توافق جيد بين أفراد العينة بنسبة 82% بناءً على الأهمية النسبية التي بلغت 0.82. وأعلى متوسط لفقرات هذا البعد كان 4.22 للفقرة "تقدم المصارف منتجات مالية جديدة تُسهم في تلبية احتياجات الأسواق الناشئة" بانحراف معياري 0.58 ومعامل اختلاف 14%. في حين سجلت الفقرة "الابتكار في تصميم المنتجات المالية يعزز من تنافسية المصارف في السوق" أقل متوسط 4.03، بانحراف معياري 0.86 ومعامل اختلاف 21%، اما **البعد الثاني:** الابتكار في التكنولوجيا المالية: بلغ متوسط هذا البعد 3.98 مع انحراف معياري 0.68 ومعامل اختلاف 17%، مما يعكس توافقًا جيدًا بين أفراد العينة بنسبة 80% بناءً على الأهمية النسبية التي بلغت 0.80، وأعلى متوسط لفقرات هذا البعد كان 4.08 للفقرة "تُسهم التكنولوجيا المالية الحديثة في تقليل المخاطر المرتبطة بالعمليات المصرفية" بانحراف معياري 0.70 ومعامل اختلاف 17%،و في حين سجلت الفقرة "توظف المصارف تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحليل البيانات المالية وتقديم توصيات استراتيجية" أقل متوسط 3.87، بانحراف معياري 0.75 ومعامل اختلاف 19%.

البعد الثالث: الابتكار في العمليات والإجراءات: بلغ متوسط هذا البعد 3.86 مع انحراف معياري 0.70 ومعامل اختلاف 18%، مما يعكس توافقًا جيدًا بين أفراد العينة بنسبة 77% بناءً على الأهمية النسبية التي بلغت 0.77، وأعلى متوسط لفقرات هذا البعد كان 4.10 للفقرة "تساهم العمليات المصرفية المبتكرة في تقليل زمن معالجة المعاملات المالية" بانحراف معياري 0.63 ومعامل اختلاف 15% وفي حين سجلت الفقرة "توفر المصارف سياسات تشغيلية مرنة

لتلبية متطلبات السوق المتغيرة" أقل متوسط 3.67، بانحراف معياري 0.82 ومعامل اختلاف 22% و**البعد الرابع:** الابتكار في استراتيجيات التسويق المالي: بلغ متوسط هذا البعد 4.08 مع انحراف معياري 0.70 ومعامل اختلاف 17%، مما يعكس توافقًا جيدًا بين أفراد العينة بنسبة 82% بناءً على الأهمية النسبية التي بلغت 0.82، أعلى متوسط لفقرات هذا البعد كان 4.15 للفقرة "يُسهم استخدام القنوات الرقمية في تعزيز التفاعل مع العملاء وتوسيع قاعدة العملاء" بانحراف معياري 0.68 ومعامل اختلاف 16% وفي حين سجلت الفقرة "يُسهم استخدام القنوات الرقمية في تعزيز التفاعل مع العملاء وتوسيع قاعدة العملاء" في هذا البعد متوسطًا منخفضًا (3.92)، بانحراف معياري 0.83 ومعامل اختلاف 21%.

اما **البعد الخامس:** الابتكار في إدارة العلاقات مع العملاء: و بلغ متوسط هذا البعد 4.02 مع انحراف معياري 0.76 ومعامل اختلاف 19%، مما يعكس توافقًا جيدًا بين أفراد العينة بنسبة 80% بناءً على الأهمية النسبية التي بلغت 0.80،و أعلى متوسط لفقرات هذا البعد كان 4.23 للفقرة "تعتمد المصارف على آليات مبتكرة لاستقبال شكاوى العملاء ومعالجتها بكفاءة" بانحراف معياري 0.83 ومعامل اختلاف 20% وفي حين سجلت الفقرة "توظف المصارف نظمًا متقدمة لإدارة تفاعلات العملاء وتعزيز ولائهم" متوسطًا منخفضًا نسبيًا 3.93، بانحراف معياري 0.76 ومعامل اختلاف 19%.

جميع الأبعاد أظهرت توافقًا جيدًا بين أفراد العينة، مع أهمية نسبية تراوحت بين 0.77 و0.82، مما يعكس إدراكًا قويًا لأهمية الابتكار. كما أن معامل الاختلاف في معظم الأبعاد كان منخفضًا (يتراوح بين 14% و22%)، مما يشير إلى اتفاق جيد بين الأفراد حول مستوى الابتكار في المصارف.

جدول (4) الأوساط الحسابية والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف والأهمية النسبية لبعد الابتكار المالي

الفقرة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية	معامل الاختلاف
تتبنى الشركة تغييرات سريعة في استراتيجياتها لتلبية متطلبات السوق	3.900	0.511	0.780	0.102
تعتمد الشركة على الابتكار لتطوير منتجات أو خدمات تلبي احتياجات السوق المتجددة	4.600	0.558	0.920	0.112
تعتمد الشركة على الابتكار لتطوير منتجات أو خدمات تلبي احتياجات السوق المتجددة	4.383	0.524	0.877	0.105
تستجيب الشركة بفعالية لتوجهات العملاء في الأسواق المختلفة	4.167	0.740	0.833	0.148
البعد الأول: التكييف مع السوق	**4.263**	**0.583**	**0.853**	**0.117**
تستثمر الشركة مواردها البشرية والمالية بكفاءة لتحقيق أهدافها	4.167	0.717	0.833	0.143
تعتمد الشركة على تخطيط دقيق لتخصيص الموارد اللازمة للمشاريع	4.217	0.865	0.843	0.173
توفر الشركة بيئة عمل تعزز من استخدام المهارات والإبداع لدى	4.233	0.621	0.847	0.124

				فريق العمل.
0.147	**0.841**	**0.734**	**4.206**	**البعد الثاني: إدارة الموارد بفعالية**
0.252	0.760	1.260	3.800	**تضع الشركة احتياجات العملاء في مقدمة أولوياتها عند تطوير المنتجات أو الخدمات**
0.189	0.827	0.947	4.133	**تسعى الشركة إلى بناء علاقات طويلة الأمد مع عملائها.**
0.205	0.743	1.027	3.717	**تعتمد الشركة على آراء العملاء لتحسين جودة منتجاتها وخدماتها.**
0.165	0.823	0.825	4.117	**توفر الشركة قنوات اتصال مريحة وسريعة للتعامل مع استفسارات العملاء وشكاواهم.**
0.203	**0.788**	**1.015**	**3.942**	**البعد الثالث: التركيز على الزبون**
0.174	0.790	0.872	3.950	**تعتمد الشركة استراتيجيات واضحة لتحقيق نمو سريع في السوق.**
0.237	0.753	1.184	3.767	**تسعى الشركة إلى التوسع في أسواق جديدة لتعزيز مكانتها التنافسية.**
0.170	0.753	0.851	3.767	**تركز الشركة على زيادة قاعدة عملائها بشكل متسارع.**
0.178	0.817	0.889	4.083	**تركز الشركة على زيادة قاعدة عملائها بشكل متسارع.**
0.161	0.833	0.806	4.167	**تستفيد الشركة من التكنولوجيا لدعم عملياتها وتحقيق النمو المستدام.**
0.186	**0.789**	**0.932**	**3.946**	**البعد الرابع: النمو السريع**

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على نتائج برنامج SPSS. V.25.

من خلال الجدول (5) يتبين أن بعد الأول التكييف مع السوق حقق هذا البعد متوسطًا قدره 4.26، مما يدل على توافق جيد بين أفراد العينة بنسبة 85.3%. أعلى درجة سجلتها الفقرة المتعلقة بتطوير منتجات أو خدمات تلبي احتياجات السوق المتجددة، حيث حصلت على متوسط مرتفع بلغ 4.60، مما يشير إلى تركيز الشركة على الابتكار في منتجاتها لتواكب التغيرات المستمرة في السوق. من ناحية أخرى، كانت الفقرة الخاصة بتبني تغييرات سريعة في استراتيجياتها لتلبية متطلبات السوق أقل تأثيرًا (متوسط 3.90)، ما يعكس بعض التحديات في القدرة على التكيف السريع. وتراوحت معاملات الاختلاف بين 10% و15%، مما يعكس توافقًا عامًا جيدًا مع تباين طفيف في الآراء حول سرعة التكيف مع التغيرات، والبعد الثاني: إدارة الموارد بفعالية، بلغ متوسط هذا البعد 4.21، مما يعكس توافقًا جيدًا بنسبة 84.1%. الفقرة المتعلقة بتوفير بيئة عمل تعزز المهارات والإبداع في الفريق سجلت أعلى متوسط (4.23)، مما يدل على أهمية بيئة العمل في تحفيز الابتكار وزيادة الإنتاجية. من جهة أخرى، كانت الفقرة المتعلقة بتخصيص الموارد لتحقيق الأهداف (متوسط 4.17) أكثر تفاوتًا، ما يشير إلى أن تخطيط تخصيص الموارد يحتاج إلى مزيد من التحسين لضمان أعلى كفاءة في الاستفادة من الموارد البشرية والمالية. تراوحت معاملات الاختلاف بين 12% و17%، مما يشير إلى تباين بسيط في الآراء حول كيفية تخصيص الموارد اما، البعد الثالث: التركيز على الزبون حقق هذا البعد متوسطًا قدره 3.94، مما يعكس توافقًا بنسبة 78.8%. بينما كان التركيز على بناء علاقات طويلة الأمد مع العملاء متفقًا عليه بدرجة عالية (متوسط 4.13)، كانت هناك بعض التحديات في تحسين جودة المنتجات بناءً على آراء العملاء، حيث

سجلت الفقرة المتعلقة بتحسين المنتجات بناءً على آراء العملاء متوسطًا أقل (3.72). وهذا يشير إلى أن الشركة قد تحتاج إلى تعزيز استراتيجياتها في جمع وتحليل ملاحظات العملاء لتطوير منتجاتها بما يتماشى مع توقعاتهم. تراوحت معاملات الاختلاف بين 16% و25%، ما يدل على تفاوت في الآراء حول التركيز على العملاء، بينما البعد الرابع: النمو السريع حقق هذا البعد متوسطًا قدره 3.95، مما يعكس توافقًا بنسبة 78.9%. رغم أن الشركة تسعى إلى تعزيز مكانتها التنافسية من خلال التوسع في أسواق جديدة وزيادة قاعدة عملائها، إلا أن البيانات أظهرت أن هناك بعض التحديات في تنفيذ هذه الاستراتيجيات بشكل متسق. الفقرة المتعلقة باستخدام التكنولوجيا لتحقيق النمو المستدام سجلت متوسطًا جيدًا (4.17)، ما يعكس الاهتمام باستخدام التقنيات الحديثة لدعم العمليات التجارية. أما الفقرات المتعلقة بزيادة قاعدة العملاء بسرعة فقد أظهرت تفاوتًا في الآراء، حيث تراوحت المتوسطات بين 3.77 و4.08، مما يشير إلى أن الشركة قد تواجه بعض التحديات في تنفيذ استراتيجياتها للنمو السريع بفعالية. تراوحت معاملات الاختلاف بين 17% و24%، ما يعكس تباينًا أكبر في الآراء حول قدرة الشركة على تحقيق النمو المستدام.

ثالثا: اختبار فرضية البحث:

وجود علاقة تأثير معنوية ذات دلالة إحصائية لمتطلبات الابتكار المالي في المصارف العراقية وتأثيره على استراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة .

جدول (6) تحليل تأثير الابتكار المالي في إستراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة

المتغير المستقل	المتغير المعتمد	قيمة الحد الثابت (α)	قيمة معامل الميل الحدي (β)	معامل التحديد (R^2)	قيمة (F) المحسوبة	قيمة (F) الجدولية	Sig	الدلالة
الابتكار المالي	استراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة	1.277	0.697	0.258	20.166	4.00	0.000	يوجد تأثير

من خلال جدول (6) تحليل العلاقة بين الابتكار المالي واستراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة باستخدام نموذج الانحدار الخطي البسيط. وفقًا للنتائج، كانت قيمة **Fالمحسوبة** (20.166)أكبر من **قيمة (F) الجدولية** البالغة (4.00) عند مستوى دلالة (0.05). هذا يعني أن هناك تأثيرًا ذو دلالة معنوية بين الابتكار المالي واستراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة، وبالتالي يمكننا رفض الفرضية الصفرية التي تنص على عدم وجود تأثير، وقبول الفرضية البديلة التي تفيد بوجود تأثير ذو دلالة معنوية لبعد الابتكار المالي في /استراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة معنوي ,علاوة على ذلك، أظهرت قيمة **الدلالة (Sig.)** التي بلغت (0.000) أن العلاقة بين المتغيرين ذات دلالة معنوية، حيث تكون هذه القيمة أقل من 0.05، مما يثبت وجود تأثير ذو أهمية إحصائية في العلاقة بين الابتكار المالي واستراتيجيات الإدارة المالية, من ناحية أخرى، أظهرت قيمة **معامل التحديد (R^2)** التي بلغت (0.258) أن الابتكار المالي يفسر حوالي 25.8% من التغيرات في إستراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة. وهذا يشير إلى أن هناك عوامل أخرى قد تكون مسؤولة عن التغيرات المتبقية في هذا المتغير التابع وأما بالنسبة إلى **قيمة معامل الميل الحدي(β)** ، التي بلغت (0.697)، فإنها توضح أنه عند زيادة الابتكار المالي بمقدار وحدة واحدة، سترتفع إستراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة بمقدار 0.697. هذا يعني أن الابتكار المالي له تأثير إيجابي في تحسين هذه الاستراتيجيات. وأخيرًا، أظهرت قيمة

الثابت (α) في المعادلة (1.277) أنه عندما يكون الابتكار المالي مساوياً للصفر، فإن إستراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة ستكون 1.277، مما يعكس تأثير الحد الأدنى للتغير في هذا المجال في حال غياب الابتكار المالي.

بناءً على هذه النتائج، يمكننا التأكيد على أن الابتكار المالي له تأثير معنوي على إستراتيجيات الإدارة المالية للشركات الناشئة، مع التأكيد على أن هناك عوامل أخرى قد تساهم أيضًا في تحديد التغيرات في هذا المتغير التابع.

المبحث الرابع

أولاً: الاستنتاجات

1- الابتكار في المنتجات المالية يحظى بمستوى مرتفع من التقدير، مما يشير إلى جهود المصارف في تطوير منتجات جديدة تواكب احتياجات الأسواق الناشئة.

2- التكنولوجيا المالية تُستخدم بشكل ملحوظ، لكن لا يزال هناك مجال أكبر لتوظيف تقنيات مثل الذكاء الاصطناعي في دعم القرارات.

3- العمليات والإجراءات المصرفية تشهد ابتكارًا جيدًا، إلا أن مرونة السياسات التشغيلية ما زالت تحتاج إلى تحسين.

4-الاستراتيجيات التسويقية المالية تظهر مستوى ابتكار عالٍ، خصوصًا في استخدام القنوات الرقمية لتعزيز التفاعل مع الزبائن

5-إدارة العلاقات مع العملاء تتسم بمستوى جيد من الابتكار، مع اهتمام واضح بتخصيص الخدمات واستقبال الشكاوى بكفاءة.

6 - في جانب تكيّف الشركات مع السوق، أظهرت الشركات قدرة متقدمة على تطوير منتجات مبتكرة، لكنها تحتاج إلى تحسين سرعة التكيف مع التغيرات السوقية.

7- التركيز على الزبون والنمو السريع لم يحقق المستويات المتوقعة، مما يشير إلى ضعف في الاستفادة من ملاحظات الزبون وفي تنفيذ استراتيجيات التوسع الفعالة.

ثانيًا: التوصيات

1- ضرورة تعزيز استثمار المصارف في الذكاء الاصطناعي لأغراض تحليل البيانات وصنع القرار الاستراتيجي.

2- توجيه الاهتمام نحو تطوير سياسات تشغيلية أكثر مرونة للاستجابة السريعة لتغيرات السوق.

3- زيادة التركيز على ابتكار المنتجات المالية التفاعلية التي تلبي حاجات شرائح متنوعة من العملاء.

4- تحسين آليات جمع وتحليل ملاحظات العملاء بهدف تعزيز جودة المنتجات وتخصيصها حسب الاحتياجات.

5- العمل على تعزيز كفاءة استراتيجيات التوسع في الأسواق الجديدة عبر خطط نمو مرنة ومدروسة.

6- توفير برامج تدريبية للعاملين في مجالات الابتكار والإبداع، لضمان الاستخدام الأمثل للموارد البشرية.

7- تشجيع التحول الرقمي الكامل في العمليات المصرفية من خلال الاستثمار المستمر في التكنولوجيا المالية والأنظمة الحديثة.

المصادر:

المصادر العربية:

ضياء، ن. ن.، & الشكرجي، ب. ذ. (2022). أثر الابتكار المالي في العائد على الموجودات المصرفية لعينة من المصارف العربية للمدة .(2020–2011) مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، 18(56)، 1-20.

عبد الله، م. ن.، &كريم، ع. ن. (2021). دور الهندسة المالية في تحقيق الابتكار المالي: دراسة تحليلية لآراء المديرين في المصارف الأهلية في مدينة أربيل .مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، 17(53)،.221– 202.

التميمي، أ. ح. م. س. (2024). التكنولوجيا المالية في القطاع المالي وتطبيقاتها: دراسة في عينة من المصارف العراقية . مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والإدارية، 14(47)،104– 85.

المصادر الأجنبية:

1-Blank, S., & Dorf, B. (2012). The Startup Owner's Manual: The Step-By-Step Guide for Building a Great Company. K&S Ranch.

2-Flammer, C. (2020). Green bonds: Effectiveness and implications for public policy. Environmental and Energy Policy and the Economy, 1(1), 95-128.

3-Sahay, R., Cihak, M., N'Diaye, P., & Barajas, A. (2020). Financial Inclusion: Can FinTech Make a Difference? International Monetary Fund

Gomber, P., Kauffman, R. J., Parker, C., & Weber, B. W. (2017). On the fintech revolution: Interpreting the forces of innovation, disruption, and transformation in financial services. Journal of Management Information Systems, 35(1), 220-265.

5-EY. (2019). EY Global FinTech Adoption Index 2019. Retrieved from: EY Global FinTech Report.

أمن الطاقة العربي والتنمية المستدامة

Arab Energy Security and Sustainable Development

جاسم محمد عبد الكريم[1]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract

Energy security is considered one of the most important topics due to its association with the economic resources of countries, and it poses challenges amidst global social, economic, and environmental crises. The international community, with all its organs and organizations, seeks to achieve sustainable development. Energy security, in all its aspects, concepts, and requirements, emerges as a key axis for joint Arab regional action, relying on renewable energy generated from natural sources that are replenished at a rate exceeding consumption. The concept of sustainable energy is based on promoting and supporting solar energy projects, expanding the use of all types of new, renewable, and environmentally friendly energies. Work has been done to encourage industrial establishments to adopt technologies that rationalize energy consumption in all its forms, which rely on the use of petroleum and natural gas products.

Keywords: Security, Energy, Arab Energy Security, Development, Sustainable Development….

الملخص:

يعد أمن الطاقة من الموضوعات المهمة؛ بسبب ارتباطها بموارد الدول الاقتصادية، وتشكل تحديات في خضم الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية العالمية، وسعي المجتمع الدولي بكافة أركانه ومنظماته لتحقيق التنمية المستدامة، يبرز أمن الطاقة بكافة جوانبه ومفاهيمه ومتطلباته، كمحور للعمل الإقليمي العربي المشترك، واعتماد الطاقة المتجددة الناتجة عن مصادر طبيعية تتجدد بمعدل يفوق ما يتم استهلاكه. والمصادر التي تتجدد باستمرار، يقوم مفهوم الطاقة المستدامة على تشجيع ودعم مشاريع الطاقة الشمسية، والتوسع في استخدام جميع أنواع الطاقات الجديدة والمتجددة والصديقة للبيئة. وتم العمل على تشجيع المنشآت الصناعية على تبني تكنولوجيات من خلال ترشيد استهلاك الطاقة بكافة الصور، التي تعتمد على استخدام منتجات زيت البترول والغاز الطبيعي.

الكلمات المفتاحية: الأمن.الطاقة . امن الطاقة العربي.التنمية. التنمية المستدامة...

http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2-7

[1] Assist. Lect. Jassim Mohammed Abdul Karim AL-IBRAHIMI, Ministry of Higher Education and Scientific Research, University of Kufa, Iraq jasimm.alibraheemi@uokufa.edu.iq

مقدمة

قد يكون استخدام مصطلحات "الطاقة والطاقة المتجددة والطاقة المستدامة" بالتبادل. ومع ذلك، فإن معانيهما مختلفة مع الواقع، والطاقة المتجددة هي الطاقة التي يتم تحديثها وتجديدها بشكل طبيعي، والطاقة المستدامة هي الطاقة التي تلبي بصورة موثوقة احتياجات المجتمع على المديات القصيرة والطويلة.

ومفهوم الأمن ذات مغزى كبير وواسع، أما بالنسبة لأمن الطاقة، يخص تأمين مصادر الطاقة وتأمين استخدامها، وما يخص أمن الطاقة العربي، هو ما يخص تأمين مصادرها وأمان استخدامها وظروف تقدمها وتسويقها بصفتها تشكل جزء لا يتجزأ من الطاقة العالمية، وما يستخدمه العالم، ويعتمد عليه كثير من بلدان العالم، لذلك تبرز أهمية الطاقة العربية.

تطرقت هذه الدراسة إلى تأمين مصادر الطاقة المتنوعة، من وقود والوقود الأحفوري وطاقات متجددة، ومدى توافرها وكميات احتياطياتها وإمكانيات استخراجها لدعم اقتصاديات الدول العربية، مع التركيز على البنية التحتية الخاصة بالنفط والغاز والكهرباء، والسياسات الخاصة بإدارة قطاع الطاقة. والتنافس بين الشركات والمستثمرين المحليين والأجانب، وتناقش الدراسة الجوانب المالية والاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بتغيرات أسعار النفط العالمية وتأثيراتها السلبية والإيجابية على أمن الطاقة. ومن المقترحات في الدراسة مجموعة من محاور العمل الإقليمي العربي المشترك، المتكاملة والضرورية لتحقيق أمن الطاقة في سياق عملية التنمية المستدامة.

إشكالية الدراسة

تركز الإشكالية على أهمية أمن الطاقة والحفاظ على موارد الطاقة الاقتصادية وإبعاد المخاطر والتهديدات المحتملة، والطاقة المستدامة للجميع والجميع بين الثروة والإصلاح الاقتصادي والتكنلوجي والرؤيا الديناميكية التي تتيح لكل فرد سُبل الحصول على الطاقة الموثوقة مع إمكانية تحمُّل تكاليفها، وعلى النحو الذي يحتاجه المرء لكي يعيش حياة مُنتجة وصحية وآمنة مع الالتزام بالقيود الكوكبية التي وضعنا أنفسنا جميعاً في مواجهتها نتيجة لتغيُّر المناخ والمؤثرات الأخرى.

أهمية البحث

تبرز أهمية الدراسة من أهمية الموقع والمنطقة العربية وما تحتويه من مصادر الطاقة، والهموم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية، وسعي المجتمع الدولي بكافة مكوناته ومنظماته لتحقيق التنمية المستدامة، يبرز أمن الطاقة بكافة أوجهه ومفاهيمه وأهدافه ومتطلباته، كمحور للعمل الإقليمي العربي المشترك. وقد أعدت هذه الدراسة لبحث مسألة أمن الطاقة من زوايا مختلفة تعكس وجهات نظر المستهلك والمنتج والمجتمع الدولي. ويتطلب ضمان وصول المستهلك إلى خدمات الطاقة بشكل آمن ومستدام اقتصادياً واجتماعياً وبيئياً، إدارة الموارد الطبيعية بكفاءة، وتوظيف عائداتها المالية في عملية التنمية المستدامة في الدول المنتجة لضمان استمرار استخراج هذه الموارد واستخدامها على نحو مستدام.

المبحث الأول: أمن الطاقة المخزونة

تُعد الطاقة الدم الذي يسري في عروق الصناعات الحديثة والعصب الرئيسي للاقتصاد الحديث، وفي الوقت الراهن يكون النفط المخزون الاستراتيجي للطاقة والمصدر الأول للطاقة المخزونة (مخزون الطاقة) من المفاهيم

الأساسية في العلوم والسياسية، ولها تطبيقات واسعة في مختلف المجالات. الطاقة المختزنة هي الطاقة التي يتم حفظها في نظام معين لتُستخدم لاحقًا. تشمل هذه الأنظمة البطاريات، التخزين الحراري، والتخزين الميكانيكي مثل السدود الكهرومائية ومنابع البترول وغيرها، والتحديات التي تواجهها، ومدى شعبيتها واستخدامها عالميًا.

المطلب الأول: التحديات التي تواجه الطاقة المختزنة

الطاقة المختزنة هي الطاقة التي يتم تخزينها في نظام معين ليتم استخدامها في وقت لاحق. يمكن أن تكون هذه الطاقة على شكل طاقة كهربائية، حرارية، ميكانيكية، أو كيميائية. تُستخدم تقنيات تخزين الطاقة لتحسين كفاءة استخدام الطاقة، تحقيق استقرار الشبكات الكهربائية، ودعم الاعتماد على مصادر الطاقة المتجددة، يواجه أمن الطاقة كثير من التحديات، ولا سيما في الدول العربية، والتي لها آثارها الواضحة على استراتيجية أمن الطاقة العالمية والإقليمية للارتباط الوثيق بين الدول العربية والدول الإقليمية والعالم لكون مصادر الطاقة في الدول العربية تعتبر متغيرات تلعب دورا مهما في مستويات الطاقة العالمية، وهو الأمر الذي يدفع بالدول المتنفذة والعالمية على نظام الهيمنة العالمي إلى تبني سياسات العمل على امتلاك أدوات متنوعة لا تتفق مع تطلعات بعض الدول ذات المخزون، وهناك مجموعة من تحديات أمن الطاقة المخزونة، أولها تنافس وتنازع وتصارع الدول الاستعمارية ودول الاستكبار والنفوذ على المنطقة العربية لما فيها من ثروات ومنابع طاقة، ومن حيث التكاليف والكفاءة والسياسات الداخلية والخارجية والإدارة والابتكارات التكنولوجية والحداثة والعولمة والحوكمة وأهمها.

1- التكلفة:

التكاليف الأولية: وتشمل تكاليف الاستخراج ليصبح في منظور الوجود الفعلي، وذلك يتطلب تقنيات تخزين الطاقة واستثمارات كبيرة في البنية التحتية والتكنولوجيا، والتكاليف التشغيلية تتطلب بعض أنظمة تخزين الطاقة تكاليف صيانة وتشغيل عالية، ومن ناحية الاكتشافات والتنقيب المستمر وتوفر الخدمات ومفردات وأنواع الطاقة المطلوبة في المصدر المعين والمدروس وبشكل آمن ومستقر تتطلب الوفرة وجود أسواق للطاقة، أي أن يتفاعل تجارياً كل من المشتري والبائع بهذه السلع والخدمات، بشرط اتفاق الطرفين على مراعاة المصالح الاقتصادية والتجارية والسياسية والأمنية وغيرها. ومع ذلك فإن قوة كل لاعب في السوق ومهارته في سبيل تحقيق مصالحه الخاصة الذاتية والاستراتيجية والمصالح الدولية هو الذي يحدد شروط التجارة لصالح هذا الطرف وذاك. والمؤسسات الموجودة كـ "أوبك" وغيرها من الواضح أنها لا تمتلك رفاهية القرار المستقل أو الخاص بأعضائها فقط؛ بسبب وجود الكثير من التأثيرات والتداعيات والضغوطات التي تكون على الدول الأعضاء، ومن الجوانب السياسية والاجتماعية والأمنية قبل الاقتصادية. ولعل حالة رفع الإنتاج مع الضغوطات التي حصلت من أمريكا وأوربا والناتو على دول الشرق الأوسط أحد نماذجها نتيجة الأزمة الأوكرانية واحتياج أوربا والغرب للكميات التي خفضتها روسيا، ومن ضمن التحديات أيضا العقوبات الاقتصادية المفروضة على بعض البلدان بقرارات دولية بهذا الشأن[2].

طرق الإمداد والإرسال والموثوقية على مدّى الحماية التي تتمتع بها خدمات الطاقة من الانقطاع وأمن طرق الإمداد والإيصال وسلامتها من التخريب والاعتداء عليها، فالطاقة هي اللّبنة الأساسية في النشاط الاقتصادي والحياة اليومية، ويتهدد انقطاعها بانعدام القدرة على تشغيل المصانع وإنارة المستشفيات وعملها وتدفئة المنازل بشكل مستمر، ويشمل تعزيز الموثوقية للطاقة بتنويع مصادر التزويد وتأمينهم وكذلك تأمين وأمان سلسلة التوريد المستخدمة

(2) محمد حسن هيكل ، حرب الخليج – اوهام القوة والنصر ، مركز الاهرام ، القاهرة ،1992 ،ص406 .

في نقل الطاقة، والحدّ من الطلب عليها، وخلق خزانات للطوارئ وتطوير المزيد من البنى التحتية. وتحاول القوى الدولية باستحداث قوى إقليمية لمهمة حفظ طرق الإمداد كما حصل في قمة جدة الأخيرة والقرار بتشكيل قوات في الخليج العربي وكذلك في البحر الأحمر لحماية المضائق والمصادر وطرق الإمداد والإيصال، لكن ربما تكون لهذه القوات المشكلة مهام أخرى ستظهر لاحقاً مع إرهاصات التشكل الإقليمي الجديد.

2- الكفاءة:

يتم تطوير وتحسين تقنيات كفاءة التخزين وتطوير مواد جديدة وأنظمة أكثر كفاءة، والتكلفة الأولية العالية لمشروعات تخزين الطاقة تمثل عائقًا أمام تبنيها على نطاق واسع، تشجيع الحوافز الحكومية والاستثمارات الخاصة لتقليل التكلفة وتحسين الاقتصاديات المتعلقة بتخزين الطاقة، التأثير البيئي، التأثير البيئي لبعض تقنيات التخزين قد يكون سلبياً، خاصة فيما يتعلق باستخدام المواد الكيميائية، وتطوير التقنيات الصديقة للبيئة والتأكد من التخلص الآمن من النفايات والمواد الكيميائية المستخدمة، تواجه بعض تقنيات تخزين الطاقة تحديات تتعلق بفقدان الطاقة أثناء عمليات الشحن التأثير البيئي للبنية التحتية، بناء البنية التحتية لتخزين الطاقة قد يتطلب تغييرات بيئية كبيرة، مدى شعبية استخدام الطاقة المختزنة عالميًا، التحول نحو الطاقة المتجددة، ودعم الطاقة الشمسية والرياح، زيادة الاعتماد على الطاقة المتجددة يعزز الحاجة إلى تقنيات تخزين الطاقة لتحقيق استقرار الشبكات الكهربائية.

ومن التحديات التي تواجه تأمين الطاقة هي طرق الإمداد والإرسال والموثوقية على مدّى الحماية التي تتمتع بها خدمات الطاقة من الانقطاع وأمن طرق الإمداد والإيصال وسلامتها من التخريب والاعتداء عليها، فالطاقة هي اللّبنة الأساسية في النشاط الاقتصادي والحياة اليومية، ويتهدد انقطاعها بانعدام القدرة على تشغيل المصانع وإنارة المستشفيات والمرافق الاجتماعية وكذلك تأمين وأمان سلسلة التوريد المستخدمة في نقل الطاقة، والحدّ من الطلب عليها، وخلق خزانات للطوارئ وتطوير المزيد من البنى التحتية. وتحاول القوى الدولية باستحداث قوى إقليمية لمهمة حفظ طرق الإمداد كما حصل في قمة جدة الأخيرة والقرار بتشكيل قوات في الخليج العربي وكذلك في البحر الأحمر لحماية المضائق والمصادر وطرق الإمداد والإيصال، لكن ربما تكون لهذه القوات المشكلة مهام أخرى ستظهر لاحقاً مع إرهاصات التشكل الإقليمي الجديد، ومن أجل تلافي الهيمنة من قبل الشركات الاحتكارية التي تهيمن على حركات الطاقة وتسيير عمل الدول المنتجة وتنظيم إدارة الأسعار وبالخصوص عمليات تصدير النفط والغاز واستقراره في الأسواق العالمية[3].

3- التداخلات بين الدول المنتجة للطاقة والدول المستهلكة والشركات العالمية:

هناك مجموعات من الشركات العالمية تعمل على تصدير كميات من الطاقة إلى الدول المستهلكة لها، وهذه الشركات تحقق أرباحا ومكاسب كبيرة ,وأن الصراع على الموارد الطبيعية لتحقيق أمن طاقوي يختلف باختلاف أوضاع الدول في معادلات الطاقة، فهناك دول منتجة ترى أن الأمن الطاقوي عبارة عن استمرار تدفق صادراتها النفطية إلى الدول المستهلكة، كما ترى الدول المستهلكة أمن الطاقة هو عبارة عن حصولها على الإمدادات الطاقة بأقل تكلفة، فقد

(3) ينظر ، نيكولا ستاريكوف ، خبير اقتصادي روسي ، مقابلة صحفية مسجلة على قناة روسيا اليوم ، لمناقشة كتاب (النفط محرك العلاقات الدولية) ،2012 .

تدخلت حكومات البلدان الصناعية الكبرى عبر سياساتها الخارجية، وأحيانا بالقوة العسكرية، من أجل الحصول على امتيازات نفطية، إما بالاحتلال أو بنوع من الحماية الأجنبية أو التدخل والنفوذ [4].

وسرعان مانشرت شركات النفط الأجنبية دفعا من حكوماتها نفوذ في الشرق الأوسط – كونها منطقة الانتاج والتصدير الأكثر سخونة من هذا النوع من الحروب [5] ,وفي كثير من الدول والبلدان بحثا عن ثروات اقتصادية ومنافع استراتيجية وهذه من أشكال الصراعات بين الدول المنتجة والمستهلكة .

4- تأثير الأزمات العالمية في مشهد الاستقرار الداخلي والاستراتيجي :

وفق تعاريف ومضامين وتحديات أزمة الطاقة، يمكن رصد وقراءة المشهد السياسي والأمني للمنطقة والعالم، فالظاهر والواضح أن الكثير من الحروب والمفاوضات والنتائج والنماذج والخرائط الفكرية والسياسية والاقتصادية القادمة والمعادلات الجديدة ستكون وفق موقع وأهمية الغاز والنفط والطاقة بشكل عام من المصدر ومنبع الإنتاج وطريق الإمداد والمرور وأنابيب الإيصال إلى المستقبل والمستهلك وبسعر مقبول واستمرار ذلك تحت كل الظروف، وهذا يستوجب وفق المؤشرات الظاهرة إلى إعادة هيكلة العلاقات الدولية والإقليمية وحتى منظومة الأمن العالمي والتحالفات العسكرية والأمنية والسياسية لتلائم ذلك تحقيق أمن الطاقة؛ وبالتالي المصلحة الاستراتيجية للنظام العالمي المهيمن الاحتكاري في مجال الطاقة والاقتصاد والسياسية، فمن المنظور الاستراتيجي للبلدان التي تمتلك ثروات تسيطر عليها قوى خارجية يصبح المعيار الرئيسي هو التحرير من الهيمنة واسترجاع السيادة الوطنية التامة والتحكم بالثروات الطبيعية [6].

المطلب الثاني :سياسات الحوكمة لتأمين الطاقة

الاهتمام بسياسات الطاقة المعتمدة في العالم العربي على جانب العرض والطلب قد يؤدي هذا التوجه إلى تطوير ملحوظ في التأمين من النفاذ في الطاقة في معظم دول المنطقة، ولكنه أدى كذلك إلى غياب سياسات تدفع في إدارة ترشيد الطلب، وإلى إرساء متغيرات محلية غير مستدامة في مجال الطاقة أدت إلى تدهورا حادا في إنتاجية الطاقة وقصورا ملحوظا في تطور موارد الطاقة المتجددة في المنطقة، وتحاول الدراسة كذلك تقييم قدرة الاتجاهات الحالية والمرتقبة لسياسات الطاقة على عكس التطورات الحالية في مجال الطاقة على المستوى المحلي في المنطقة العربية ومدى الاستجابة للتحديات الاقتصادية والاجتماعية الآنية والمستقبلية فيها في منظور التنمية المستدامة وتأمين الطاقة، قامت الدول المستهلكة بمواجهة الدول المصدرة , كما حاولت التخفيف من حجم الاستهلاك للضغط على السعر، كما تم تحميل الدول المصدرة مسؤولية ارتفاع معدلات التضخم وتصدع النظام النقدي الدولي، مؤكدة على أن عواقب وخيمة تنتظر العالم كله من جراء هذا الارتفاع [7].

([4]) قصي عبد الكريم ابراهيم :اهمية النفط في الاقتصاد والتجارة الدولية النفط السوري انموذجا ، الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق ،2010 ،ص75 .

([5]) مايكل كلير ، الحروب على الموارد . الجغرافية الجديدة للنزاعات العالمية ، ترجمة عدنان حسن ، دار الكتاب العربي ،بيروت ،2002 ،ص30 .

([6]) بريماكوف الكسندر ، نفط الشرق الاوسط والاحتكارات الدولية ، ترجمة بسام خليل ، دار الف باء للطباعة والنشر ،والتوزيع ،بيروت ،1984 ،ص61 .

([7]) صديق محمد عفيفي ، تسويق البترول ، الطبعة التاسعة ، مكتبة عين الشمس ،2003/2002 الاسكندرية ،ص248 .

وتشجع العديد من الحكومات على استخدام تقنيات تخزين الطاقة من خلال الحوافز المالية والتشريعات البيئية، لتحسين كفاءة التخزين وكفاءة تحويل الخزين من الطاقة لسد جزء من التحديات الرئيسية لمواجهة الطلب المتزايد على الطاقة.

1- السياسات والمؤثرات الداخلية على أمن الطاقة:

بعض إجراءات النظم الإدارية والسياسية في البلدان: مثل حدوث تغيرات سياسية وأمنية جوهرية في الدول المنتجة للطاقة وكذلك التحديات المحتملة لشركات الطاقة العالمية، والتي من الممكن أن تحد من قدرة وفاعلية تلك الشركات، وبالتالي قدرتها على التصدير إلى السوق العالمية التهديدات الأمنية التي قد يتعرض لها موظفيها ومنشأته والتهديدات التي قد تنتج عن مصالح سياسية عن طريق تغير في قوانين عقود الاستثمار. إضافة إلى عمليات الحظر، وهي التي تنشأ من فرض دولة مستهلكة قيود على الاستيراد من دولة منتجة معينة كالعقوبات الأوربية والغربية، ومن عدة دول حول العالم على روسيا وإيران، وكما من الممكن أن يكون هناك فرض قيود على الصادرات، والتي تنشأ عندما ترغب دولة منتجة أو مجموعة من الدول المنتج في فرض قيود على صادراتها لأسباب سياسية أو استراتيجية، كما هي الآن مع الاشتراطات الروسية، ومنها التعامل بالروبل الروسي. وقد تحدث تحديات مختلفة أخرى كإعاقة لأسباب قهرية، وتنشأ عندما لا يستطيع المنتج أو المورد تصدير إنتاجه من الطاقة، وذلك نتيجة لظروف داخلية أو خارجية، مثل الحرب والأوبئة العالمية، والكوارث والحروب والإرهاب على بعض المناطق وحقول الغاز والنفط واستهداف البنية التحتية فيها.

تُعتبر الطاقة المختزنة أحد الحلول الأساسية لتحقيق استدامة الطاقة وتحسين كفاءة استخدام الموارد المتجددة. تشمل أنواع الطاقة المختزنة البطاريات، التخزين الحراري، والتخزين الميكانيكي، ولكل منها فوائدها وتحدياتها. من خلال الابتكار التكنولوجي، الدعم الحكومي، وزيادة الوعي البيئي، يمكن تعزيز استخدام تقنيات تخزين الطاقة وبناء مستقبل أكثر استدامة ونظافة للطاقة. يمثل تحسين كفاءة التخزين، تقليل التكلفة، ومعالجة التأثيرات البيئية جزءًا من الحلول الممكنة لمواجهة التحديات الطاقوية العالمية. بالنهاية، يمكننا من خلال استخدام الطاقة المختزنة بشكل فعال ومستدام مواجهة تحديات التغير المناخي وتحقيق تنمية اقتصادية مستدامة للأجيال القادمة، كما ظهر في المنتدى الدولي للطاقة، الذي سعى لدمج المعلومات من المنتجين والمستهلكين والتنسيق مع الوكالة الدولية للطاقة لتحسين تدفق المعلومات لكل طرف والحفاظ على اقتصاديات الدول من أي أزمة محتملة [8].

2- المؤثرات السياسية الخارجية اتجاه أمن الطاقة :

هناك سياسة خارجية تنتهجها بعض الدول لها تأثير على الأمن الطاقوي في المنطقة العربية بشكل خاص والإقليم والعالم، وفي هذا الاتجاه نمط الصراع الدولي على النفط، وفق الخريطة الجغرافية للموارد الطاقوية، فبالنظر إلى النفط من بعد متغيرات تاريخ السياسة الدولية [9]، نجد أن النفط أصبح بالتدرج بؤرة تنافس الدول من أجل دعم قوتها والسعي وراء الهيمنة والتوسع، فراحت الدول الكبرى تبحث عن كيفية السيطرة على مصادر طاقة ونفوذ، فقد نشبت في

([8]) خلف حسين الدليمي ، الجويولوجية التطبيقية ، علم شكل الارض التطبيقي ، الاهلية للنشر والتوزيع ،الاردن 2001 ،ص25 .

([9]) هاني حبيب ، النفط استراتيجيا وامنيا وعسكريا وتنمويا مصدر الثروة والطاقة والازمات ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، 2006 ،ص14 .

(*) منظمة الاوبك :تضم 11 بلد كالاتي:العربية السعودية ،العراق ،الكويت ،الكويت ،ايران ،فنزولا ،(الدول المؤسسة عام 1960) ثم قطر 1961 ،اندنوسيا 1962 ،ليبيا 1962 ،الامارات العربية المتحدة 1967 ،الجزائر 1969 ،نيجيريا 1971 ،اندونيسيا والغابون منسحبون .

سنوات الحرب العالمية الثانية خلافات حادة بين الدول والولايات المتحدة حول المصادر النفطية في الشرق الأوسط [10].

دفع نظام أمن الطاقة مجموعات من الدول إلى تنسيق جهدها السياسي والأمني وتبادل المعلومات حول أوضاع الطاقة والسوق، ومتابعة تأثير الأزمات الدولية و واستجابت الدول إلى التكافل فيما بينها لمواجهة حالات تعتقد أن تشكل خطرا عليها، سواء كانت من الدول المنتجة أو المصدرة أو الدول المستهلكة، فتم إنشاء منظمة دولية مشتركة فيما بينها تسمى (الأوبك) * عام 1960 من أجل تنظيم مصالحها ورعاية الإنتاج, وقد أضحى مفهوم أمن الطاقة أحد أبرز تجليات المفاهيم الأمنية التي بدأت تتشكل عقب الفترة التي تلت مرحلة ما بعد الحرب الباردة، شأنه شأن العديد من المحددات التقليدية الأخرى، التي تساهم في تشكل السياسية الخارجية للدول [11].

3- التطور والابتكارات :

تحتفظ منطقة الشرق الأوسط مع مناطق عديدة حول العالم بأهمية خاصة في معادلات الطاقة وتأمين الطاقة والغاز العالمي والمصالح الاستراتيجية لنظام العالمي. يتم النظر إلى الشرق الأوسط بأنه قد يكون البديل للغاز الروسي والخلاص للنظام العالمي من أزماته ومستنقعاته، ومنها أزمة الطاقة والغاز، ولذلك جرت وتجري العديد من الحروب والحوارات والقمم السياسية والاقتصادية والأمنية في المنطقة وتكوين للتشكيلات والتكتلات والتحالفات والدولية، ومراجعة العلاقات بين الدول، وربما الخرائط السياسية من أجل هدف تأمين الغاز وزيادة إنتاجه وإيصاله للأسواق العالمية في العديد من المناطق حول العالم.

الابتكارات البيئية مهمة جداً لتحسين استدامة الطاقة. تساعد في خلق بيئة أكثر توازناً. الطاقة المتجددة تلعب دوراً كبيراً في مواجهة التحديات البيئية مثل انبعاثات الكربون وتغير المناخ.

الدراسات تظهر أن التقنيات الجديدة تقلل من الاعتماد على الوقود الأحفوري. كما تزيد من كفاءة استخدام الطاقة.

يعد الابتكار في مجال الطاقة النظيفة مهمًا، في حين يمكن تحقيق معظم تخفيضات انبعاثات ثاني أكسيد الكربون المتوقعة في سيناريو صافي الصفر بحلول عام 2050 بحلول عام 2030 باستخدام التقنيات الحالية، فإن الطريق إلى ما بعد ذلك سيتطلب نشر التقنيات التي لا تزال قيد التطوير، أو ليست قادرة على المنافسة تجارياً بعد.

المبحث الثاني: تأمين الاستثمار والتنمية

يعد موضوع التنمية من بين أهم الموضوعات التي لا زالت تشغل اهتمام الحكومات والدول لأنها تشتمل على المقومات الأساسية لحياة البشر، وكيفية الحصول على الطاقة وكفاءة استخدامها واعتماد الطاقة المتجددة. والعمل من أجل أن يكون توفير الطاقة المستدامة للجميع وطالما كانت معظم الدول العربية متأخرة عن اللحاق بالركب العالمي فيما يخص الاعتماد على الطاقة المتجددة، وإدارة الطاقة المستدامة، وتوظيفها في خدمة مجتمعاتها المختلفة. ولعل أهم الأسباب في ذلك هو عدم وجود الخطط التنموية السليمة، والاستراتيجيات المعنية بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية بعيدة المدى، والاعتماد على الإنتاج الكبير من النفط والغاز الذي تضخه إلى شتى دول العالم، ووجود احتياطيات هائلة

([10]) جمال سالم عبد الكريم النعاس :الابعاد الاستراتيجية الاغلاق مضيق هرمز – دراسة في الجغرافية السياسية ،جامعة عمر المختار ،ليبيا ،2001، ص14 .

([11]) ثامر كامل ،دراسة في الأمن الخارجي العراقي و إستراتيجية تحقيقه(العراق:وزارة الثقافة و الإعلام ،1985) ،ص.26.

من الوقود الأحفوري في أراضيها، وعدم امتلاكها التكنولوجيا الحديثة الخاصة بتوليد الطاقة المتجددة والاستفادة منها. صدرت عن الإسكوا مؤخراً دراسة بعنوان "تحليل اتجاهات سياسات الطاقة في المنطقة العربية"، وتقدّم هذه الدراسة محاولة لتحليل اتجاهات السياسات المحلّية التي اعتمدت في الماضي، والتي شكلت تطور وضع الطاقة المحلي في المنطقة العربية، إضافة إلى السياسات الراهنة والمؤسسات الحالية ذات الصلة. ويبيّن التحليل أنّه خلال العقود الثلاثة المنصرمة، لم تُدرج الأهداف المحلية المرتبطة بإدارة موارد الطاقة في معظم البلدان العربية، ضمن استراتيجيات وطنية شاملة لإدارة الطاقة تغطي في منظومات متكاملة جانبي العرض والطلب[12].

فيما يتعلق في تنمية وتطوير مجال الطاقة وإمكانيات الكشف والتنقيب والإنتاج وتأمين المصادر ورصد ومعالجة العوامل الداخلية والخارجية المؤثرة على أمن الطاقة كالعوامل الإنتاجية المرتبطة بخطوط نقل الغاز والنفط [13].

ويمكننا القول هنا، إن أمن الطاقة يتحقق، بضمان الإنتاج والنقل والتوزيع الأمن لموارد الطاقة، إضافة إلى الاستثمار وصيانة محطات التكرير وشبكات النقل والتوزيع وإمكانيات التخزين، إضافة إلى الأنظمة القانونية والتطبيقية في جو آمن وسالم ومستقر وبأسعار مناسبة مع توفر الأسواق والمستهلك المطلوب [14].

وعليه، من الممكن صياغة تعريف لمفهوم الاستثمار في مجال الطاقة وهو توافر الكميات المطلوبة في الأسواق العالمية بأسعار مناسبة ومستقرة ومستدامة، مع ضرورة العمل على تنمية مصادر الطاقة المتاحة، من خلال التكنولوجيا، مع البحث عن مصادر جديدة تلبي الحاجة المتزايدة للطاقة، إلى جانب ترشيد استخدام الطاقة، وتوافر الضمانات المناسبة للحفاظ على البيئة واحترامها.

المطلب الأول :أولوية الطاقة المستدامة

تطور مفهوم التنمية والتنمية المستدامة نتيجة التراكمات المعرفية سابقة والمتتبع لتطور هذا المفهوم يلاحظ أنها غدت مفهوما متطورا يواكب المستجدات الحاصلة على المستوى العالمي، وتتجلى أهمية هذا النوع من التنمية من خلال ما تصبو إليه من أهداف[15]، يعتبر متغير الطاقة من أكثر القضايا العالمية التي تأخذ حيزا من الاهتمام من قبل غالبية مراكز البحوث الاستراتيجية الدولية وهي القضية التي تهيمن على مائدة الحوارات والنقاشات الدولية والسياسية الحالية والمستقبلية للدول والشعوب فيما بينهم وبين محيطهم والعالم، ولعل قضية الطاقة هي إحدى أهم القضايا النقاشية والحوارية حتى مع الدول العظمى نفسها، وربما مع الدول الكبرى، بالإضافة إلى الدول الصديقة والمنضوية في المنظومة الغربية الرأسمالية.

وجرى البحث إلى أولوية التقدم في مجال الطاقة المستدامة لم يعد من الممكن اعتباره منفصلا عن أهداف التنمية الاجتماعية والاقتصادية الأخرى في المنطقة العربية، فالتوازن الهش للموارد الطبيعية في معظم أنحاء المنطقة، مقترنا بالتوقعات الاقتصادية السريعة والمرتفعة من جانب سكان المنطقة الشباب والمتعلمين، يعني أن إدارة الثروات الطبيعية للبلدان العربية تحتل مركزا محوريا في تأمين حياة مستقرة وناجحة لأجيال المستقبل. وترتبط الطاقة ارتباطا

([12]) ANE.NEWS ،احمد شيخو ،القاهرة ،الجمعة ،9 سبتمبر ،2022 .

([13]) ينظر ،ابراهيم طه عبد الوهاب ،محاسبة البترول وفقا للنظم العالمية والمحلية ومعايير الجودة الدولية ،المكتبة العصرية للنشر والتوزيع ،المنصورة ،2006 ،ص20- 24 .

([14]) ينظر:حسين عبد الله ،التعاون بين الاوبك والاوابك لخفض صادرات النفط ومساندة الاسعار ،مجلة النفط والتعاون العربي ،العدد 69 ،الكويت ،1994 ،ص29 .

([15]) زهرة روايقية ،اطروحة دكتوراه ،تحسين كفائة استخدام الطاقة من اجل تحقيق التنمية في الاقتصاديات العربية ،الجزائر ،جامعة 8ماي 1945 قالمة ،2019/2018 ،ص.

وثيقا بجملة عوامل أخرى لتحقيق نجاح تنموي، وذلك من خلال ارتباطها الوثيق بأمن المياه والإمدادات الغذائية وصولا إلى أهداف إنمائية رئيسية كتعميم الحصول على الخدمات الصحية والتعليمية الحديثة، والمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة، واستحداث مساحات معيشية مستدامة والابتكار التكنولوجي، والتقدم الحاسم في التخفيف من تغير المناخ والتكيف معه على الصعيد الإقليمي. يسلط تقرير حديث أصدرته اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) التابعة للأمم المتحدة الضوء على واقع الطاقة المستدامة في الوطن العربي، وآفاق استخداماتها، والتقدم الذي أحرزته المنطقة العربية في السنوات الأخيرة في مجال إدارة الطاقة المستدامة وضمان حصول الجميع عليها. ويرى الباحث أن المنطقة العربية قد تفتقر إلى إدارة مستدامة للموارد الطبيعية، خصوصا في مجالات كفاءة الطاقة واعتمادها الأساسي على الوقود الأحفوري لتلبية جميع حاجاتها الطاقوية.

ويقول التقرير إن تنمية الطاقة المستدامة ليست أولوية مهمة لبلد عربي دون آخر، وليست خيارا بين النمو المرتفع والنمو المنخفض. لكن التقدم في تنفيذ الهدف السابع من أهداف التنمية المستدامة الخاصة بالأمم المتحدة سيكون عاملا حاسما في إدارة التحديات التي ستواجهها الدول العربية في السنوات والعقود المقبلة[16].

وأضاف التقرير الذي صدر بعنوان (التقدم المحرز في مجال الطاقة المستدامة في المنطقة العربية في إطار الرصد العالمي)، يرى أن المنطقة العربية تستنفد مدخراتها من الطاقة ومواردها المائية، وتلوّث هواءها بصورة أسرع من أي منطقة أخرى في العالم، ويدعو صناع القرار إلى استخلاص الدروس في وقت مبكر بما فيه الكفاية بما يخولهم إدارة موارد المنطقة بعناية ودعمها على نحو مستدام. واستند معدو التقرير إلى بيانات من تقرير إطار التتبع العالمي الذي يديره البنك الدولي عالميا/ برنامج المساعدة في إدارة قطاع الطاقة بالاشتراك مع الوكالة الدولية للطاقة، وبمساهمات من أكثر من 20 منظمة في العالم بما في ذلك اللجان الإقليمية للأمم المتحدة، وذلك بهدف تتبع التقدم المحرز في مجال الطاقة المستدامة على الصعيد العالمي من خلال تحليل مؤشرات الطاقة القابلة للقياس الكمي والمقارنة دوليا.

ويتطرق التقرير إلى ثلاثة أركان أساسية ترتكز عليها مبادرة توفير الطاقة المستدامة للجميع وأهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة التي دخلت حيز التنفيذ في يناير 2016 وهي: توسيع نطاق الحصول على الطاقة الحديثة من خلال الكهرباء وإمكان الحصول على تكنولوجيات وقود الطهي النظيفة والحديثة؛ ومضاعفة المعدل العالمي للتحسين من كفاءة استخدام الطاقة؛ ومضاعفة حصة الطاقة المتجددة في مزيج الطاقة العالمي. تعد الطاقة المستدامة أولوية وأكثر أهمية لأي بلد عربي دون سواه، وليست خيارا بين نمو مرتفع ونمو منخفض. ومع نمو السكان وارتفاع مستويات المعيشة يتنامى الطلب على الطاقة في جميع أنحاء المنطقة العربية. وإدارة الموارد الطبيعية، كالطاقة والمياه والبيئة هي السبيل الوحيد لضمان النمو الشامل الذي سيوفر للجميع فرصا اقتصادية في المستقبل. فالتدمير غير العقلاني للثروة الطبيعية اليوم تحت مظلة (بقاء الأمور على حالها) وما يرافقه من نمو سكاني وتوسع اقتصادي لا يشكل في هذا السياق خيارا واقعيا، بغض النظر عن مستوى الدخل أو وضع ثروة موارد الوقود الأحفوري التي يملكها البلد. وربما تكون أقل البلدان العربية نموا هي التي تجسد أكثر من سواها الكيفية التي يمكن من خلالها إدراك أن إدارة الموارد الطبيعية المحدودة شرط مسبق، وليست عائقا أمام التقدم الاقتصادي الدائم، يعتبرعا مل مساعد من خلال ذلك في القضاء على الفقر وتحقيق التنمية المستدامة والازدهار على الصعيد العالمي.

([16]) ينظر ،مريم بو عشير ،دور واهمية الطاقة المتجددة في تحقيق التنمية المستدامة ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير ،قسم العلوم الاقتصادية ،تخصص تحليل واستشراف اقتصادي ،جامعة منتوري ،قسنطينه ،الجزائر ،2010 ،ص60-69.

المطلب الثاني: تأمين الاستثمار والتطوير

يعتبر أمن الطاقة واستثمار ها وتطورها قضية محورية للبلدان في جميع أنحاء العالم، لتأثيره على النمو والتطور الاقتصادي والأمن القومي والرفاهية لكافة أفراد المجتمع، وتواجه كل دول العالم، ومنها الدول العربية عددا من التحديّات والصعوبات على مستوى أمن الطاقة في الوصول إلى مصادر أكثر استدامة، وللتغلب على هذه التحديات، يحتاج العالم إلى اعتماد خطوات شاملة ومتكاملة لأمن الطاقة، ويأخذ في الاعتبار الحاجة المتزايدة إلى زيادة وتطوير الطاقة، وكذلك الطاقة المتجددة، وحماية البنى التحتية للطاقة الحيوية، والعمل على التقليل من الانبعاثات المضرة للمحافظة على بالبيئة التي تعتبر مهمة وضرورية لحياة الأفراد والمجتمع.

يعد التحول في المنطقة العربية من مورد رئيسي للطاقة إلى الأسواق العالمية إلى سوق طلب متزايدة الأهمية يثير تحديات كبيرة، ولكن في الوقت نفسه يزيد الفرص المتاحة للعقود المقبلة. والرسالة الأساسية التي يوجهها معدو التقرير لواضعي السياسات والمجتمعات المدنية على حد سواء، هي أن السيناريو الحالي المتمثل في (بقاء الأمور على حالها) في مجالي الطاقة والإدارة الأوسع للموارد الطبيعية في المنطقة العربية غير قابل للاستمرار في معظم الحالات. إن السياسة الاستباقية مهمة جدا لضمان قدرة المنطقة على الصمود والاستقرار على المدى البعيد، لا سيما في ضوء النمو السكاني والاقتصادي، وارتفاع مستويات المعيشة، ومحدودية ثروة الموارد الطبيعية الموزعة على نحو غير متساو في المنطقة. لقد أحرزت معظم أنحاء المنطقة العربية، باستثناء أقل البلدان نموا، تقدما ملحوظا في تحقيق الحصول شبه الشامل على الطاقة، ويعتبر ذلك إنجازا تنمويا رئيسيا. ومع ذلك لا تزال المنطقة تفتقر إلى الإدارة المستدامة للموارد، خصوصا في مجال كفاءة استخدام الطاقة، ولا تزال تعتمد – بشكل كبير – على الوقود الأحفوري لتلبية معظم احتياجاتها من الطاقة[17].

وتمكن الباحث من سبب التزايد السريع للطلب المحلي على الطاقة في المنطقة العربية يمثل تحديا لسياستها التقليدية للطاقة، وقد تشكل احتياجات المنطقة العربية المتزايدة من الطاقة تحديا بحد ذاتها فحسب، بل تؤثر أيضا في عوامل أخرى ضرورية لتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية الطويلة الأجل، ولا سيما تحقيق الأمن المائي والغذائي. وبينما لم يكن لتغير المناخ دور مهم في خطاب البلدان العربية حول استخدام الطاقة، فإن المنطقة العربية هي من المناطق الأشد تأثرا بتغير المناخ. فالنقص في المياه والأخطار التي يواجهها الأمن الغذائي من جراء تغير المناخ، كلها أمور تهدد سبل عيش شرائح واسعة من السكان. وتزايد التوسع العمراني في المنطقة العربية يعزز أهمية السياسات المتكاملة في إدارة الموارد الطبيعية على نحو أكثر استدامة.

الخاتمة

قد تواجه الطاقة كثير من الأزمات والمشاكل الآنية والمستقبلية وأهمها الأزمة الأوكرانية وحروب الاستنزاف الجارية وطبيعة طقس أوربا وأجوائها ونمط حياتها، أنها المستهلك الكبير والمستورد الأهم حول العالم، والذي سيصب كل خطوط الإمداد عنده ولأجله، بالإضافة إلى دول العالم المهمة الأخرى، وخاصة بعد التخندق الروسي والأوربي مقابل وضد بعضهم البعض وحزم العقوبات التي فرضها الاتحاد الأوربي على روسيا تحت الضغط الأمريكي والبريطاني ومحاولات تحديد سقف السعر للغاز الروسي لإضعاف واستنزاف الاقتصاد الروسي وخلق حالة عدم استقرار داخلي

(17) ينظر ، زهره روايقية ،تحسين كفائة استخدام الطاقة من اجل تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاديات العربية ، اطروحة دكتوراء ،جامعة 8 ماي 1945قالمة ،الجزائر ،2018 ص 165.

ورأي عام رافض للسلطة في روسيا أولا وثم في العالم للضغط على القيادة الروسية للتراجع وللهزيمة ولإبقاء الجبهة الأوربية موحدة أمام الخطر الروسي المزعوم والحقيقي في جزء منه، والذي تم إثارته للتحرك والفعل العسكري والتصعيد، ولكن مع تزايد التأثيرات والتداعيات وتصاعد الأصوات داخل أوربا ووجود القرار والتنفيذ الروسي البوتيني بقطع الإمداد التدريجي والفعلي الحالي واستخدام الطاقة والغاز كسلاح فعال ومؤثر على المجتمعات ضمن دول الاتحاد الأوربي وخاصة مع فصل الشتاء القادم لتحريك الرأي العام الأوربي وكذلك العمل لإفشال سلاح العقوبات الأوربية والأمريكية بمزيد من الإجراءات الاقتصادية، ومنها فرض التعامل بالروبل الروسي لشراء الغاز وفتح علاقات أوسع في مجال الطاقة مع الصين والهند ودول شرق وجنوب وغرب آسيا، يتبين أن الغاز سلاح مهم وفعال وقادر على إعادة هيكلة العلاقات الدولية وخريطة التحالفات والمقاربات من القضايا الوطنية والإقليمية والدولية.

الطاقة من أكثر القضايا العالمية التي يتم البحث فيها حالياً من قبل غالبية مراكز البحث والاستراتيجيات الدولية وهي القضية التي تهيمن وستهيمن على مائدة الحوارات والنقاشات الدولية والسياسية الآنية والمستقبلية للدول والشعوب بينهم وبين محيطهم والعالم، ولعل قضية الطاقة هي إحدى أهم القضايا النقاشية والحوارية التي تدور في المنطقة العربية ذات الاحتياطي العالي من البترول والمعادن النادرة ومنابع الطاقة.

ويرى الباحث أن دول المغرب والجزائر وتونس ومالي لديهم جزء كبير من الخلافات والتناقضات والاحتكاكات مع أوربا وخاصة إسبانيا وفرنسا وإيطاليا يعود لكيفية التعامل في ملف الغاز والنفط ومد الأنابيب والتنافس في هذه المجالات، تستمر الأزمة الصومالية واليمنية ومع الاكتشافات الغازية على السواحل الصومالية واليمنية، زاد الاهتمام الدولي، ورجعت أمريكا إلى الصومال قبل شهور وبعدد من القوات العسكرية، علاوة التواجد الكبير لتركيا فيها وعملها المستمر لاكتشاف الغاز في سواحلها. ومن الممكن القول إن منظمة مجلس الدول المتشاطئة لبحر العرب وخليج عدن التي تشكلت مؤخراً، لذلك هناك تنافس كبير بين الدول الصناعية على التمكن من النفوذ والسيطرة على منابع الطاقة ومصادرها للحصول على القدر الأكبر من الطاقة واستخدامها في المشاريع التنمية وتطوير مشاريع أخرى.

التوصيات

1- الاهتمام بمناشئ الطاقة العربية وحسن استثمارها لخدمة وتطوير سبل الحياة والرفاهية.

2- تجنب وتصفير الأزمات الداخلية بما يضمن بيئة مناسبة وجاذبة للشركات والاستثمارات العالمية.

3- تقليل تأثير الأزمات الخارجية والدولية والإقليمية على المنطقة العربية لكونها منطقة استثمار طاقوي بامتياز.

4- عدم السماح لبعض القوى الدولية من استخدام المنطقة العربية لخوض النزاعات والتوترات؛ مما يساهم في طرد الشركات والمستثمرين حيث ذلك يؤثر على كفاءة الإنتاج والتسويق العالمي.

5- الإكثار من هذه المؤتمرات والندوات لتوطيد العلاقة بين الباحثين والأساتذة والنظر بالاعتبار بحوثهم أليمة في هذه المجالات.

المراجع:

محمد حسن هيكل، حرب الخليج – أوهام القوة والنصر، مركز الأهرام، القاهرة،1992.

نيكولا ستاريكوف، خبير اقتصادي روسي، مقابلة صحفية مسجلة على قناة روسيا اليوم، لمناقشة كتاب (النفط محرك العلاقات الدولية)،2012.

قصي عبد الكريم إبراهيم: أهمية النفط في الاقتصاد والتجارة الدولية النفط السوري أنموذجا، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،2010.

مايكل كلير، الحروب على الموارد. الجغرافية الجديدة للنزاعات العالمية، ترجمة عدنان حسن، دار الكتاب العربي، بيروت،2002.

بريماكوف ألكسندر، نفط الشرق الأوسط والاحتكارات الدولية، ترجمة بسام خليل، دار ألف باء للطباعة والنشر، والتوزيع، بيروت،1984.

صديق محمد عفيفي، تسويق البترول، الطبعة التاسعة، مكتبة عين الشمس،2003/2002 الإسكندرية.

خلف حسين الدليمي، الجيولوجية التطبيقية، علم شكل الأرض التطبيقي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن 2001.

هاني حبيب، النفط استراتيجيا وأمنيا وعسكريا وتنمويا مصدر الثروة والطاقة والأزمات، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2006.

جمال سالم عبد الكريم النعاس: الأبعاد الاستراتيجية الإغلاق مضيق هرمز – دراسة في الجغرافية السياسية، جامعة عمر المختار، ليبيا،2001.

ثامر كامل، دراسة في الأمن الخارجي العراقي وإستراتيجية تحقيقه (العراق: وزارة الثقافة والإعلام،1985.

,ANE.NEWSأحمد شيخو، القاهرة، الجمعة،9 سبتمبر،2022.

إبراهيم طه عبد الوهاب، محاسبة البترول وفقا للنظم العالمية والمحلية ومعايير الجودة الدولية، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، المنصورة،2006.

ينظر: حسين عبد الله، التعاون بين الأوبك والاوابك لخفض صادرات النفط ومساندة الأسعار، مجلة النفط والتعاون العربي، العدد 69, الكويت،1994.

زهرة روايقية، أطروحة دكتوراه، تحسين كفاءة استخدام الطاقة من أجل تحقيق التنمية في الاقتصاديات العربية، الجزائر، جامعة 8 ماي 1945 قالمة،2019/2018.

مريم بو عشير، دور وأهمية الطاقة المتجددة في تحقيق التنمية المستدامة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، قسم العلوم الاقتصادية، تخصص تحليل واستشراف اقتصادي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2010.

زهرة روايقية، تحسين كفاءة استخدام الطاقة من أجل تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاديات العربية، أطروحة دكتوراه، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر،2018.

العلاقات التركية العربية الراهنة الواقع والمأمول قراءة تحليلية للعلاقات التركية العربية أواخر القرن العشرين

Current Turkish-Arab relations reality and hoped read Analytical Turkish-Arab relations in the late twentieth century

محمد علي محمد القوزي[1]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract

Turkey has been working in recent decades to prepare a strong position for it in international politics. It sometimes tends to the European Union and considers itself a European country. It sometimes tends to the Islamic and Arab world to take the position of friends of them.

The growth and development of the modern Middle East Institute, which was adopted by the Arab world as a solid resistance to the concept of Arab nationalism, which then disappeared to show the religious or sectarian concept as a pressing paper on the Middle East concept, has influenced the media and political and psychological incitement to strengthen conflicts in the region to eliminate the national concept and the religious concept appeared in its place.

Here are three issues in regional politics:

1. Turkish-Iranian conflict over regional leadership.

2. Israel, its ambitions in the region and its relationship with regional powers.

The international policy that wants to keep the Middle East region in the weak and disintegrated under its control, based on the principle of division and therefore the Zionist state is the strongest in the face of the disintegration and weakness of the countries of the Arab world. Here I mention that the strength derived by Turkey in its policy in the region is due to the ethnic kinship with the Islamic Republic of Central Asia, which Turkey tends to and adopts as a pressure regional power.

The decline of Arab power after the Second Gulf War prompted Turkey to form a comprehensive vision in the region, because the existence of a new Middle East will not only change the balances in the region but may also push in return for the emergence of a regional Arab regime that confronts Turkey and Iran and searches for strong support from the West.

On the other hand, it must be pointed out that Turkey's fluctuation of its positions on the Arab-Islamic conflict. It is the first Islamic state that recognized the Zionist entity in 1949 and established good relations with it and then struggled after the triple aggression against Egypt in 1956. Hence, we conclude that Arab-Turkish relations in the late twentieth century were changing, both in terms of water policy between Turkey, Syria and Iraq, or in terms of Turkey's proximity to the Western world and joining the European Union, which was opposed to this because of the policy of the Turks towards freedoms inside Turkey, especially with the Kurds.

http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2-8

[1] Prof. Dr. Mohammad Ali KOUZI, Beirut Arab University, Lebanon mohammad.kouzi@bau.edu.lb

Thus, Arab-Turkish relations were affected by several measures, including:

1- Turkish-Iranian rivalry for the control of influence in the region.
2- Turkish rapprochement with the Central Asian Republic separated from the Soviet Union.
3- Turkish politics is opposed to the European Union despite being a NATO country.
4- The developments of the Palestinian issue and its agreement or conflict with foreign and Turkish policy.

The emergence of economic and regional policies that may affect the Turkish economy, including Israel's policy of creating international lines of trade between the Far East and the European world.

Keywords: *Jungle Project - Turkey - Neo-Ottoman - Israel - New Middle East Project.*

الملخص:

تهمل تركيا في العقود الأخيرة لإعداد مركز قوي لها في السياسة الدولية فهي تارةً تميل للاتحاد الأوروبي واعتبار نفسها دولة أوروبية وهي أحيانًا تميل إلى العالم الإسلامي والعربي لتنبوءا مركز الصديقة منهم.

إن نمو وتطور معهد الشرق الأوسط الحديث، والذي تبناه العالم العربي كمقاوم صلب لمفهوم القومية العربية، والذي اندثر بعد ذلك ليظهر المفهوم الديني أو المذهبي كورقة ضاغطة على المفهوم الشرق أوسطي، وقد أثرت وسائل الإعلام والتحريض السياسي والنفسي لتقوية النزاعات في المنطقة للقضاء على المفهوم القومي وظهر المفهوم الديني محله.

وهنا تظهر ثلاث قضايا في السياسة الإقليمية:

1. الصراع التركي الإيراني على الزعامة الإقليمية.

2. إسرائيل وأطماعها في المنطقة وعلاقتها مع القوى الإقليمية. السياسة الدولية التي تريد إبقاء منطقة الشرق الأوسط في الضعيفة والمتفككة تحت سيطرتها اعتمادًا على مبدأ فرق تسد وبالتالي تكون دولة الصهاينة هي الأقوى أمام تفكك دول العالم العربي وضعفها. وهنا أذكر أن القوة التي تستمدها تركيا في سياستها في المنطقة تعود إلى القرابة العرقية مع جمهورية آسيا الوسطى الإسلامية أساسا، والتي تميل تركيا إليها، وتعتمدها كقوة إقليمية ضاغطة.

إن انحسار القوة العربية بعد حرب الخليج الثانية دفع تركيا إلى تكوين رؤية شاملة في المنطقة. وذلك أن وجود شرق أوسط جديد سيبدل ليس فقط التوازنات في المنطقة، بل قد يدفع بالمقابل لظهور نظام عربي إقليمي يواجه تركيا وإيران، ويفتش عن دعم قوي من الغرب.

من ناحية أخرى لا بد من الإشارة إلى تذبذب تركيا بمواقفها من الصراع العربي الإسلامي فهي أول دولة إسلامية اعترفت عام 1949 بالكيان الصهيوني، وإقامة علاقات جيدة معه، ثم تراجعت بعد العدوان الثلاثي على مصر 1956. ومن هنا نستنتج أن العلاقات العربية التركية في أواخر القرن العشرين كانت متغيرة سواء من ناحية السياسة المائية بين تركيا وسوريا والعراق أو من ناحية تقرّب تركيا من العالم الغربي والانضمام إلى الاتحاد الأوروبي الذي كان يعارض ذلك بسبب سياسة الأتراك تجاه الحريات في الداخل التركي وخاصة مع الأكراد.

وهكذا تأثرت العلاقات العربية التركية بعدة مقاييس منها:

1. التنافس التركي الإيراني على سيطرة النفوذ في المنطقة.

2. التقارب التركي مع جمهورية آسيا الوسطى المنفصلة عن الاتحاد السوفياتي.

3. تعارض السياسة التركية مع الاتحاد الأوروبي، رغم كونها دولة من دول الناتو.

4. تطورات القضية الفلسطينية واتفاقها، أو تعارضها مع السياسة الخارجية والتركية.

ظهور سياسات اقتصادية وإقليمية قد تؤثر على الاقتصاد التركي، ومنها سياسة إسرائيل بإيجاد خطوط دولية للتجارة بين الشرق الأقصى والعالم الأوروبي.

الكلمات المفتاحية: مشروع الغاب - تركيا - العثمانية الجديدة - اسرائيل - مشروع الشرق الأوسط الجديد.

مقدمة:

برزت أهمية العلاقات العربية التركية مؤخراً مع نمو وتطور المفهوم الأمريكي المفروض على العرب والمسمى بمفهوم الشرق الأوسط الجديد، هذا المفهوم ظهر كمقاوم صلب لمفهوم القومية العربية الذي ظهر بقوة في منتصف القرن الماضي، واندثر بعد ظهور المفهوم الديني في بداية القرن الحالي.

حاولت في هذه الدراسة أن أبين الأثر الذي يتركه مفهوم الشرق الأوسط الجديد المدعوم من الصهاينة والعالم الغربي، والذي جاء واضحاً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أواخر القرن الماضي وما نتج عنه من قيام جمهوريات كانت تابعة له في آسيا الوسطى وهي تابعة للجماعات التركية؛ وبالتالي بدأت تركيا تستعمل قوتها في سياستها في المنطقة اعتماداً على هذه الجمهوريات الست. ذلك أن تركيا أرادت القومية أن تثبت وجودها أمام القوميتين المحليتين عينت بهما القومية الفارسية والقومية العربية.

وبعد انهيار قوة العرب إثر حرب الخليج الثانية، عملت تركيا لتكون لها رؤية شاملة في المنطقة بعد تغيير التوازنات خشية من قيام نظام عربي شامل يواجهها أو قيام نظام إيراني حديث يسيطر عليها.

من هنا عادت تركيا للاعتماد على الغرب كما كانت في بداية ظهورها القومي في القرن الماضي، وهذا يعني أن العلاقات التركية العربية خلال المائة عام الماضية كانت متذبذبة، مرة تتفق مع إسرائيل وأحياناً تقاطع الصهاينة، وتدعم القضية الفلسطينية.

<u>بالخلاصة إن العلاقات العربية التركية تجاذبتها أربعة محاور هي:</u>

1- التنافس التركي الإيراني على زيادة النفوذ في المنطقة.

2- التعاون التركي مع جمهوريات آسيا الوسطى ذات الأصول التركية الإسلامية.

3- محاولة تركيا الانضمام للسوق الأوروبية المشتركة وفشلها في ذلك.

4- الخطر الذي يهدد تركيا بولادة الشرق الأوسط الجديد، والذي يؤدي إلى ضعف الاقتصاد التركي المعتمد بقوة على العالم العربي.

بالمقابل أن الغزو الصهيوني القادم مع ترتيبات الشرق الأوسط الجديد سيؤدي إلى تغيير الخريطة الاقتصادية والتجارة الدولية التي لن تكون لصالح العرب، ولن تكون لصالح تركيا أيضًا.

إن تحول إسرائيل من دولة مصدرة للقوة تهدد المنطقة بكاملها إلى دولة تسعى للسيطرة الاقتصادية والمالية على السوق الإقليمية دفع الاقتصاديين الأتراك للتوجه نحو العالم العربي الضعيف والمتفكك بعد حرب الخليج الثانية معتمدين في ذلك على مبدأين الأول الارتباط التاريخي الذي كان سائداً في المنطقة لمدة أربعة قرون، والمبدأ الثاني هو انتهاء دور تركيا كشرطي يدافع عن المصالح الغربية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

إن دراسة متأنية للعلاقات العربية التركية تؤكد حقيقة ثابتة وهي أن هذه العلاقات كانت قوية في ظل الرابطة الدينية، وضعفت مع ظهور المفهوم القومي، ثم عادت لتقوى مع ظهور الإسلام السياسي بمظاهره المختلفة، لقد كانت تركيا شريكاً في نظام موال للغرب معاد للنظام العربي عندما شاركت في حلف بغداد عام 1955، وفي مشروع ايزنهاور عام 1957، وفي حشد قواتها على الحدود البرية مع سوريا عند ظهور تباشير الوحدة المصرية السورية عام 1958، وعند

نزول القوات الأمريكية على الشاطئ اللبناني في نفس السنة، بل أن تركيا وقفت إلى جانب فرنسا في استعمارها للجزائر عام 1958، وبالمقابل وقفت الدول العربية إلى جانب اليونان عندما احتلت تركيا شمال الجزيرة القبرصية.

إلا أن هذه العلاقات عادة للتحسن بعد حرب العبور عام 1973 وظهور أزمة النفط العالمية، الأمر الذي دفع تركيا للوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني عام 1974، واستقبلت وفداً من منظمة التحرير الفلسطينية عام 1976، وأقامت علاقات مع المنظمة عام 1979، إن تركيا التي لاحظت تهافت الدول الغربية ووقوفها أمام أبواب العرب للحصول على الكمية الكافية من النفط رأت أن تميل إلى الجانب العربي للحفاظ على مصالحها.

ولعل أبرز الدلالات المعبرة عن هذه السياسة الجديدة هو اهتمام الرئيس التركي كنعان إفرين بتمثيل تركيا في مؤتمر القمة الإسلامي الرابع في الرباط في يناير كانون الثاني عام 1984 وهي المرة الأولى التي تشارك فيها تركيا بهذا المستوى منذ قيام منظمة المؤتمر الإسلامي.

إن التطور الذي حصل في العلاقات العربية التركية بعد أزمة الطاقة جعل ميزان التبادل التجاري يقفز من مستوى التعاون مع ثمان دول عربية عام 1973 إلى أربع عشرة دولة عربية عام 1978 (السماك، ص 89).

من هنا أجد من الضروري دراسة المشكلات التي اعترضت العلاقات العربية التركية المتمثلة في مشكلة الإسكندرون ومشكلة المياه ومشكلة الأكراد الموجودين في الدول العربية المجاورة، والنتائج التي توصلت إليها علاقات تركيا مع إسرائيل ومع الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تخللتها بعض الإيجابيات في العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

أولاً: مشكلة لواء الإسكندرون:

بقي هذا اللواء جزءاً من السلطة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وتطبيق تقسيم المناطق العربية حسب اتفاقية سايكس – بيكو عام 1916، واعتماد الانتداب الفرنسي على سوريا بعد مؤتمر سان ريمو 1920، لقد كان لواء الإسكندرون تابعًا لولاية حلب من الناحية الإدارية، وكانت اتفاقية فرانكلين بوبون عام 1921 قد أكدت على وجود نظام إداري خاص للواء إلى أن عقدت فرنسا اتفاقية مع سوريا سبتمبر أيلول 1936، وعدت فيه السوريين بمنح اللواء استقلالاً مع سوريا، مما أغضب الأتراك، ورفعوا شكوى لبعض الأمم، ولم تعترف تركيا بالاتفاقية السورية الفرنسية.

وفي عام 1938 اتفقت تركيا مع فرنسا حول البت بمصير اللواء، وجرت انتخابات في سبتمبر أيلول 1938، وفازت تركيا بـ 22 مقعداً من أصل أربعين.

وبالتالي ضم اللواء إلى تركيا تحت اسم هاتاي عام 1939، واعترفت فرنسا بهذا الضم، إلا أن سوريا بقيت تعتبر هذا اللواء أرضاً سورية مسلوبة في المناهج الدراسية المعتمدة لديها، وفي عام 2000 وخلال زيارة نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام إلى تركيا، طلبت منه الحكومة التركية تغيير المنهج الدراسي السوري واعتبار الإسكندرون أرضاً تركية، ولكن خدام رفض ذلك.

ثانياً: مشكلة المياه: وتندرج تحت بندين هما:

أ. مشروع أنابيب السلام.

ب. مشروع الغاب

أ. مشروع أنابيب السلام:

طرح هذا المشروع في 1991/5/18 عندما أعلن عنه الرئيس التركي توركوت أوزال مشيراً إلى أن تركيا غنية بالمياه، وإنها مستعدة لبيع المياه للدول العربية الخليجية وإسرائيل.

وتتألف هذه الأنابيب من خطين ينقلان المياه من تركيا إلى الخليج عبر سوريا والأردن مقابل الحصول على النفط الخام، لكن العرب رأوا أن هذا المشروع يضع أمنهم الغذائي تحت رحمة تركيا، فرفض المشروع خاصة وأن تكلفة تكرير مياه البحر أقل كلفة منه (أحمد، ص 47) كما أن إسرائيل تأخرت في إعطاء موافقتها عليه.

ب. مشروع الغاب:

هو أضخم مشروع ري في العالم، ويشمل ثمان محافظات تركية، ويقع في الجنوب الشرقي منها، ويهيئ فرص عمل لحوالي مئة ألف شخص، ويقوم على إقامة سدود مائية في المنطقة، ومنها سد أتاتورك وبريجيك، وقرقابا وغازي عينتاب وغيرها (دلي، 1999، ص 41).

وقد برر رئيس الوزراء التركي سليمان ديميريل مشروع الغاب بقوله، كما أن لسوريا والعراق آبارهم النفطية ونحن لا نشاركهم بها كذلك فإن المياه من مصادر تركية هي ملك لتركيا ولها الحق بأن تفعل بها ما تشاء (دلي، 1999، ص 42). وفي هذا المجال لا بد من الإشارة إلى أن هذا المشروع سيلحق أضراراً بالغة بسوريا من حيث تقليل نسبة المياه من نهر الفرات وضعف توليد الطاقة الكهربائية وملاحة التربة والتصحر والتلوث (دلي، 1999، ص 42).

وآخر المستجدات في هذا المشروع أشار رئيس الوزراء التركي في ذلك الحين رجب طيب أردوغان بأن تركيا لا يمكن أن تفكر بأي شكل من الأشكال يخلق المشاكل بين سوريا وتركيا في موضوع المياه (حميدي، 2004، صحيفة الحياة، 14896).

وحول هذا الموضوع يشير الكاتب باتريك سيل (الكاتب البريطاني المتخصص بأمور الشرق الأوسط) إلى أن إقامة هذا العدد الوافر من السدود التركية يضر بالزراعة في سوريا، الأمر الذي دفع القيادة السورية لدعم الزعيم الكردي المعارض عبد الله أوجلان وتدريب مقاتليه في سهل البقاع اللبناني (سيل، 2004، ص 9).

ثالثاً: مشكلة الأكراد الموجودين في الدول العربية المجاورة:

تتمثل بوجود عبد الله أوجلان زعيم حزب العمال الكردستاني PKk الذي جمع بين القومية الكردية والفكر الماركسي. وقد تركز نشاط هذا الحزب في جنوب شرقي تركيا، معتمداً النضال المسلح ومحاربة المقاطعجية الأكراد المتعاملين مع السلطات التركية للحفاظ على مراكزهم وأطماعهم بالبقاء في الحكم بدعم الأتراك.

لا بد من الإشارة إلى أن العلاقات العربية التركية كانت في تلك الفترة متأرجحة بين مد وجزر، فقد اعتبر الحكام الأتراك أن مساعدة العرب لهذه المجموعة الموصوفة بالإرهابية قد تؤدي إلى مواجهة مباشرة بين تركيا وسوريا أو بين تركيا والعراق، حيث إن الوجود الكردي له وزنه الفاعل في المنطقة.

وفي عام 1997 اتخذ مجلس جامعة الدول العربية قراراً يطالب فيه تركيا بضرورة حفظ مصالح سوريا والعراق في المياه التركية حسب القوانين الدولية.

وفي حين أعلن الرئيس السوري حافظ الأسد أن سوريا لن تلعب دور الشرطي لصالح تركيا ضد جماعة أوجلان، وأن على تركيا أن تحل مشاكلها بنفسها؛ مما أدى إلى توتر تركي سوري، ونشر حشود عسكرية على الحدود بينهما، ولكن ذلك لم يدم طويلاً، فقد توصل الطرفان إلى اتفاقية أضنة 1998 التي لعبت فيها مصر وإيران دور الوسيط للوصول إلى نزع فتيل هذه الأزمة (المنصور، 1997، ص 134).

رابعاً: التحالف التركي الإسرائيلي الأمريكي وأثره في العالم العربي:

إن توقيع تركيا على أكثر من خمسين اتفاقية مع الولايات المتحدة في أواسط القرن العشرين، وهي اتفاقيات عسكرية تخلت فيها تركيا عن كثير من سيادتها على الموانئ والمطارات والقواعد العسكرية لمصلحة الولايات المتحدة، حصلت تركيا مقابلها على ثمانمائة مليون دولار أمريكي بعد زيارة قام بها تورغوت أوزال للولايات المتحدة، والتقى خلالها بالرئيس الأمريكي رونالد ريغان عام 1985. وهنا لا بد من الإشارة إلى إمكانية التعاون التركي الإسرائيلي؛ نظراً لأن الطرفين على علاقة جيدة مع الولايات المتحدة. وتعتبر فترة التسعينات من القرن الماضي الفترة الذهبية للعلاقات التركية الإسرائيلية، ففي عام 1991 كان هناك تعاون سري أثناء حرب الخليج الثانية بين المخابرات التركية والمخابرات الإسرائيلية. وبعد التوقيع على اتفاقيات أوسلو عام 1993 بين الفلسطينيين والإسرائيليين وبنهاية عام 1995، وخوفاً من تعاظم التيار الإسلامي المتمثل بحزب الرفاه، وخشية من الانفصاليين بحزب الأكراد قامت تركيا بتوقيع اتفاقيات علنية مع إسرائيل (مركز زايد، د.ت، ص 12) وتوالت الزيارات التي قام بها الرئيس التركي سليمان ديميريل عام 1966، كما اتفقت تركيا مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية عام 1996 للضغط على العراق الذي كان يشكل في تلك الفترة تهديداً لهما.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الاتفاق التركي الإسرائيلي أعطى للأخيرة عمقاً استراتيجياً لاستعمال الأجواء والمياه التركية لممارسة الضغط على الدول العربية المجاورة لها عنيت سوريا والعراق (مركز زايد، د.ت، ص 17) لقد أصبح الشمال العراقي والسوري تحت المراقبة الإسرائيلية نتيجة لهذا التعاون (رشوان، 1996، مجلة المجلة، العدد 582، ص 206)، كما أن هذا الاتفاق تقاطع مع رغبة أمريكا في قيام الشرق الأوسط الجديد.

أما عن موقف العرب من هذا الاتفاق، فقد حذر وزير الخارجية السوري فاروق الشرع من آثاره، كما قام الزعماء العرب بدعوة تركيا للتراجع عن هذا الاتفاق، بل أن جامعة الدول العربية أصدرت بياناً عام 1997 نددت فيه بالاتفاق الذي كان من آثاره التحالف السوري الإيراني، والتحالف المصري السعودي.

في عام 1997 عقد مؤتمر في طهران (المؤتمر الإسلامي الثامن) أظهر أن التحالف التركي الإسرائيلي لا مصلحة لتركيا به، بل هو لمصلحة إسرائيل، وكان لا بد للساسة السوريين أمام هذا الاتفاق أن يتحركوا باتجاه تركيا، فقام الرئيس حافظ الأسد بزيارة لأنقرة لترطيب الأجواء، معتبراً أن هذا العمل مقدمة لتحالف استراتيجي تركي سوري (حميدي، صحيفة الحياة، 14891).

خامساً: العلاقات التركية الفلسطينية والإسرائيلية:

انتشرت خيبة الأمل في تركيا بعد الحرب الأمريكية على العراق واحتلاله عام 2003، وتراجعت مواقف الدول العربية أمام تهديدات أمريكا، واضطرت تركيا للسكوت عن هذا الاحتلال مشاركة للدول العربية سكوتها، مما جعل تركيا تميل لناحية إسرائيل.

ففي نسيان أبريل 2003 قام وزير خارجية إسرائيل بزيارة أنقرة، واستقبله الرئيس التركي أحمد نجدت سيزار الذي كان قد امتنع قبل فترة من استقبال وزير خارجية إيران (نور الدين، السفير 2003/4/15) ورداً على مواقف تركيا من العدوان الأمريكي على العراق صرح رجب طيب أردوغان "إن إسرائيل دولة إرهابية" وقد أجل وزير خارجية تركيا عبد الله غول زيارته لإسرائيل حتى موعدٍ آخر (جريدة المستقبل، 22 مايو 2003).

أمام هذه التغيرات قام وفد من أعضاء الكونغرس اليهود لزيارة أنقرة في مايو ويونيو عام 2004 في وقت تجاهلت فيه معظم العواصم العربية احتلال العراق محاولاً إعادة العلاقات التركية الإسرائيلية، وتجلى ذلك بزيارة رئيس الأركان التركي حلمي أوزتورك إلى تل أبيب، والتقى وزير الدفاع شاؤول موفاز، كما زار الرئيس الإسرائيلي موشي كاتساف أنقرة في يوليو 2003، وجاءت زيارة رئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس لأنقرة في هذا التاريخ لإيجاد توازن في علاقة تركيا بكل من الدولة الفلسطينية وإسرائيل (جريدة الحياة، لندن، 2003/7/9).

بالمقابل، وعلى خلفية الإدانة التركية للممارسات الصهيونية في فلسطين قام نائب رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت على رأس وفد تجاري بزيارة أنقرة في يوليو 2004، وقد رفض رجب طيب أردوغان مقابلة أولمرت في الوقت الذي استقبل فيه رئيس الحكومة السورية ناجي العطري (السفير 2004/7/14) كما رفض أردوغان طلب شارون لزيارة تركيا وقال: "إن هناك أطفالاً يرشقون الحجارة وإسرائيليين يطلقون الصواريخ، فإن كان الأطفال إرهابيين فكيف نصف من يطلقون النار من المروحيات، أنها دولة إرهابية (المستقبل 2004/7/17).

سادساً: العلاقات التركية السورية في ظل تغيير الموازين في الشرق الأوسط:

أدركت إسرائيل أن سقوط نظام الأسد فرصة لإعادة تشكيل سياستها في المنطقة بعد انهيار "محور الشر" وضياع نظرية "طوق النار" الإيراني.

ونظرت إسرائيل إلى التقارب السعودي التركي وشراء السعودية طائرات حديثة من تركيا يعني دخول متجدد لتركيا كقوة عظمى في المنطقة الأمر الذي سيؤدي إلى مواجهة مباشرة مع إسرائيل.

وجاءت أنباء الاتفاق التركي السعودي لشراء مئة طائرة شبيهة بالطائرة الأمريكية فانتوم 35 لتزيد التنافر بين تركيا وإسرائيل، رغم أن هذه الصفقة قد تعني رغبة سعودية في عدم الاعتماد كلياً على السلاح الأمريكي، وقد تكون هذه الصفقة لتوجيه مستقبل سوريا الجديدة وتعزيز مكانتها؛ مما يؤثر مستقبلاً على العراق ولبنان.

ويرى الساسة الإسرائيليون أن تركيا الحالية تتبنى سياسة خارجية عدوانية فيما يتعلق ببيع الأسلحة، مما يوفر لها دخلاً بالعملة الصعبة، وقد أشارت صحيفة معاريف إلى أن أردوغان يقترب بحدوده في سوريا من حدود إسرائيل التي يجب عليها أن تعلم أن اردوغانستان ستنشأ في سوريا بدعم تركي قطري؛ مما يهيئ لتركيا منصبًا جديداً في الشرق الأوسط. (سمير العركي الجزيرة البث الحي).

سابعاً: دور النظام العالمي الجديد في العلاقات العربية التركية المعاصرة:

إن تفكك الاتحاد السوفيتي، قضى على الرادع الذي كان يضبط حركة إيقاع السياسة الأمريكية في العالم، وأطلق العنان للولايات المتحدة لتنصرف بدون حسيب أو رقيب، ومن خلال التحالف الأمريكي التركي الثابت، يمكن للولايات المتحدة أن تعهد لتركيا القيام بدور في الشرق الأوسط وما يستتبع ذلك من أثر على العلاقات العربية التركية التي قد تزداد سوءاً، والتي تدفع تركيا للتعالي في علاقاتها مع العرب؛ وبالتالي أصبح أمام تركيا طريقان للدخول إلى العالم العربي تحت دعم النظام العالمي الجديد، الطريق الأول نهاية حرب الخليج الثانية وظهور كردستان في شمال العراق والطريق الثاني العمل على تسوية عربية إسرائيلية وتمرير مشروع أنابيب مياه السلام.

وسط هذه الفرضيات المتوقعة في ظروف التمزق التي يمر بها العالم العربي لا يمكن أن نتصور أن العالم العربي يمكن أن يقلب الطاولة على الجميع، وهو يفتقر إلى القوة الذاتية، لذلك أرى أنه من الواقعية إحياء روح الأخوة العربية التركية وبناء صرح جديد من العلاقات مع تركيا في ظل النظام العالمي الجديد.

إن الدول العربية الضعيفة والمستضعفة بفقدها حليف مؤثر في التوازن الدولي تتقابل مع إسرائيل القوية بتفوقها العسكري وحليفها الأمريكي، لقد بدأت الصهيونية تشعر بأنها قادرة على صنع القرار في الشرق الأوسط. وهذا ما يدفعها للتعامل بغطرسة مع العالم العربي، لدرجة أنها تعتبر أن احتلالها لأراضٍ عربية لا يمثل لها أزمة، فها هي تصول، وتجول في لبنان، وتهدم في سوريا لتثبت أنها قادرة على مواجهة أي تهديد عسكري عربي.

لقد اتضح للعرب أنهم إذا أداروا ظهورهم لتركيا لن يؤدي لراحتهم، وأن إحياء العلاقة العربية التركية لا تكون إلا بموافقة الطرفين لذلك نجد في المدة الأخيرة بدأ التقرب من المملكة العربية السعودية بعد أن وجدت فيها سوقاً رائجة لبيع إنتاجها الحربي والمملكة أيضا وكأنها أرادت أن تغيّر من اعتمادها على الأسلحة الأمريكية، فكانت صفقة المئة طائرة التركية الشبيهة بالطائرة الأمريكية أف 35، والتي بلغت قيمتها مليارات الدولارات الأمر الذي أزعج إسرائيل كثيراً خاصة وأن هذه الصفقة تنبئ عن تحالف تركي سعودي مستقبلاً، وأن هذا التقارب بسبب خطراً على إسرائيل التي تخشى نشوء دولة في المنطقة خاصة بعد دعم تركيا وقطر لحكومة الشرع الأخيرة لدرجة أنها وصفت الحدود السورية التركية بأردوغانستان، فتركيا وقطر اللتان تسيطران على سوريا يمكن أن يحلا عملياً مكان المحور الشيعي الذي انهار بإخراج سوريا من المعادلة أو ما كان يسمى محور الممانعة. لقد بدأ أردوغان يتحدث عن سوريا وكأنها ولاية تركية وخاصة بما يتعلق بمشكلة الأكراد في سوريا وترسيم الحدود البحرية مع سوريا، والتفتيش عن مصادر الطاقة سيما، وأن هناك سابقة عام 2019 عندما تم الاتفاق على الحدود البحرية بين تركيا وليبيا، وإن تركيا أرسلت سفن تنقيب الغاز مصحوبة بسفن حربية متجاهلة حدودها البحرية مع اليونان التي اتفقت مع إسرائيل على التنقيب عن الغاز – وهذا ما دفع تركيا للنظر إلى أن التقارب اليوناني الإسرائيلي هو اعتداء على مكانة تركيا، باعتبار أن تركيا هي الأقرب لآسيا وأوروبا وهي الأقرب براً إلى المنطقة العربية، ويمكنها أن تكون جسراً بين الشرق والغرب.

وهنا لا بد من الإشارة إلى الدور التركي في مواجهة إسرائيل باعتدائها الأخير على سوريا، وطالبت تركيا الأمم المتحدة بالعمل على إخراج إسرائيل من سوريا وإلزامها باحترام السيادة السورية، وإن أي اعتداء إسرائيلي عليها قد يؤدي إلى رد عسكري تركي، لقد دخلت تركيا كلاعب مهم في سوريا، وحلت محل روسيا التي أقامت من قواعد لها في سوريا عام 2015، وهكذا فإن إسرائيل تتابع بقلق التطورات التركية في سوريا، وتعتقد أن تركيا هي الداعم الأول لحكومة الشرع، وقد تعهدت بالحفاظ على وحدة وسيادة سوريا.

شهدت منطقة الشرق الأوسط باختلاف قومياتها العديد من التطورات في الربع الأول من القرن الحادي والعشرين، وقد انعكست هذه التطورات على الوضع الجيوسياسي للمنطقة، وكان من أبرز هذه التطورات وأكثرها تأثيراً تلك التي حدثت في الجمهورية التركية وانعكاساتها على المنطقة العربية، فقد تمكن حزب العدالة والتنمية ذو التوجه الإسلامي من الوصول إلى السلطة بعد سنوات من السيطرة الكاملة للأحزاب العلمانية التركية على الحياة السياسية في القرن العشرين، علمًا أن حزب الشعب الجمهوري هو ممثل هذه الأحزاب العلمانية.

وقد عرفت سنوات حكم حزب العدالة والتنمية بسنوات النهوض التركي، اعتمدت فيها حكومات الحزب استراتيجية شاملة للقوة، وانتهجت دبلوماسية القوة الناعمة للوصول بتركيا إلى موقع متقدم في النظام الدولي.

وفي أول حكومة لحزب العدالة والتنمية برئاسة رجب طيب أردوغان تولى أحمد داود أوغلو منصب مستشار الشؤون الخارجية لرئاسة الوزارة، ولُقب بمهندس السياسة الخارجية، إذ عبر أوغلو عن رؤيته للسياسة الخارجية بنظرية جديدة أسماها "العثمانية الجديدة" والتي تهدف إلى إحياء النفوذ التركي في مناطق كانت تابعة للدولة العثمانية، واعتمدت تركيا لإعادة بناء نفوذها في الدول العربية باستخدام الدبلوماسية "القوة الناعمة" أو بالعلاقات الاقتصادية.

ومن الخطوات التي اعتمدتها تركيا لتطبيق نظرية "العثمانية الجديدة" إعادة الدفء إلى علاقاتها مع العالم العربي الذي كان مصاباً ببرودة تعود إلى أيام مصطفى كمال أتاتورك حيث كانت العلاقات شبه معدومة.

وقد عمل حزب العدالة والتنمية بعد توليه السلطة في بداية القرن الحالي إلى تعزيز العلاقات العربية التركية وتعميقها، فعقدت الحكومات التركية العديد من الاتفاقيات مع الدول العربية، سواء كانت اقتصادية تجارية أو تعليمية ثقافية أو سياحية كإلغاء تأشيرة الدخول إلى تركيا. بل إن تركيا دعمت بعض الدول العربية في مواقفها، كما نرى موقف تركيا من قطر في حال نزاعها مع مصر ودول التعاون الخليجي بقيادة المملكة السعودية هذا مع الإشارة إلى أنه قبل وصول حزب العدالة والتنمية لم يكن هناك أي اهتمام حكومي بالمنطقة العربية.

وهنا لا بد من الإشارة إلى النظريات الثلاث التي اعتمدتها تركيا على "العثمانية الجديدة."

النظرية الأولى: هي النظرية الواقعية التي تفترض أن الدول تسعى لتنظيم قوتها في نظام دولي فوضوي، من هنا تسعى تركيا لأخذ موقع متقدم في النظام الدولي.

النظرية الثانية هي النظرية الليبرالية التي تركز على التعاون والتكامل الاقتصادي، ومن هنا سعت تركيا لتوظيف أدوات القوة الناعمة لتعزيز الروابط مع محيطها العربي.

أما النظرية الثالثة وهي النظرية البنائية التي تركز على الهوية والخطاب في تشكيل السياسة الدولية من هنا كان حرص تركيا على الدعوة لبناء هوية إسلامية واستخدام مصطلحات تؤكد هذا البناء مثل: "الأمة" و"المصير المشترك" وما شابه ذلك.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن سلوك تركيا في تطبيق نظرية "العثمانية الجديدة" في بناء علاقاتها الدولية اعتمدت تركيا على ثلاثة مسارات:

- الأول: السياسة المتذبذبة وتعني التقلب وعدم الاستقرار في العلاقات، والتي نلحظها في علاقتها مع إسرائيل عدوة العالم العربي.

- الثاني: التحول في علاقاتها الدولية بما يتناسب ومصالحها الاستراتيجية.

- الثالث: التمحور ويعني الدخول في محاور أو تحالفات كما نلحظ ذلك بعلاقتها مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية وأحياناً بالولايات المتحدة الأمريكية.

وتبدأ هذه المسارات ظاهرة في تذبذبها في المراحل الثلاث التي مرت بها حكومات حزب العدالة والتنمية في الربع الأول من القرن الحالي وهي المرحلة الأولى من 2002 إلى 2012 والمرحلة الثانية مرحلة التوتر والانقسام من 2012 إلى 2020 والمرحلة الأخيرة مرحلة إعادة التوازن 2021-2024، وقد انعكست هذه المراحل بصورة واضحة في علاقات تركيا الدولية.

وهكذا عملت تركيا على بناء صورة حديثة تتناسب ومكانتها في النظام الدولي وتوسع دورها في محيطها الاستراتيجي لتتحول صورة تركيا من دولة هامشية إلى قوة إقليمية فاعلة يظهر أثرها في العلاقات العربية التركية التي شهدت تطوراً ملحوظاً وأساسياً في بناء علاقات تركيا مع العالم العربي سواء على مستوى الحكومات، أو على مستوى الشعوب.

مصادر ومراجع البحث:

إبراهيم حميدي. (2004). [مقال]. صحيفة الحياة اللبنانية، العدد 14896.

أمين شاكر، سعيد العريان، ومحمد عطا. (دون تاريخ). تركيا والسياسة العربية من خلفاء العثمان إلى خلفاء أتاتورك. القاهرة: دار المعارف.

حسن كبر أحمد. (دون تاريخ). العلاقات العربية التركية بين الحاضر والمستقبل (العدد 41). مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.

خورشيد حسن دلي. (1999). تركيا وقضايا السياسة الخارجية. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

صحيفة السفير. (2003، 15 أبريل). بيروت.

ضياء رشوان. (1996). هل يتعرض الاتفاق التركي الإسرائيلي إلى تراجع تاريخي؟ مجلة المجلة، العدد 582.

عبد العزيز شحادة المنصور. (1997). السياسة المائية في السياسة السورية تجاه تركيا 1982 – 1983 (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة).

محمد السماك. (دون تاريخ). العلاقات العربية التركية حاضرها ومستقبلها.

مركز زايد للتنسيق والمتابعة. (دون تاريخ). توجهات السياسة التركية وانعكاساتها. أبوظبي.

نديم ألب تكين. (1987). تركيا بوابة إستراتيجية للإمبريالية العالمية. بيروت: المؤلف.

نور الدين محمد. (2000). تركيا والعرب: الانبعاث والتحدي (الطبعة الأولى). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

نور الدين محمد. (2003). أنقرة من السلام عليكم إلى شالوم.

قناة الجزيرة. (دون تاريخ). البث المباشر.

إبراهيم حميدي. (2004، 8 يناير). [مقال]. صحيفة الحياة، العدد 14896.

باتريك سيلي. (2004، 9 يناير). سوريا وتركيا تتحديان أميركا. صحيفة الحياة، العدد 14897.

جريدة المستقبل. (2003، 22 مايو).

جريدة الحياة. (2003، 9 يوليو). لندن.

جريدة المستقبل. (2004، 17 يوليو).

"الاعتراف" ما وراء الرواية مظاهر الفلسفة الاجتماعية في النص الروائي

Recognition beyond the novel

Manifestations of social philosophy in the narrative text

رنا فرمان محمد[1]

رواء نعاس محمد[2]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract

This study traces the forms of "recognition" thought as a social philosophy that accompanied the structural transformations in post-Marxist society. It focuses on the decline of the class struggle model in favor of identity-based struggles, which center on the desire for self-recognition and the assertion of existence in the face of narratives of bias and social exclusion. The study also seeks to uncover the weaknesses in the moral logic that contribute to social crises. Additionally, it sheds light on the impact of shifts in social philosophy on shaping the world of the novel, given the close relationship between philosophy and literature.

Keywords: *Recognition, Beyond The Novel, Social Philosophy*.

الملخص:

تعني الدراسة بتتبع أشكال فكر "الاعتراف" بوصفه فلسفة اجتماعية، واكبت التحولات البنيوية في مجتمع ما بعد الماركسية على مستوى تراجع نموذج صراع الطبقات في مقابل ظهور صراع الهويات القائم على الرغبة في انتزاع الاعتراف بالذات وتحقيق الوجود في مقابل سرديات التحيز والنبذ الاجتماعي، عطفاً على الكشف عن نقاط ضعف المنطق الأخلاقي المتسبب في الأزمات الاجتماعية، كما تسلط الضوء على تأثير تحولات الفلسفة الاجتماعية في تشكيل عالم الرواية بالنظر للعلاقة الوثيقة بين الفلسفة والأدب.

الكلمات المفتاحية: الاعتراف، ما وراء الرواية، الفلسفة الاجتماعية .

http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2-9

[1] Assist. Prof. Dr. Rana Farman Mohammed, College of Arts, Al-Qadisiyah University, Iraq
mohammed@qu.edu.iq

[2] Assist. Prof. Dr. Rawaa Naass Mohammed, College of Arts, Al-Qadisiyah University, Iraq
rawaa.mohammed@qu.edu.iq

التمهيد

نشأة الاعتراف

يشهد النظام الإبستيمي تغيرات عميقة تتبلور عن طريق بروز مفاهيم معرفية مرافقة للتحولات الفكرية الكبرى التي تشهدها حركة التاريخ؛ على مستوى انتقال الحركة من الفاعل الاقتصادي المتمثل بمفهوم "الطبقة" إلى الفاعل الإثني والقومي والعقائدي أي الهوية، تحديدا بعد أن "بدأ مفهوم الطبقة يفقد بريقه الماركسي"[3] وانحسار المد الشيوعي وبزوغ مسارات "التضامن" بين الطبقتين: البرجوازية والبروليتاريا في أميركا على سبيل المثال من جهة قدرة آلة الإنتاج على توفير مستوى معين من الرفاه الاقتصادي والحريات الفردية، فقد تراجع صراع الطبقات لصالح صراعات أخرى بين الإثنيات والقوميات والتكتلات الاقتصادية والعقائد والديانات وما رافقها من تصنيفات لا تتوقف على الديمغرافيا الأممية الجديدة المتمثلة بالهجرة ما بعد الكولنيالية، ولكن سرديات التطرف، ونماذج الهويات النافرة؛ مثل النسوية، والشواذ، والملونين، والمهمشين، وبعد أن أصبح السياسي يخترق ويختلق الهوية أصبحت سياسات الهوية التي تمارسها المخيلة أحد أهم وسائل الهيمنة وترسيم الحدود والتراتبيات الطبقية، فظهر نموذج الهيمنة الأميركية، والخريطة المذهبية في الشرق الأوسط، وثنائيات المركز والهامش، والغرب والشرق[4]؛ إعادة تشكيل للوعي الطبقي على مستوى الهويات ليس المفهوم الماركسي، هذه التحولات الفكرية الشاملة تدفع بالضرورة نحو ظهور الحاجة إلى مفاهيم فلسفية تتناسب مع ما نضح عن ذلك التحول من إشكالات اجتماعية لا تقتصر على أحداث الإبادات والصراعات الدينية والمذهبية ولكن تداعيات حلولها أيضاً ممثلة بسياسات السلم الاجتماعي في بعض الدول عن طريق الإقرار بقوانين التعددية الثقافية، فقد كتب كثير من الباحثين عن فشلها؛ تلك الحركة الثقافية المتضمنة دعوات التسامح مع الثقافات المتنوعة في مجتمعات التعدد الثقافي أثر حوادث الإرهاب العالمي، فقد تصاعدت وتيرة الصراع الوجودي متخذا أشكالا متعددة، وقد كانت انطولوجية الصراع وديمومته دعوة لبلورة الفلسفة الاجتماعية، بوصفه يعزى إلى نوازع الفكر الميتافيزيقية؛ الذي لم يتخط فكرة الأصل، والهوية، والمركزية؛ القوى المتواطئة لإبقاء الفكر ميتافيزيقيا، فقد كانت "الدعوة الهيدغرية النتشوية لتجاوز الميتافيزيقا تعني أيضاً الكشف عن هذه التواطئات، وكسر الخيوط التي تشد الفكر إلى الهوية والأصل والمركزية"[5] فتشحن الصراع، وقد "ولدت الفلسفة الاجتماعية الحديثة في اللحظة التي بدأنا فيها فهم الحياة الاجتماعية بوصفها علاقة تقوم على الصراع من أجل الوجود"[6] وذلك يعيدنا إلى التحولات الفكرية بوصفها دافعا إلى توجيه المسار المعرفي والبحثي صوب مفاهيم الفلسفة الاجتماعية التي يتصدرها "الاعتراف".

مفهومه

يرتكز الاعتراف على دلالة الإقرار والإخبار وعلى لغة بوح البوح، أما نظرية الاعتراف فتشتغل على النظرية الاجتماعية والفلسفة السياسية والأخلاقية وقد اكتسبت أهميتها في الحقل المعرفي بوصفها خطابا لمساءلة الحقيقة وانتاجها[7]، ويؤسس هيغل لمفهوم الاعتراف المتبادل على أساس فكرة مضادة لمفهوم الصراع بين الذوات القائمة على نموذج هوبز بوصفها وسيلة لحفظ البقاء الفردي، إذ ترتبط فكرة الاعتراف عنده بفكرة الاستقلال الذاتي أي تتحقق

[3] إدوارد سعيد – الهجنة، السرد، الفضاء الإمبراطوري/ مجموعة مؤلفين، ابن النديم للنشر والتوزيع- الجزائر (ط1) 2013: 15.
[4] ينظر: إدوارد سعيد – الهجنة، السرد، الفضاء الإمبراطوري/ مجموعة مؤلفين: 15- 17 .
[5] المصدر نفسه : 20 .
[6] الصراع من أجل الاعتراف- القواعد الأخلاقية للمآزم الاجتماعية/ أكسل هونيث، المكتبة الشرقية – بيروت (ط1) 2015: 19 .
[7] ينظر: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة/ د.عبد العزيز عيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت (ط1) 1994: 33.

الذات باعتراف الآخر فيكون الاعتراف وسيطا بينهما اجتماعيا لتنظيم التبادلات، وفي ذلك ربط بين المفهوم الحديث للحرية، وبين الأخلاق الذاتية والموضوعية -بعيدا عن مسألة الالتزام الأخلاقي بوصفها شرطاً راسخا عند كانط – فهو يشرح فلسفيا انبثاق تنظيم اجتماعي يجد تماسكه الأخلاقي بالاعتراف المتكامل بالحرية الفردية لكل المواطنين[8] في بناء المجتمع .

ويرى "أكسل هونيث" إن هيغل قد استعاد في مقالته عن نسق الحياة الأخلاقية نظرية فيخته عن الاعتراف، ليصف البنية الداخلية للعلائق الأخلاقية الأولية التي جعلها في أصل سيرورة التنشئة الإنسانية، فقد نظر فيخته في حديثه عن أساس الحق الطبيعي إلى الاعتراف بوصفه فعلا متبادلا بين الأفراد وعلى أساسه تتحقق العلاقة القانونية، وقد تجاوز هيغل نموذج فيخته بعد تخليصه من التضمينات الفلسفية المتعالية وتطبيقه على أشكال الفعل المتبادل بين الأفراد[9] لأن فكرة الاعتراف الهيغلي تكمن في إدراك الذات ذاتها لحظة اعتراف الآخر بها لتتمكن من إظهار هويتها الخاصة التي تميزها عن الذوات الأخر بوصفها كائناً خاصاً "إذ ان على الذات في كل مرة التخلي صراعيا عن مرتبة أخلاقية تم بلوغها في ما سبق للتوصل بطريقة ما للاعتراف بشكل أكثر إلحاحاً من فرديته وهكذا تتكون حركة الاعتراف التي تؤسس لكل علاقة أخلاقية بين الذوات في سلسلة متتابعة من الصراعات والمصالحات التي تمتص واحدتها الأخرى"[10]، فقد حاول هيغل التنظير للاعتراف الأخلاقي والقانوني والعاطفي مؤسساً للاعتراف الهوياتي كونه يمثل تحققا وتعييناً للهوية على مستوى الجماعة.

يظهر معنى الاعتراف عند "بول ريكور" على وفق ثلاث درجات تبدأ بدرجة الاعتراف بوصفه معارفة، أي درجة تشكل الحكم والتصور والإدراك، وتليها درجة الاعتراف المعبّر عن الذاتية أو الاعتراف بالذات، ثم الدرجة الثالثة وهي الاعتراف بوصفه عملية تبادلية تُلزم التفاعل والتشارك بين الذوات وذلك يتضمن الصراع والحرب والمنازعة التي يكون منها إقامة الرباط المدني وحدوث الجماعة السياسية وتأسيس الدولة والحق وتكوين التاريخ[11] أي ان الاعتراف عند ريكور يمر بمراحل انتقالا من مستوى الذات إلى الآخر، أي عملية تذاوت يمكن من خلالها عد الاعتراف مطلباً قاراً في مفاصل بنية الدولة بوصفها ناشئة عن نظام الجماعات السياسية أو الأحزاب الرسمية المشاركة في السلطة في الأنظمة الديمقراطية على مستوى تمثيل الجماعات المختلفة في المجتمعات متعددة الثقافات والطوائف، فتشمل أحزاب النخبة والأحزاب الجماهيرية وغيرها، والتي يكون من ضمن وظائفها؛ "مساهمتها المحورية" في تشكيل الرأي العام وتوجيه سلوك المواطنين، التي تحولت مع أطماع أفراد هذه الجماعات في الهيمنة والسلطة في مجتمع التعدد إلى خطاب طائفي ومن ثم نزاعات طائفية تهدف كل منها إلى محو الآخر وإقصائه، وتحول أفراد الشعب من الطائفتين الشيعية والسنية إلى جماعتين سياسيتين متقاتلتين كما هو الحال على سبيل المثال في المشهد السياسي والاجتماعي العراقي الذي خرج عن مسار المشروع الوطني الجامع، إذ لا تمتلك الجماعات السياسية العراقية وعيا سياسيا ينتشلها من طائفيتها أو دوافع تشكلها الأولى فهي لم تنشأ عن عمل سياسي مؤمن بروح الدولة والمصلحة العامة وبذلك لم تنتج تمثيلا سياسياً ديمقراطيا سليماً ولكن تقاسما ومحاصصة تجزيئية، وذلك ما قدمت الرواية تداعياته وسنقف عنده في مظاهر الاعتراف القسري.

---

[8] ينظر: الصراع من أجل الاعتراف/ أكسل هونيث: 33.
[9] ينظر: المصدر نفسه: 38 .
[10] المصدر نفسه : 39.
[11] ينظر: سيرة الاعتراف- ثلاث دراسات/ بول ريكور، تر: فتحي إنفزو، مراجعة: محمد محجوب، دار سيناترا- المركز الوطني للترجمة – تونس (ط1) 2010: 11.

مظاهر الاعتراف في النص الروائي

تسهم العلاقة الوثيقة بين الأدب والدراسات الإنسانية المتنوعة بشكل كبير في فتح مجالات البحث النقدي في عالم الرواية على مستوى الموضوع؛ الذي يسهم بدوره في تشكيل عناصرها البنائية بما يتناسب وطبيعة الفكرة وأبعادها، ذلك ما يدفعنا للبحث عن مظاهر الفلسفة الاجتماعية ممثلة بفكر الاعتراف وتجلياته داخل النص الروائي على مستوى التقنيات.

كيف يتحقق الاعتراف؟ وهل يمكن تحقيقه؟ بهذه التساؤلات نبدأ البحث على مستوى مركزية المفهوم في إشكاليات الهوية في رواية (مصابيح أورشليم) للروائي "علي بدر"، إذ تتشكل أحد أساليب تحقيق الاعتراف الذي ظهر في الرواية اقترابا من مفهومه عند "بول ريكور" بوصفه عملية تبادلية تُلزم التفاعل والتشارك بين الذوات متضمناً الصراع، بما يقارب فكرة صناعة الحقيقة، أو صناعة الاعتراف بالهوية والوجود تحديا لسردية هوية الآخر، وذلك ما يمكن تحديده في رواية مصابيح أورشليم التي كتبت بأسلوب "ما وراء القص" تماهيا، أسلوب القص الذي يندرج ضمن ما يسمى بالانعكاسية الذاتية التي توجه وعي القارئ إلى طبيعة الرواية بوصفها تركيبا خيالياً وكشفا عن قدرة الأنظمة التخييلية على بناء المعنى، أو عمليات صناعة المعنى – انطلاقاً من رؤية بعد حداثية للحقائق الثابتة بوصفها صناعة لغوية – فالطريقة التي ينتج بها الكاتب رواية جمالية تشير إلى عملية مماثلة؛ العملية التي تنتج أنظمة المعنى في العالم[12]، ويظهر أسلوب ما وراء القص في "مصابيح أورشليم" عندما كُلّف الراوي بتأليف رواية -رواية داخل رواية- أو عندما وجد نفسه مسؤولا عن تأليفها بعد اختفاء مؤلفها(أيمن مقدسي) العراقي من أصل فلسطيني، الذي أراد كتابتها بوصفها "معادل اعتراف"؛ رواية الهوية الأصل مقابل الروايات الإسرائيلية، التي حققت الاعتراف والوجود الإسرائيلي (رواية عن إدوارد سعيد .. لماذا رواية؟ لماذا لا تكتب كتاباً؟ قال: لأنَّ اسرائيل نشأت من أسطورة أدبية من فكرة رومانتيكية .. نشأت من رواية وبالتالي يجب إعادة كتابتها عن طريق الأدب أيضاً.. يجب تكذيبها عن طريق الرواية.. الرواية هي أفضل حرب .. طالما كل الحروب قد خسرت وفشلت لماذا لا نجرِّب الرواية..)[13] فتصبح الكتابة فعل تذاوت من أجل تحقيق أو انتزاع الاعتراف بوجود دولة فلسطين؛ سرد مقابل سرد، يقول الراوي: (كان يعتقد أن أفضل ما يفعله هو إعادة سرد الأساطير لتكذيبها.. لتدميرها.. لكشف خداعها.. لكشف زيفها)[14] وقد ظهرت معالم الاعتراف بوصفه مظاهر فلسفة اجتماعية داخل النص عن طريق:

الشخصية

من مقومات السرد الأساسية التي ترتبط بجوهر المفهوم بوصفه قصة؛ حدد "يان مانفريد" انها تستلزم الشخصيات، فهو "وسيلة اتصال تعرض تتابع أحداث تسببت فيها أو جربتها الشخصيات"[15] إذ يمكن أن تشكل الشخصية قيمة دلالية كبرى داخل النص قادرة على بناء ثيمته بوصفها شخصية ثيمية مثل شخصية "إدوارد سعيد" في رواية "مصابيح أورشليم" إذ عمد أيمن مقدسي إلى جعل سعيد بطلا لروايته لمواجهة أبطال روايات عاموس عوز الروايات التي أغفلت شخصية العربي (إدوارد سعيد كان أخطر حرب على إسرائيل، أخطر من كل الحروب الفاشلة التي

---

[12] ينظر: جماليات ما وراء القص دراسات في رواية ما بعد الحداثة/ مجموعة مؤلفين، تر: أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع – دمشق (د.ط) : 15 .

[13] مصابيح أورشليم/ علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت (ط2) 2009: 13.

[14] مصابيح أورشليم/ علي بدر: 13 .

[15] علم السرد – مدخل إلى نظرية السرد/ يان مانفريد، تر: اماني أبو رحمة، مراجعة دريد سعيد، مكتبة الجيل العربي – الموصل (د.ط) 2009: 11.

خضناها)[16] شخصية مضادة، وحقيقة تقوض الرواية الإسرائيلية عن نموذج الشخصية العربية الضعيفة أو المتخلفة التي رسختها الرواية الإسرائيلية بوصفها فعل الكتابة لتحقيق الوجود الإسرائيلي وانتزاع الاعتراف عن طريق النص الأدبي أو الروائي، وما رواية مقدسي إلا فعل كتابة مضاد، صراع داخل النص من أجل الاعتراف، بالنظر لما يحققه المتخيل الإبداعي عامة من إسهام فعلي في بناء الوعي، ذلك ما جعل كثير من الفلاسفة يصبون اهتمامهم على قراءة النص الأدبي ويفردون دراسات مهمة في هذا المجال لاسيما رؤية الفلاسفة من ذوي المرجعية الثقافية الماركسية ممن بحث العلاقة بين العمل الفني والعصر استنادا إلى "أن العمل الفني مجرد انعكاس للقاعدة المادية التي هي بمثابة الواقع الحقيقي، وأن هناك رابطة محددة بين هذا العمل والطبقة الاجتماعية والفعل السياسي الثوري"[17] التي تؤكد على قدرة الأدب في تقديم الرؤية الفلسفية المؤثرة في الوعي الاجتماعي .

ولم يكتف الروائي من توظيف شخصية "إدوارد سعيد بهذه الدلالة، ولكنه كان يطمح لأبعاد دلالية أخرى تتمثل بنموذج الخطاب الثقافي الذي صدره "إدوارد سعيد" في كتابه "الثقافة والإمبريالية" عن فكرة التعايش والانفتاح على الآخر، التي تقدم طبيعة الثقافة العربية وإمكانية احتوائها على الخطاب الإنساني الرافض للتسلط والنابذ للتعصب، مما يحيل إلى أسلوب آخر للنص الروائي في بناء مظاهر الاعتراف بوصفه فلسفة اجتماعية، يتمثل بالحوارية.

حوارية الخطاب الثقافي

تتخذ حوارية "ميخائيل باختين" مظاهر متعددة لا تقف عند التداخل بين النصوص ولكن بين الخطابات أيضا "إن كل رواية إلى حد ما هي نظام حواري من تمثيلات اللغات؛ الأساليب؛ الوعي الملموس الذي لا يمكن فصله عن اللغة، فالرواية لا تمثّل اللغة فحسب ولا تعيد تقسيم الأشياء.. إنها هي نفسها غاية من غايات التمثيل"[18] إذ يمكن أن نقول إن رواية "مصابيح أورشليم" تدخل في حوارية خطابية مع كتاب "الثقافة والإمبريالية" لـ "إدوارد سعيد" فهي محاولة لإعادة بناء طبيعة الثقافة العربية عن طريق تداخل الخطابات وأصوات الشخصيات بوصفها وحدة أسلوبية عليا تكوّن الأسلوب الفعلي للرواية أي طبيعة أسلوبية مخالفة تتجاوز اللغة "لتصب في مجال التصورات والمفاهيم والرؤى للعالم ... وهذه التصورات لا تكتسب قيمتها من ذاتها بل تكتسب هذه القيمة لأنها موجودة بجانب بعضها البعض في إطار علاقة حوارية متبادلة"[19] لتحقيق هوية أصل متكاملة على المستوى الثقافي القيمي .

الاعتراف القسري

رصدت الرواية شكلا آخر من أشكال الاعتراف في المجتمعات؛ اذ قد يكون الاعتراف استراتيجية سلطوية عندها يأخذ طابعا قسريا عندما يجبر المرء على الاعتراف بالقوة والاكراه حتى وإن لم يكن تلقائيا او ناتجا عن وازع باطني، فإنه يغتصب، نخرجه من الروح أو نقتلعه من الجسد[20]، ويعد هذا النوع من الاعتراف شكلا من اشكال الاعتراف المرتبط بالطبيعة القمعية للسلطة "إن الأنا المعترف يمارس عليه الاعتراف إلى درجة التضحية بالذات"[21] فيصبح الاعتراف فعلا مشروطا تخضع له أنا المعترف قسرا مما يشعرها بالسلب والامتهان والذل الذي يظهر بوصفه ممارسة سلطوية كثيرا ما ترتبط بالجسد على مستوى التصور السلطوي المادي، وقد تناولت الرواية الذاكرة الجماعية الحية المرتبطة بالأحداث

---

16 مصابيح أورشليم/ علي بدر: 13.
17 مدخل إلى قراءة فلسفة فلتر بنيامين – دراسة ونصوص/ د.كمال أبو منير، منشورات الاختلاف – الجزائر (ط1) 2013: 22- 23.
18 المبدأ الحواري – راسة في فكر ميخائيل باختين/ تزفيتان تودوروفف، تر: فخري صالح، دار الشؤون الثقافية – بغداد (ط1) 1992: 88.
19 حوارية الخطاب الروائي – التعدد اللغوي والبوليفونية/ د.محمد بوعزة، دار رؤيا للنشر والتوزيع – القاهرة (ط1) 2016: 31.
20 ينظر: ميشال فوكو المعرفة والسلطة، عبد العزيز العبادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت (ط1) 1994: 34
21 المصدر نفسه : 34.

الكبرى مثل "جريمة سبايكر"[22]، فتحاول تجسيم هذه الذاكرة عبر تمثيل وعيها الفردي في التاريخ، محاولة استعادة نسختها الماضية على هيئة عمل تخييلي فالسردية هي تصور تامٌ للوجود[23]، وما فعلته رواية "قمر أحمر على سبايكر" لـ"جمال حيدر" تشكيل صورة لهذا الوجود إذ شكل الكاتب رؤيته لحادثة أليمة كان محو الجسد فيها موضوعاً حاضراً ومركزياً لانتزاع الاعتراف، يقول الراوي: "كبلوا معصميه وقدميه، وعصبوا عينيه وعلقوه في السقف مع نزيف ذاكرته ثمة نزيف في الذاكرة ثمة أيام من العذاب، الكثير ممن علقوا إلى جانبه من الجنود انهاروا واعترفوا بحقيقة انتمائهم، يقادون مكبلين صوب المرافق لقتلهم"[24] فلا تمثل لحظة الاعتراف بالرواية لحظة شجاعة أو بطولة بل لحظة مميتة من الخضوع الأيديولوجي والمحو الوجودي ، فالاعتراف قادر على صناعة الهويات كما يعمل على محوها .يؤسس جمال حيدر في مقدمة روايته لمواقف تظهر في شكل اعترافات قسرية: "هذه حكايات بعض الناجين من مجزرة سبايكر عام 2014 الآف الضحايا الذين ارتقوا إلى السماء من الطافين في مياه نهر دجلة، الذين غدوا طعماً للأسماك، والمقتولين غدراً بين الطرق الملتوية الواصلة بين المدن، أو الممددين في عرائن تسيح، والمطمورين تحت تراب المقابر الجماعية ممن أكلت أجسادهم وحوش البراري، حكايات بحجم وطن وبحجم تاريخه المسبي والغارق في المآسي"[25] وقد شهدت صور الاعتراف تكويناً بلاغياً لافتاً على مستوى من التحولات السردية المتعالقة مع الفلسفات الاجتماعية والبنى النفسية التي تأسست عليها مقولات الرواية ، منها ما يمثل ذواتا طائعة وخاضعة آيديولوجيا تم انتاجها داخل جهاز الدولة من خلال نداء المؤسسة العسكرية - أنت جندي/اذن طائع – (على امتداد القاعة التأمت الكثير من الوحدات العسكرية ، انها الاوامر التي تقتضي بذلك)[26] ، أوامر عسكرية تخلت عن آلاف الجنود ورمتهم ليتم تصفيتهم جسديا (ان القادة العسكريين الكبار في قاعدة سبايكر قد تقاعسوا أو تخاذلوا ، وربما تآمروا، ان جريمة بهذا الحجم لايمكن ان يشهدها العراق لو تعامل هؤلاء الضباط بمسؤولية ، ومنعوا انسحاب آلاف الجنود، لتبقى المنطقة بأسرها في قبضة الدواعش وتحت سيطرتهم)[27]، وقد اتخذت اعترافات الجنود مسارين مختلفين كانت احداهما اعترافات الجنود الناجين من الموت ،(أنا علي حسين كاظم " كنت مذهولا بفعل المشاهد الوحشية التي تجسدت أمامي .... رأيت الموت بأم عيني ، لامسته وعاينته وعرفت أسراره ،..... انهمر الرصاص على رؤوسنا كالمطر ، كنا مطوقين فيما يصوب نحونا كل أنواع الاسلحة وأكثرها فتكا : رشاشات ، مسدسات، بي كي سي ، بينما يسقط الجنود وهم مكبلون،..... بعدما سقط الجندي الثالث وتناثر دمه على الجانب الأيمن من وجهي ورأسي ورقبتي.... ظن القاتل بأنني قد أصبت وشارفت على الموت ، لكنني نجوت ، كيف ؟ لا أعلم)[28] لتروا على ألسنتهم قصة النجاة بوصفها عملا بطوليا عندما يعيد الجندي تشكيل ذاته ليكون متمردا على خطاب المحو من خلال الانسحاب والتخفي ومقاومة الموت (اعترف بصريح العبارة أن الخوف بدأ يتغلغل في شراييني محتلا الزوايا المخفية داخل جسدي، لكنني لم أفقد تشبثي بالحياة ، لم أفقد معناها بعد)[29]، اذ لم تعرضهم الرواية على أنهم أبطال معارك بل أبطال وجود، نجوا من فخ الاعتراف . أما ثانيهما فهي صور

[22] الإبادة الجماعية التي تعرض لها الجنود العراقيين في معسكر واقع في مدينة "صلاح الدين" على يد التنظيم الإرهابي المعروف بـ"داعش" الذي نتج عنه قتل 1300 جندي عراقي لأسباب طائفية.

[23] ينظر: الزمان والسرد الحبكة والسرد التاريخي/ بول ريكور، تر: سعيد الغانمي، وفلاح رحيم، راجعه: د.جورج زيناتي،دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت(ط1) 2006: 9 .

[24] قمر أحمر على سبايكر/ جمال حيدر، ناشرون للطباعة والنشر – لندن (ط1) 2023: 94 .

[25] المصدر نفسه: 5.

[26] قمر أحمر على سبايكر / 135

[27] المصدر نفسه/ 66

[28] ينظر : المصدر نفسه / 47 و48و 49

[29] المصدر نفسه /11

اعترافات الجنود القسرية عندما أجبروا على الاعتراف بأسمائهم وطائفتهم لانتزاع هويتهم ومحوهم جسديا (- من يا طائفة أنت؟ -من طائفتكم -والله لو طلعت جندي لأذبحك بالسكين)[30]. وفي هذا السياق فأن الجنود في "قمر أحمر على سبايكر" لم يكونوا مستهدفين كأفراد بل تم وضعهم في مجال نيكرو-سياسي[31] عندما تم تصنيفهم على أنهم لا يستحقون الحياة، فمن اللافت أن الرواية لا تسرد مقتلهم فحسب بل تتحدث عن موتهم المعاش، أي أنهم عاشوا زمن موتهم وهم أحياء(كنا مجموعة كبيرة تقدر بالمئات، وضعونا القتلة على ضفة النهر، ووجهوا إلى رؤوسنا فوهات الرشاشات الثقيلة .... بعدوانية، وكأن كل هذه الأعوام التي عشناها بلا قيمة)[32]، ومن اللافت أيضا أنه في وجه هذا الموت المنظم ينسج الكاتب صورة أخرى للاعتراف يمكن أن نسميه اعترافا مضادا مثلت أصواته شخصيات مثل" ابو حمد " الذي فقد ابنه " حمد" وهو يحاول انقاذ ستة جنود من الموت، وشخصية " أم قصي" التي لم تتردد بإرسال آخر من تبقى لديها ابنها خالد وأخته ميادة للوصول إلى الجنود الهاربين من مجموعات إرهابية على ضفة النهر وانقاذهم ولتستضيفهم أم قصي في بيتها حتى لحظة تهريبهم وايصالهم إلى كركوك عندما سلمتهم إلى صديقتها "ام عمر" التي اخذت على عاتقها ايوائهم وايصالهم إلى بغداد وإلى أهاليهم، اذ يظهر الاعتراف فعلا أخلاقيا واعيا ومحفوفا بالمخاطرة، لقد قدمت هذه الشخصيات ملاذا آمنا للجسد المعذب واعترافا يعيد للذات الانسانية كرامتها وإنسانيتها بوصفه فعل مقاومة أخلاقي يتحدى الاعتراف القسري، وأنظمة المحو المؤسساتي، ليؤكد أن الاعتراف الأخلاقي هو ما يعيد للإنسان مكانته في وجه العنف .

الصورة البلاغية السردية للموت

يمكن رصد البلاغة السردية في تصوير فكرة الموت متمثلة في القمر الأحمر بوصفه رمزاً دالاً على نوايا الشر كما وردت في الديانات والفلسفات القديمة، وقد اتخذ في الرواية أشكالاً مختلفة منها صورة الدم المتدفق سريعاً وساخناً ليستقر في مقابر جماعية، يقول الراوي: "حين تتوقف الجماجم المثقوبة عن النزيف، وتتخثر الدماء يضعون القتلى في سيارة شحن من نوع كيا... تغادر بعدما تمتلئ بجثث الضحايا، وترمى الجثث في مقابر جماعية في منطقة الجزيرة"[33]، اتخذت رواية سبايكر الجسد المعذب والقتل والرعب وسائل لإظهار الاعتراف القسري وموضوعاً لفعل التاريخ وعلاقته بالهوية الجماعية بوصفه استراتيجية خطابية مضادة لخطاب السلطة والفعل المؤسساتي "فالخطاب ليس لغة تضاف لها ذات تتكلمها، بل هو ممارسة لها أشكالها الخصوصية من الترابط والتتابع"[34] فيمكن القول إن تاريخ الاعتراف القسري مرتبط بصورة أو بأخرى بتاريخ التعذيب، الذي يرتبط هو الآخر بتاريخ الجسد إذ يشير تاريخ الجسد الإنساني إلى مراحل مخيفة ومظلمة قد تعرضت لها الأجساد الإنسانية، وكانت مرتبطة بسياقات مختلفة مثل فيها الجسد عبئاً أو وجوداً مقلقاً للسلطة في حيز مكاني ما، معبّأ بالأيديولوجيا والهوياتية الضيقة "فالجسد المستجوب اثناء التعذيب يشكل حيز استخراج الحقيقة"[35] فيصبح تعذيب الجسد بحسب فوكو "احتفالية انتصارية معلنة من أجل إقرار السيادة لإنه

---

[30] قمر احمر على سبايكر/ جمال حيدر: 36

[31] النيكرو-سياسية هي القدرة على تحديد من يجوز له ان يعيش ومن يجب أن يموت .. انها انتاج لعوالم موت، وهو مفهوم طوره المفكر الكاميروني أشيل مبمبي في كتابه ينظر: السياسات النكروية او سياسات الموت/ اشيل مبمبي/ تر: اماني ابو رحمة / مارس 2020/ ثقافات/ www.alfaisalmag.com((necropolitics) فالدولة او السلطة هي التي تحدد من هم البشر القابلون للعيش ومن هم القابلون للقتل والمحو

[32] ينظر: قمر أحمر على سبايكر/جمال حيدر: 69

[33] قمر أحمر على سبايكر/ جمال حيدر: 91.

[34] ميشال فوكو المعرفة والسلطة/ عبد العزيز عيادي: 20.

[35] المراقبة والمعاقبة- ولادة السجن/ ميشيل فوكو، تر: د.علي مقلد، مراجعة وتقديم : مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي- بيروت 1990: 78.

يدخل في سلسلة مراسيم السلطة المغيبة، فقد يضفي التعذيب في عيون الجميع قوة لا تقهر"[36] لذا يعد التعذيب أسلوبا من أساليب الاعتراف المنتزَع إذ يظهر فيه مفعول الاكراه والتنكيل وبحسب فوكو هو عنف جسدي لانتزاع الحقيقة.

وقد أشارت الرواية إلى قضية الجسد بالتحديد حينما جسدت قضية مهمة في تاريخ العراق المعاصر، وهي مرحلة الاقتتال والتناحر الطائفي والوجود الداعشي التي كان فيها الحيز المكاني للجسد دليلاً على السلطة والتوغل الأيديولوجي ونقصد هنا جغرافية الهوية السكانية، فتنوعت السلطات وعُمّق نفوذها السياسي بحسب الكثافة السكانية والمناطقية؛ أي لكل آيديولوجيا مساحتها المكانية التي ترفض وجود المختلف لذا فقد كان وجود الجسد الآخر/ الهوية المضادة في الحيز المكاني لهوية الأنا المغلقة أمراً مقلقاً يتطلب اجتثاثه وإلغائه جسدياً للوصول إلى محوه كعقيدة أو سلطة أو هوية مضادة تنتزع الاستقرار الرسمي لسلطة هويتها، وعلى وفق ذلك، فالاعتراف أو انتزاع الاعتراف بهوية الجسد الآخر لم تكن وسيلة للاعتراف بوجوده أو التصالح أو التسامح معه، إنما مثل الاعتراف بهوية الجسد "إدانة" أو تهمة تستوجب العقاب والإقرار بالذنب والتقصير، ولا يحيلنا هذا إلى حق الاعتراف بالآخر من أجل القبول به، بل جاء متنافراً بشكل واضح مع فلسفة الاعتراف أو مظاهر الاعتراف في الفلسفة التقليدية.

وقد كانت ثنائية الألم والاستجواب أداة فنية داخل النص لإظهار العمل المؤسساتي للسلطة القائم على اختراق الجسد عبر التعذيب، مما يعزز السلطة ويبرر القوة والقسوة في انتزاع اعتراف قسري مجروح خائف يرسخ الإقصاء والمحو، مما يشي بفلسفة الجماعات السلطوية وخطابها المؤسساتي/ داعش، فعندما يكون الجسد مجالاً لإنتاج النظام السلطوي، ويكون التعذيب عملاً وظيفياً مجرداً من الشعور بالذنب، يكون حينئذ توظيفه لصناعة نفوذ السلطة وتعزيزها، وقد أشار فوكو في الخطاب والسلطة أن ولادة السجون وبروز التعذيب ظهرت كمخايلة ضد المعرفة عندما يكون الجسد هو الموقع الذي تُمارس عليه الخطابات .

كما أن الطريقة التي يتم بها التخلص من الجسد عبر رميه بالماء أو تكديس الجثث في مقابر جماعية، هي أسلوب محو الوجود الآخر للهوية المضادة؛ والمقصود به وجود ما بعد الموت/ الجثة أو القبر كدالة على الهوية الشيعية، أي أن طريقة التخلص من الجثة من دون قبر تعزز خطاباً إشهارياً لطمس هوية ذلك الجسد وإعلان السلطة وصناعة عالم جديد ممثلا بالانتصار على جسد متألم أو جسد مُبعَد عن مظاهر الفناء، فعندما لا يكون هناك مظهر دال على فناءه مثل القبور، فهو يُلغي التحقق الفعلي والمكاني له عبر الدفن أي أخذ حيز وجودي دال، وهذا ما أكده التاريخ القديم للجسد عندما منح آفاقاً لثقافة التعذيب عبر حرق الجسد للإشارة إلى محوه وإخفاء علامة وجوده بعد الفناء، ليؤكد تاريخ التعذيب بعد الفناء وقد قدم كتاب (جسد متألم) أسباباً للألم التي خُلق من أجلها الجسد، إذ ينطلق تاريخ التعذيب من أفكار بعض الديانات التي تربط الخطيئة بتعذيب الجسد وإرضاء الإله، منتهية بتوظيفه سياسياً للاستفادة منه بصناعة الألم وصنع السلطة حتى أصبح ركناً من مباحث الفلسفة عند فوكو ودخوله مجال التقعيد السياسي.

إن الجسد المعذّب والاعتراف المنتزع منه كان إظهاراً لسلطة معلنة تنتجها الأنظمة السياسية، وقد ارتكزت على هذا الخطاب جماعات متعددة محاولة طمس حقوق الأفراد والهويات بدعوى أن هذا الطمس كان مشروعاً.

[36] المصدر نفسه: 82.

الخاتمة

1. يدخل الاعتراف على مستوى طبيعته الذاتية في البنى العلائقية المختلفة بداية من الدولة إلى أصغر وحدة اجتماعية فهو أساس جوهري في بناء نظام الدولة الديمقراطي.
2. تنتظم مدونة الأدب على مستوى التمثيل الثقافي لجماعة ما، في مسار العلاقة الذاتية للاعتراف عندما وظف الكاتب تقنية "ما وراء القص" أسلوبا للكشف عن كيفية تشكل العالم وسرديات الأمم والجماعات من أجل تحقيق الاعتراف بما يشمل ذلك المرويات الأدبية مثل الرواية بوصفها معادلا موضوعيا لرواية مضادة.
3. يظهر الاعتراف بمظهر قسري بوصفه آلية من آليات العنف وأداة مركزية من استراتيجيات السلطة تتخذ من وسيلة التعذيب أسلوباً للضبط وتطويع الجسد لإعادة إنتاج الخضوع وصناعة الحقيقة.
4. كان الاعتراف القسري في رواية "قمر أحمر على سبايكر" عرضاً شعائرياً للقوة وطقساً استعراضياً للهيمنة، كان الجسد فيه فضاءً رمزياً يُمارس عليه القهر لإعادة تشكيله وفقاً لمصالح السلطة.
5. تشكّل الاعتراف على المستوى الفني في النص الروائي على هيئة صور بلاغية، وتقنيات قص، وحوارية خطابات.

الروايات

1. قمر أحمر على سبايكر/ جمال حيدر، ناشرون للطباعة والنشر– لندن (ط 1) 2023.
2. مصابيح أورشليم/ علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت (ط 2) 2009.

المصادر:

إدوارد سعيد – الهجنة، السرد، الفضاء الإمبراطوري/ مجموعة مؤلفين، ابن النديم للنشر والتوزيع- الجزائر (ط 1) 2013.

الزمان والسرد-الحبكة والسرد التاريخي/ بول ريكور، تر: سعيد الغانمي، وفلاح رحيم، راجعه: د. جورج زيناتي، الكتاب الجديد المتحدة-بيروت (ط 1) 2006.

الصراع من أجل الاعتراف- القواعد الأخلاقية للمآزم الاجتماعية/ أكسل هونيث، المكتبة الشرقية – بيروت (ط 1) 2015.

المبدأ الحواري – رأسه في فكر ميخائيل باختين/ تزفيتان تودوروف، تر: فخري صالح، دار الشؤون الثقافية – بغداد (ط 1) 1992.

المراقبة والمعاقبة- ولادة السجن/ ميشيل فوكو، تر: د. علي مقلد، مراجعة وتقديم: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي- بيروت 1990.

جماليات ما وراء القص دراسات في رواية ما بعد الحداثة/ مجموعة مؤلفين، تر: أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع – دمشق (د.ط).

حوارية الخطاب الروائي – التعدد اللغوي والبوليفونية/ د. محمد بوعزة، دار رؤيا للنشر والتوزيع – القاهرة (ط 1) 2016.

سيرة الاعتراف - ثلاث دراسات/ بول ريكور، تر: فتحي إنفزو، مراجعة: محمد محجوب، دار سيناترا- المركز الوطني للترجمة – تونس (ط 1) 2010.

علم السرد – مدخل إلى نظرية السرد/ يان مانفريد، تر: أماني أبو رحمة، مراجعة دريد سعيد، مكتبة الجيل العربي – الموصل (د.ط) 2009.

مدخل إلى قراءة فلسفة فلتر بنيامين– دراسة ونصوص/ د. كمال أبو منير، منشورات الاختلاف– الجزائر (ط 1) 2013.

ميشال فوكو المعرفة والسلطة/ د. عبد العزيز عيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت (ط 1) 1994.

المواقع الإلكترونية:

السياسات النووية أو سياسات الموت/ أشيل مبيمبي، تر: أماني أبو رحمة، مارس 2020، ثقافات، www.alfaisalmag.com

الاتجاه الشيعي في شعر مزيد الحلي الأسدي (دراسة في المضمون والشكل)

The Shiite Trend in the Poetry of Mazid Al-Hilli Al-Asadi: A Study in Content and Form

علياء عبد الحسين عطية [1]

رشا كريم دنيف [2]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract

orientation in the poetry of Prince Mazid ibn Ali al-Hilli by identifying the core Shiite themes embedded within his verse. It aims to elucidate the most salient Shiite elements that reflect the poet's ideological stance, religious conviction, and doctrinal advocacy—whether through his expressions of devotion and praise for the Prophet Muhammad and his purified family, peace be upon them, whom he regards as the unequivocal path to truth, or through his articulation of their exalted status before God, or by portraying them as a source of salvation from tribulations in both this world and the hereafter.

Furthermore, the study investigates the aesthetic dimensions of al-Hilli's Shiite poetry by analyzing the formal structures of his poetic compositions. It examines the length and introductory sections of the poems, the stylistic features of poetic language, the construction and cohesion of expressions, as well as external musical elements such as poetic meter and rhyme. Internal musical devices—such as repetition, antithesis, paronomasia, and rhymed prose—are also explored. The research further uncovers the poet's use of figurative imagery through simile, metaphor, and metonymy, alongside intertextual references through quotation and allusion. Ultimately, the study seeks to provide a comprehensive and coherent understanding of the Shiite orientation in Mazid al-Hilli's poetry, in both thematic and structural dimensions.

Keywords: Shiite orientation, Shiite themes, the doctrine of Shiism, virtues of Ahl al-Bayt (peace be upon them), loyalty (al-wilayah), truth, falsehood...

http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2-10

[1] Assist. Lect., College of Arts, University of Thi-Qar, Iraq alyaa.abdulhussein@utq.edu.iq

[2] Assist. Lect., College of Arts, University of Thi-Qar, Iraq rasha.art@utq.edu.iq

الملخص:

حاولت الدراسة تسليط الضوء على الاتجاه الشيعي في شعر الشاعر الأمير زيد بن علي الحلي والوقوف على المضامين الشيعية الواردة فيه؛ بغية إبراز أهم الظواهر الشيعية التي تكشف عن رؤية الشاعر ومعتقده وما يدعو إليه سواء في حب النبي الأكرم محمد وآله -عليهم السلام- ومدحهم؛ فهم السبيل الواضح لاتباع الحق، أو في ذكر مكانتهم وعظيم قدرهم عند الله، أو بوصفهم طوق نجاة من المصائب والهموم في الدنيا والآخرة. كما سعت الدراسة بعد ذلك إلى استجلاء مواطن الجمال في الشعر الشيعي للشاعر مزيد الحلي عبر النظر في شكل أو قوالب النصوص الشعرية وتفحص طول القصائد ومقدماتها وطبيعة اللغة الشعرية وطرق سبك العبارات وترابط الكلمات، وتتبع العناصر الموسيقية الخارجية المتمثلة بالبحور والقوافي والموسيقية الداخلية المتمثلة بالتكرار، والطباق، والجناس، والسجع. والكشف عن أدوات الشاعر في رسم الصور الشعرية لشعر التشيع من تشبيه واستعارة وكناية. وبيان الصورة التناصية على مستوى الاقتباس والتضمين. ومن ثم تكوين تصور متكامل وواضح عن الاتجاه الشيعي في شعر مزيد الحلي فيما يخص المضمون والشكل.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه الشيعي، المضامين الشعيعية، عقيدة التشيع، فضائل آل البيت (ع)، المولاة، الحق، الباطل.

المقدمة:

يعدُّ الشعر صورة ناطقة، أو وثيقة حية ، تعكس الأبعاد السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية التي تمرُّ بها المجتمعات الانسانية، وتكشف عن تحولاتها الفكرية وهموها الوجودية، والاتجاه الشيعي واحد من أبرز القضايا التي شغلت حيزًا كبيرًا في الشعر العربي،أودع فيه الشعراء رسائل دينية وعقدية بالغة الأهمية، وعبروا فيه عن رؤاهم وأفكارهم وعواطفهم تجاه أهل البيت عليهم السلام ، مؤكدين على مكانتهم وقضاياهم ومعاناتهم، كما أعلن الشعراء عن ولائهم لهم والانتصار لمظلوميتهم.

وفي هذا الصدد يعدُّ الشاعرمزيد الحلي أحد الأصوات الأدبية التي جسدت الانتماء المذهبي ، فقد برز الاتجاه الشيعي كعنصر محوري في معظم نتاجه الشعري، لم يقتصر فيه الشاعر على بث المضامين العقائديه فحسب؛ بل حاكى بها الفن، فصاغها ببلاغة ترتقي بالرسالة وتحيي النص جماليًا. ومن هنا جاءت الدراسة بعنوان(الاتجاه الشيعي في شعر مزيد دراسة في المضمون والشكل) لتشمل الجانبين (الموضوعي والفني).

في مستهل الدراسة يتعين تقديم لمحة موجزة عن حياة الشاعر وسيرته الذاتية لتوفير السياق الضروري لفهم تجربته الأدبية.

يتبين المتتبع للقارىء المهتم بسيرة الشاعر مزيد وجود تباين في نسبه؛ فقد ورد أنه "الأمير مزيد بن علي بن دبيس بن منصور بن صدقة بن علي بن مزيد ..." ومنهم من نسبه إلى مزيد بن الحسن بن منصور بن دبيس (الزركلي، 2002، صفحة ص:112) وقيل أيضًا أنه ا"لأمير مزيد بن صفوان بن الحسن ابن منصور (بهاء الدولة) بن دبيس(نور الدولة) ابن علي بن مزيد الأسدي (أبي الحسن) صاحب الحلة العراقية" (غالب، 1964، صفحة ص: 510). ويذهب محقق ديوانه الدكتور عارف ثامر إلى أنه الأمير مزيد بن علي الأسدي بالاعتماد على نسخة ديوانه والقصائد الواردة في المخطوطات بالاسماعلية التي ذكرته بهذا الاسم. (الأسدي، 1998، صفحة ص: 7)

ولد في مدينة الحلة العراقية والتي قيل عنها :" حلة بني مزيد : مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين... وكان أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصوربن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، ..." (الحموي، صفحة ص: 294).سنة (533هـ) ثم انتقل إلى مدينة (مصياف) في الشام وبقي فيها إلى أن توفي سنة (592هـ)

مع هذا الرحيل ذاق الشاعر مرارة الغربة وألم الفراق، مما جعله ينشد أشعار الشوق بنغمة شجية وعذبة يستذكر فيها أيامه الخوالي عله يخفف عن نفسه قسوة شعور البعد عن الديار:

ترى أترجـع أيامـي وطيبتهـا بالجامعيين وتلقى النفس ضلتها

أقـول في بلـدٍ غنّت حمامتهـا كذا حمامة "وادي الكهف" شيمتها

رجع الهديل ورشح الأدمع الزرب (الأسدي، 1998، صفحة ص: 125.)

ذلك الشعور الذي لازم الشاعر وأثر في وجدانه حتى تجلت ظاهرة الحنين في شعره كميزة واضحة للعيان، إلى جانب القضية الكبرى التي مثلها شعره الا وهي قضية (التشيع). كما يلاحظ ملمحًا شعريًا آخر وهو الغزل العذري، وربما كان (الغزل) أداة لجذب انتباه المتلقي وضمان إيصال رسالة الشاعر بصورة محببة إلى النفس.

أما عقيدته فقد " كان شيعيًا متمكنًا ، وإماميًا مؤمنًا، وإسماعيليًا نزاريًا عريقًا..." (الأسدي، 1998، صفحة ص: 14.) ذلك التمكن والإيمان و وتلك العراقة جعلاه يدعو إلى عقيدته بشعر عقدي تتجلى في كلماته اصداء الحكمة

الباطنية ، وتعكس مضامينه رؤى فلسفية منبثقة من جوهر العقيدة الإسماعيلية ، وتنساب الألفاظ برقة وعمق كاشفة عن وحدة المعنى وراء تعدية الظاهر، كما كشفت عن ثقافة دينية واسعة عمادها القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والروايات التاريخية تسلح فيها الشاعر وعمد إلى توظيفها في المحاججة لاثبات شرعية دعوته، وهذا ما سيتضح جليًا عند التمعن في تجربته الشعرية في هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

منهجية الدراسة وهيكليتها:

اعتمدت هذه الدراسة على منهج تحليلي وصفي يسعى إلى الكشف عن الاتجاه الشيعي في شعر الشاعر مزيد الحلي ، وجاءت على مبحثين:

المبحث الأول تتبع أبرز المضامين الشيعية في شعر مزيد كبيان فضلهم ومنزلتهم ، والكشف عن البعد العقائدي والوجداني في التعبير عن الإيمان والاتباع والولاء لهم.

أما المبحث الثاني فقد تولى دراسة الشكل الفني للنصوص الشعرية؛ بغية الكشف عن طبيعة النصوص ولغتها وتراكيبها، وإظهار العناصر الإيقاعية والموسيقية للنصوص، وتتبع أدوات الشاعر في رسم صور التشيع.

وأعقب المبحثين خاتمة سجلت أبرز النتائج التي توصلت لها الدراسة، ثم أعقبها قائمة بالمصادر التي استندت عليها الدراسة.

المبحث الأول : دراسة في مضمون الشعر الشيعي في شعر الشاعر مزيد:

إنّ أولّ ملح يلمحه الناظر في شعر الشاعر مزيد هو ظاهرة التشيع، إذ أخذت هذه الظاهرة حيزا كبيرا في شعره، وضمنه معان شيعية عديدة أشريت في ذهنه أولا ثم خرجت لعالم نصوصه الشعرية، ومثل كل الأفكار بدأت فكرة التشيع عند الشاعر بالبحث عن الحقيقة، إذ يقول:

وأصبحت فتاش الحقوق وأهلها ومن يك فتاشا عن الحـق يغنم

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 62)

تلك الحقيقة التي التبست على الكثير، وحاول أهل الباطل تغييبها وطمسها بكلّ ما أوتوا من قوة ووسائل وإمكانات، مما يحتم على الشاعر بذل جهود مضاعفة في التحري والاستقصاء، وهذا ما تشير إليه لفظة (فتاش) التي استعملها بهذه الصيغة دون غيرها من الصيغ كاستعمال لفظة (أفتش) مثلا، ولا يخفى ما في ذلك من دلالة المبالغة والإصرار ، ولعل تكراره اللفظ ذاته في الشطر الثاني (فتاشا) يعضد القول بأن الشاعر كان يلح في طلب الحقيقة والبحث عنها.

ولا شك في أن تتبع طريق الحق على هذا النحو يقود لا إلى العلم به ومعرفته حسب، بل إلى اليقين بما توصل إليه من أفكار، ورفض كلّ ما يتنافى مع ذلك اليقين:

فلما رأيتُ الناس في خوض غيِّهم يقولونَ لن ننجو بغير معلّم

تيقنتُ أن لابـدَّ مادامت الدنـا لكل زمانٍ من إمام مترجــم

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 62)

وبعدما تيقن بضرورة وجود إمام يتولى أمور الناس ويدعوهم إلى ما يحييهم. شدَّ رحاله وراح الشاعر يبحث عما يرشده ويبصر طريقه في رحلة لاقى ما لاقى فيها من النصب والتعب وهو يجوب الفيافي منقادًا لأمر الله:

مجيبا لداعي الله في القرب والنـوى — أجوبُ الفيافي معلمًا بعد معلـم

من الحِلَّةِ الفيحاء حتى تركتهـا — و"بغداد" خلفي لم أطأها بمنسـم

وجئتُ " أوانًا " ثم وافيت أختهـا — " صريفين" واخترتُ القليب مُخيَّم

ووافيت " سامراء" و"تكريت" بعدها — وقلت لروحي " بالقليعة" رِنّـم

وجاوزتُ نخلًا " بالبوازيج" شمخًـا — أجوبُ فِجاج الأرض جوب المصمم

وزحتُ عن "الحدباء" بغضًا بأهلها — فقد جمعت أكنافها كل مـأزم

ولم يكُ لِي في " تل أعفر" منزلًا — فدينهـم دين اللعين ابن ملجـم

ولم ألقَ في "سنجار" من يلتقي به — سـوى دلو بئرٍ نازلٍ قعر مظلـم

وسرتُ حثيثًا من "دنيسر" بعدمـا — جعلتُ إليها من " نصيبين" مقدمي

ولما انتهى " للرّقة" السير لاح لي — من الله نور ساطع غير مظلم

(الأسدي، 1998، الصفحات ص: 62- 63)

وفي رحلة البحث هذه لا يفوت الشاعر الالتفات إلى أي وسيلة من شأنها أن تمد له يد العون فيأخذها ويضمها إلى رصيد أدوات بحثه، ومن ذلك لقائه بأحد الدعاة إلى آل محمد (صلوات الله عليهم) بعد أن وصل منطقة الرقة، ملتمسًا منه الإرشاد والتوجيه، فهو _الداعي لآل محمد_ من أنصار الحق الثابت، الذين يعرفون أوجهه وينكرون ما خالفه، ومن ثم يمكن الاعتماد على دعوتهم، وهو ما وجده الشاعر في مناصر آل محمد والذي كناه بأبي أحمد صاحب النور المشرق الذي لا يداهمه ظلام:

ولما انتهى " للرّقة" السير لاح لي — من الله نور ساطع غير مظلم

وصلتُ إلى الداعي الجليل فدلَّني — على الدرب لكن كنت غير مُتمَّم

" أبا أحمـد" الداعي لآل محمـد — بدعـوةِ حقٍّ ثابـتٍ مُتحكّـم

يسمَّى سمي الله في الخلق أحمدًا — بوجـهٍ كبدرٍ طالع بين أنجم

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 63)

بعد ذلك أخذ الشاعر يواصل رحلته، ولكن يبدو أن في هذه المرة كان برفقه أحدهم ولم يكن بمفرده كما ذكر في المقطع الأول من الرحلة والذي وظف فيه الشاعر ضمير المتكلم المفرد، فهو يتحدث عن ذاته حسب أما في المقطع الثاني لرحلته فلاحظ الباحث استبدال الشاعر لضمير المتكلم المفرد بضمير المتكلم للجماعة كما في الأفعال (قطعنا، هطلنا، أتينا، نجوب...إلخ). عدا البيت الأول من المقطع الثاني للرحلة الذي تحدث فيه الشاعر بصيغة (الأنا)، ولعل تفسير ذلك يكمن في أن المرافق للشاعر لم يتبعه من بدايته انطلاقته الثانية؛ أو أنه من المنطقة التالية التي وصلها الشاعر، ومن ثم حدثت المرافقة، وقد يكون هذا المرافق دليلا أو صديقا أو أنه رفيق سفر حسب:

فجـاوزتُ لما أن تحقق مطلبي ... خفاجيَّةٍ باتت بأكناف عكـرم
ولما قطعنا جسر "بالس" عرَّجـت ... صدور ركابي نحوها غير محجـم
وسارت بنا تطوي الفجاج وجـاوزت ... لشط "الفرا" في كل حزمٍ مصمَّـم
هطلنا بوادي "المنحوان" بليلنـا ... من المزن كل في أواخر مـرزم
ولمَّا أتينا "الشيح" والليل قد بـدتْ ... عساكره في كل أسـود مُقتـم
نزلنا وقد وافى الكرى "دير حافـر" ... وسرنا وأرباب السُرى غير نـوَّم
نجوب الفلا ما بين أشعث أغبـر ... يحنُّ إلى الهادي وأجرد أدهـم
ولمَّا وصلنا ماء "كاسر" لم يكـن ... لنا معدل عن روضها المبتسـم
نزلنا بها ثم انثنينا بركبنـا ... إلى "حلب" والليل ليس بمعتـم
ولما تجشمنا "قويق" بغـدوةٍ ... تزايد بي شوق المحب المتيـم
وبتنا بأكنـاف "القناطر" بعدما ... قطعنا "قريـاتٍ" بعزم مُصمـم
وجئنا إلى "سرمين" والغيث هاطلٌ ... على كل سبط الراحتين غشمشـم
وجزنا بها نحو "المعرة" وانتحى ... بنا شجر الزيتون في كل جرثـم
إلى أن وصلنا "كفرطاب" عشيَّـةً ... وقادح أرباب الثرى كل مضـرم
ولما وصلنا أرض "شيراز" صدَّنا ... مسيلٌ من "العاصي" شديد التهجم
فرحنا بعـون الله نقطـع موجـه ... كما فعلت في الترب كف المنجـم
وسرنا إلى "مصياف" سعيا كما سعى ... إلى البيت قوم قريشٍ وجرهـم

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 63)

وأخيرا وبعد كل هذا العناء يصل الشاعر إلى مبتغاه ويحط رحاله عند الحكم الذي يزيد من يقين الشاعر بمعرفته للحق ويقطع كل طريق آخر لا يوصل إلى الصواب:

إلى أن حططتُ رحلي مسلمًـا ... إليك وها أنت المحكم فاحكـم
فإني رأيتُ الخلق قسمين قائـلًا ... عرفتُ بعقلي كالحديث المترجـم
وآخر بالعقل الصحيح وناطـقٍ ... عن الله للعقل الصحيح مفهَّـم
فإن صح في العقل انثنيتُ بزعمهم ... محقًا ومن ينكر قوى الحق ينـدم
وإن كان من عقلي مقالة صـادقٍ ... نجوتُ ومن يعدل عن الحق يظلم

(الأسدي، 1998، الصفحات ص: 63- 64)

ومع أن الشاعر لم يصرح في نصه الشعري باسم ولا كنية الحكم الذي حط رحاله عنده باحثا عن الحقيقة إلا أنه يبدو كان محلًا للثقة والصدق والأمانة، كما أنه مثل طوق نجاة من فتن زمن الشاعر وصراعاته المتعددة ولاسيما

الفكرية منها، الأمر الذي جعل الشاعر يتجشم الأسفار والمخاطر، وصولا إلى المنقذ العارف ؛ ليستفتيه بما آل إليه الخلق وانقساماتهم الفكرية، فمنهم من يعتمد على عقله فقط لمعرفة أموره الدينية والدنيوية، والقسم الآخر فضلا عن تحكيمه لعقله جعل من الناطقين عن الله حجة عليه يقتدي فيهم ويأخذ بدعوتهم، ومن ثم يرشده إلى الحق الذي لا ندم معه فيتبعه الشاعر ولا يظلم.

أن الناظر في ختام نص الرحلة والمتتبع لها والمنتظر لنتيجة الحكم التي سعى إليها الشاعر يبقى في حالة من الضياع في آخر النص وهو يبحث عن جواب العارف، وكأن الشاعر لم يرد لمتلقيه أن تأتيه الإجابة بصورة موجزة يعبر عنها ببيت أو بيتين؛ ولكنه أراد أن يبين الحقيقة التي توصل إليها في نصوص كاملة يعضدها بالحجج والبراهين وهذا ما توضحه نصوصه الشعرية العديدة والتي تحمل فكرة واحدة تتمثل في الدعوة إلى اتباع محمد وآل محمد صلوات الله عليهم كما سيأتي.

وها هو في نص أخر يكشف عما امتنع من الإجابة عنه في نص الرحلة ويبين أن العقل وحده غير كاف لمعرفة الحق؛ بل لابد له من رجال دين، وهم أهل له، بهم يعرف القول المحكم ولا يكون ذلك إلا في نبي أو إمام منصوص عليهما من قبل الله سبحانه وتعالى:

الحق عند رجال الدين انَّ لـــه ... أهلًا فأصغِ لقولي غير مكتسب

عن الطريق مع القيد الذي نشأت ... فيه القواعد بالآداب والرتب

فالعقل ليس بكافٍ حين تعرفــه ... بداية بل بقول محكم لنبي

كذا الإمامة لا تخلو قواعدهـــا ... بالعلم والحكم في نصٍّ وفي نسبِ

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 66.)

ومن المضامين الشيعية التي أخذ الشاعر يلح فيها في نصوصه الشعرية المديح للنبي محمد وآله (عليهم السلام)، فمن مديحه للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) أنه حجة الله على خلقه في السر والعلن وهو خير البرية من العرب والعجم يلوذ به من أصابه الهم والكرب فينجو ويسعد:

فقلت للنفس جدي بالمسير إلى ... خير البرية من عجم ومن عرب

وحجة الخلق في ستر وفي علنٍ ... تسري إليه جميع الخلق في الطلب

ولذ به موقنًا وأقصد لجيرتـه ... تنجو من عظيم الهم والكـرب

(الأسدي، 1998، صفحة ص:64.)

ومن فيض كرمهم (بني الزهراء) أنهم خير عون وأفضل ركن يلجأ إليه الشاعر؛ ليبلغ إلى رضا الله سبحانه وتعالى، وهم في حقيقة الأمر أنوار أنزلها الله تعالى تجلت للناس، ثم أن حقيقة هذه الأنوار وكينونتها تنفذ إلى البصائر فتحيي ما كان ميتًا وتضيء ما كان مظلما، فتزول بذلك أسباب انطماس البصائر وتظهر البينات والأدلة والبراهين على وجوب اتباع آل البيت دون غيرهم:

ولا لجأتُ من الدنيا إلى سنـدٍ ... لأنَّ حب بني الزهراء لي سنـد

الواصلون بحبل الله من عـددٍ ... وواحد ما يراه ذلك العـــددُ

نور تجسَّد للأبصار فانكشفت منه البصائر ما لم يحوه أحـد

(الأسدي، 1998، صفحة ص:74.)

كما أنهم ينابيع الهداية، ولهم الفضائل والمناقب، وهم أصحاب عطاء وسماحة، وبهم يرتفع الشعر ويسمو، حازوا قصب السبق في المآثر كلها، السادة النجباء، الممتثلون لأوامر الله سبحانه وتعالى، الصادقون بوعدهم له، ولا يخافون في الله لومة لائم؛ لذا يدعو الشاعر إلى اتباع من هم بهذه المرتبة من السمو والرفعة:

واتبع هداية آل أحمـد إنما لهم المكارم في غدٍ والجـود

قوم هم شرف القصيد ونظمـه ما إن نبا بالأصغرين قصيـد

السابقون المدركون بسبقهـم والسادة الغرُّ الكرام الصيـد

الصائمون المؤثرون بنطقهـم ما جاء فيه الشرع والتمديـد

الآمرون الضامنون بوعدهـم لا نكسَ يغشاهم ولا تهديـد

(الأسدي، 1998، صفحة ص:95.)

وقد فاق فضل محمد وأهل بيته (عليهم السلام) فضل العالمين جميعًا، ومن ثم فأنهم أعلى شأنًا من الملائكة والانبياء:

هلمُّوا فهذا الذي باسمـه توسَّل لمَّا عصـى آدم

وهذا الذي جبرئيل لـه وميكيل عنده يخـدم

وهذا الـذي لم تحـز فضلـه قريش ولم تحوه جرهـم

وهذا الذي كان فـي عربها فأصبح تتبعه الديلـم

(الأسدي، 1998، صفحة ص:103.)

حتى راح نبي الله آدم يتوسل إلى الله بمحمد وآل محمد لعظيم شأنهم وعلو منزلتهم عند الله؛ ليغفر له؛ بل أن ملائكة الله جبرائيل وميكائيل يخدمونهم، ويسعون إلى رضاهم.

وفي مضامين مديحه لآل البيت عليهم السلام ذكر الشاعر ما لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام من الفضائل والمآثر التي بزَّ فيها الأنبياء، فإذا كان نبي الله آدم قد خرج من صلبه الأنبياء والملوك، فإن في نسل عليٍّ أئمة أسياد على كلّ البشر:

إن كان آدم أخرجت من ظهره أهل النبوة والملوك الصيد

فعلي قد نسل الأئمة سـادة غررا على كل الأنام تسود

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 97.)

وكما أن نبي الله نوح قد نجاه الله سبحانه وتعالى من الطوفان الشديد بما أوحى إليه من صنع السفينة، فإن الله عزوجل قد جعل الإمام علي وولده سفنًا للنجاة من أهوال يوم القيامة:

إن كان نوح للسفينة قد بنى ونجا من الطوفان وهو شديد

فعلي لأيام المعاد وولــده سفن النجاة عن الكرام تذود

(الأسدي، 1998، صفحة ص:97.)

ومثلما أن نبي الله إبراهيم قد سلم من نار النمرود، فالإمام علي عليه السلام كان يطفئ نيران الحروب بحكمته وشجاعته:

أو كان إبراهيم أصبح ناجيًا لما رماه بناره النمــرود

وعلي كان إذا الحروب تسعّرت يبدو لها فتقود له وهي خمود

(الأسدي، 1998، صفحة ص:97.)

وإذا كانت الجبال والطير قد ذلت لنبي الله داود والجن قد أذعنت له ولابنه والرياح تسير بأمره كيفما يشاء، فعلي عليه السلام يمثل سدًا منيعا للإسلام ورداعًا قويًا للنفاق وأهله بما أعطاه الله من الشكيمة والشجاعة والصلابة اثبتها في مواطن عديدة ،منها تصديه لخالد بن الوليد حينما جاء لأمير المؤمنين علي عليه السلام بعسكر يريد قتله وكان بيده عمود من حديد فرفعه ليضرب به رأس الإمام علي عليه السلام ، فانتزعه الإمام علي ولفه-العمود الحديد- على رقبة خالد كالقلادة (المجلسي م.، 1983، صفحة ص: 170)، ومن بسالته أيضا مقاتلته لكفار من الجن الذين أرادوا إيذاء الرسول صل الله عليه وآله تمكن الإمام علي (عليه السلام) منهم وجعلهم تحت قيوده (المازندراني، 1991م، صفحة ص: 102)، بشجاعته التي استحوذ على كل المخلوقات حتى أن أعالي الجبال الثابتة اضطربت منها مخافة وهيبة :

وإلى النبي داؤد قد خضعت له شمم الجبال وطيرها المشدود

والجنُّ طائعة لـه ولابنـه هذا يغوصُ بها وذا مصفـودُ

والريـحُ جارية تسير بأمـره تمضي إلى ما يشتهي ويريـدُ

وعليٌّ طوَّق خالدًا إذ جـاءه يبدو النفاق وفي يديه عمود

وهوى إلى بئر يقاتل جنهـا فتضمنتهم من يديه قيـود

وتزعزت قمم الجبال مخافةُ منه وهن الشامخات صمود

(الأسدي، 1998، الصفحات ص:97-98.)

وهكذا تتوالى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام في نصوص الشاعر ولم يغفل عن ذكر معجزة نبي الله صالح المتمثلة بالناقة التي أيده الله فيها حين كذبه قومه؛ ليبين أن الله تعالى قد أعطى عليًا عليه السلام معجزة أعظم من معجز صالح؛ إذ أن الله سبحانه وتعالى حباه بالبتول عليها السلام المنقطعة في نسبها ودينها وفضلها، فكانت تلك المعجزة التي يحسده عليها الناس:

أو كان معجز صالح في ناقةٍ خلقت له إذ كذبته ثمــود

فعلي معجزة البتول أتى بهـا ربًا وكان وليها محســود

(الأسدي، 1998، صفحة ص:98.)

وعصاة نبي الله موسى أيضا كانت في معرض حديث الشاعر عن مناقب الإمام علي عليه السلام، فإذا كانت تلك العصا من المعاجز الكبيرة ولها منافع كثيرة استخدمها النبي موسى في حياته الخاصة ورسالته؛ فإن فقار علي عليه السلام مثبت الإسلام؛ ورادع الشرك، ولا يسلم من حده إلا من تخلى عن شركه ودخل في الإسلام:

وعصاة موسى في الورى كانت له — فيها مآرب في الصفات تزيدُ

وعلي صاحب ذي الفقار فمن نجا — منه بترك الشرك فهو سعيد

(الأسدي، 1998، صفحة ص:98.)

وكذلك استحضر الشاعر معجزة نبي الله عيسى بن مريم في ذكره لمعاجز أمير المؤمنين علي عليه السلام، ليشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد منَّ على علي عليه السلام وأعطاه من الآيات البينات الدالات على فضله؛ فكما جعل في يدي عيسى بن مريم الشفاء لمرضى البرص فإن علي عليه السلام قد مكنه الله سبحانه وتعالى من إرجاع عين زيد بن أرقم بعدما اقتلعت (المجلسي م.، 1983، صفحة ص: 208.) ولم يكن هذا الخبر من وحي الخيال أو الادعاء؛ بل جاء في مصدر له سند معتبر:

ثم أن ابن مريم كان يبري من به — برص فيصبح وهو عنه بعيد

وعلي أرجع عين زيد بعـدما — فقأت وذلك مصدر مسنـود

(الأسدي، 1998، صفحة ص:98.)

كما أشار الشاعر إلى معجزة النبي محمد صلى الله عليه وآله (الإسراء والمعراج) وكيف سخر الله له الدابة (البراق) الخارقة للعادة في قطع المسافات، فحملت النبي محمد صلى الله عليه وآله من مكة إلى القدس (الإسراء) وبعدها إلى السماوات العلى (المعراج) بسرعة فائقة تقع خارج حدود الزمن، فيداخل الشاعر حدث معجزة الإسراء والمعراج مع حدث معجزة طي الأرض للإمام علي -عليه السلام- ليبين كرامة من كرامته (علي) عليه السلام عندما خرج من يثرب إلى المدائن لتغسيل سلمان المحمدي ودفنه حين وافته المنية، وكانت المسافة بينهما طويلة جدا تتطلب رحلة ربما تستغرق أسابيعا، فتخطى قوانين الطبيعة في تقريب المسافات الطويلة، فدفنه وعاد إلى يثرب بوقت وجيز جدا، حتى تعجب الناس من ذلك (المجلسي م.، 1983، صفحة ص:368.):

ومحمد ركب البراق وسار في — السبع الطباق سرى به المعبود

من يثرب جاء المدائن وانثنى — من غير شك والأنام رقــود

وإذا جهلت فما لمعجز حيـدر — حدٌ ويوجد في الورى محـدود

(الأسدي، 1998، صفحة ص:98.)

وهكذا هي معاجز أمير المؤمنين علي عليه السلام لاتعد ولا تحصى، فإن جهل الناس معجزة له فهناك الكثير غيرها التي تبرز عظم مكانته عند الله تعالى، والتي لا ينكرها إلا المنحرفون عن الحق المبغضين له عليه السلام، والذين يحاولون طمس كل فضيلة له مصداق ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وآله): " ياعليّ لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق إلى يوم القيامة". (المجلسي م.، 1983، صفحة ص:287)

ومن مضامين بيان فضلهم عليهم السلام أنهم سبب الوجود، ولا غرو في ذلك فلولا محمد وعترته الطاهرة لما خلقت سماء ولا طلع نجم ولا سطحت أرض، وقد جعل الله بيته والركن والمشعران والصفا وزمزم كلها لنبيه صلوات عليه وعلى آله:

له البيت والركن والمشعـران ومعه الصفا وزمــزم

فلولاه ما خلقت في الــورى سماءٌ ولا طلعت أنجــمُ

ولم تجعل الأرض من تحتهــم مهادًا لمدركه تعصــم

(الأسدي، 1998، صفحة ص:103.)

وعبر تلك المضامين أخذ الشاعر يعقد مقارنات بينهم وبين مخالفيهم، لعل العقول تدرك الحقيقة وتنفر من الباطل، فما بين أهل البيت (عليهم السلام) ومخالفيهم بون كبير، ومثل الجهتين كمثل البصير والأعمى، ومثل العود الخضرة النضرة وحطب الأرض المقفرة الميتة، ومثل والأحجار الكريمة ذات الثمن الباهظ والحصى التي لا ثمن لها، ومثل والأسود القوية المهابة والضباع ذات الرائحة الكريهة التي تتغذى على الجثث المتحللة. فهل تتساوى الأمثلة فيما بينها!:

هل يستوي الأعمى ومن هو مبصرٌ أو يستوي حطب الفلا والعود

أم يحسب الدر الثمين مع الحصى أم هل تساوى أضبع وأسود

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 97.)

وأن هذه المقارنات ذكرها الشاعر من باب تفهيم العقول القاصرة ليس أكثر؛ فالنبي محمد وآل بيته عليهم السلام فوق كل المقارنات؛ وأن الله سبحانه وتعالى قد حباهم بمقامات خاصة لا يرقى لها أحد من الخلق:

لكم مقام تعالى فوق ما بلغــت أرواحنا ولكم بالروح نور جلي

ترافقت في قديم الدهر أنفسنــا لمَّا اقتبسنا سناء النور بالأمل

فقد فتنَّا بكم مذ كنا نعهدكــم لأنَّ مظهركم قد فات كلّ ولـي

صفاتكم نور للأرواح ظاهــرة وذاتكم في رحاب الكون لم تحلِ

سريتم في أعالي الكائنـات على متن البراق بلا كدٍّ ولا كلل

(الأسدي، 1998، صفحة ص:112.)

وبذلك السبق وعلو المنزلة عند الله لا يكونون هم الركيزة الأساسية للحق حسب؛ إنّما هم سبب الوجود، وهذا ما دعا الشاعر إلى أنّه يفدي حبهم بدمه ، ولا يستبدل بهم غيرهم وإن كلفه الأمر حياته، ممسكًا بوصلهم الذي لا يحول عنه ولا يزول قاطعا على نفسه وعدا ملزما به طوال عمره وذلك باليمين الذي أخذه على نفسه وهو يمين عظيم :

أقسمن فيهم وهم أعظم القسم والله لو جرعوني حبهم بدمي

لم تنتقل قط إلاّ نحوهم قدمي قوم هم سبب الموجود من عدم

(الأسدي، 1998، صفحة ص:126.)

وبوصف آل البيت (صلوات الله عليهم) حبل نجاة من المهلكات في الدنيا والآخرة، فأن ذلك مدعاة لتمسك الشاعر فيهم :

ممسكًا في حبـال آل عليٍّ كونهم وارثين علم الكتــاب

(الأسدي، 1998، صفحة ص:69.)

وهكذا راح فلك المضامين الشيعية في نصوص الشاعر يدور حول فضائل نبينا محمد وآله صل الله عليه وعليهم، فيعدد معاجزهم ومآثرهم ومكانتهم العظيمة،...إلخ ويدعوا إلى التمسك فيهم ؛ لإنهم هم السبيل الوحيد للوصول إلى الله سبحانه وتعالى، للفوز بالدنيا والآخرة.

المبحث الثاني: دراسة في شكل الشعر الشيعي في شعر مزيد الحلي:

بما أن الشكل الشعري يمثل الوعاء الذي يصب فيه الشاعر أفكاره ومشاعره، أوهو القالب الذي ينظم فيه مضامينه الشعرية من أفكار ومشاعر ورؤى، ويكون متناسب مع الطرح الموضوعي، أخذ الشاعر مزيد الحلي يفرغ محتواه الشيعي في قوالب قادرة على إيصال أفكاره بصورة متناسقة وجذابة ومفهومة، ولاسيّما أن الشاعر يتحدث عن قضية في غاية الأهمية ، الا وهي قضية العقيدة الدينية (التشيع) التي تتطلب بناء فني قادر نقل الأفكار والدفاع عنها ودفع الآخر للإيمان بها لا بصورة فرض وإكراه ؛ وإنّما بمحاولة الشاعر إقناع المقابل بالأدلة والبراهين التي يعرضها بشكل محبب إلى النفس بوساطة انتخابه الالفاظ السهلة والصورة الشعرية الموحية والموسيقى العذبة، وهو ما سيتبين في المحاور الآتية:

<u>في بناء القصيدة:</u>

يجد المتتبع لديوان الشاعر مزيد غلبة القصائد الطويلة على المقطعات الشعرية، ولعلّ الدافع وراء ذلك هو طبيعة الموضوعات التي أودعها في هذا الشكل والتي تخص التشيع، وكما أشرنا سابقا إلى أن هذا الموضوع يحتاج إلى قوالب وأشكال تتسع لعرض الأفكار وما تحويها من أدلة وبراهين ونقل المشاعر وما تحمله من آهات وزفرات. فضم ديوانه ثلاثة وثلاثين نصًا شعريًا، جاءت فيه سبع مقطعات فقط، وربما تكون هذه المقطعات قصائد طويلة أيضا، ولكن معظم أبياتها قد فقدت، فوصلتنا بصورة مقطعات.

<u>المقدمات والتخلص:</u>

يبدأ الشاعر نصوصه المتضمنة للفكر الشيعي بمقدمات غزلية أو طيف (الأسدي، 1998، صفحة ص:76.)، أو رحلة (الأسدي، 1998، صفحة ص:99.)، أو ذم الدنيا كما يعثر الدارس لديوانه على مقدمات الشكوى من الفراق (الأسدي، 1998، صفحة ص: 82، 91، 118، 120، 124) يهيء فيها ذهن السامع ويغريه بعمل فكره لمتابعة ما يصبو إليه الشاعر. يعمد في المقدمات الغزلية إلى الغزل العفيف غير الخادش للحياء و "هو نوع معين من الغزل القديم الأصيل البريء..." (الأسدي، 1998، صفحة ص: 19.) ومن ذلك مقدمة قصيدته (يا بنت مختلس النفوس) جاءت في تسع وأربعين بيتًا نصيب المقدمة منها اثنا عشر بيتًا يصف فيه جمال محبوبته وصفًا عذريًا ويشكو فيها الهجر فيقول:

أفتـور لحظك أم غـرار يماني وقوام قدك أم قضيب البـان
أم حاجبان على الجبين تقوسُا أو في صحيفة كاتب نونـان
وشنيبُ ثغرٍ في فـم أ لؤلـؤٌ نظموه في سلكٍ من المرجان
يا للتي أسكنتها في مهجتــي فبأي مقدرةٍ ملكت عنانـي

بشقائقٍ من وجنتين تشقَّقت حجب القلوب شقائق النعمان
أو كلَّما عاينتُ طرفك في الكرى وشكوت طول البعاد والهجران
أوترت قوسي حاجبيك كأنني غرضٌ لأسهم طرفك الفتَّان

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 79.)

فيصف في هذه المقدمة لون عيون التي أحبها متسائلا ما إذا كان هذا لون عيونها أم أنه حجر كريم يماني نادر؛ وذلك لأن لون عيونها متداخل ما بين الأخضر والأزرق جعل الشاعر يهيم فيهما، ثم ينتقل إلى وصف جمال رشاقتها وتناسق جسدها حتى أنه بدا متحيرا هل هذا الكائن المتناسق هو جسد محبوبته أم أنه عصا البان الجميل الخفيف. ثم عطف بعدسته ليلتقط صورة لحاجبيها المقوسين وكأنهما حرفا نون خطا ببراعة كاتب، ومما زاد في جمالها بياض اسنانها ونصاعتها ودقة انتظامها في اللثة كانتظام حبات اللؤلؤ في سلك المرجان الأحمر، وبذلك الحسن الجذاب ذو القدرة على إحكام قبضته على مشاعر الشاعر فلا يدري بأي جانب من جمالها سلب روحه أ بوجنتيها اللتين تنافسان أزهار شقائق النعمان بلونها الأحمر الحيوي الناعم النضر فتقطعان القلوب، أم بحاجبيها المقوسة التي توصبها نحو الشاعر كلما تأمل عيونها في الطيف وشكى لها حرارة الشوق وألم الهجر. وعلى هذا النحو يستمر الشاعر في الخمسة أبيات المتبقية من المقدمة يتغنى بجمال محبوبته وذكر لوعة الفراق إلى أن يتخلص إلى فكرته الرئيسية والتي تتضمن الدعوة إلى حب آل البيت والتمسك بحبلهم فيقول في التخلص من المقدمة يوصي محبوبته بملازمة آل محمد صلوات الله عليهم لأنهم طريق الله عزوجل وأن ما دونهم فطريقهم الشيطان:

وتمسكي بحبال آل محمدٍ ما عشت لا بحبائل الشيطان

(الأسدي، 1998، صفحة ص:79.)

امّا مقدمات الطيف فقد ارتبط بالذكريات والحنين إلى سالف أيامه. ويذكر فيه الزائرة الحبيبة وهي تعاتبه على بعده عنها:

طيفٌ لحسناء من بعد الكرى طرقا ليلًا فهاج بي الأحزان و القلقا
عجبت وهو إلى جنبي يعاتبني م اكان أحسن هذا العتاب لو صدقا
هل لي برجعة عيشٍ كنت أعهده "للجامعين" ويرق البين ما برقا

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 76.)

وهذا العتاب أثار في نفس الشاعر شعورين مؤلمين متناقضين، الأول استنكاره وتعجبه من عتاب محبوبته وهي ملازمة لروحه معنويا فكيف يرافق البعد تلك الملازمة، الا تشعر بالقرب الذي يشعر به الشاعر! والشعور الثاني هو تمنى لو كان ذلك اللقاء والعتاب حقيقا لا طيفا. وهاجت أحزانه وتذكر أيامه الخوالي واشتاق لعودتها وعهدها الجميل حيث ملتقى الأحبة بالجامعين. الأمر الذي جعل من ذكريات الشاعر تنهال على فكره كالمطر فراح يسطرها في ثلاثة عشر بيتًا (الأسدي، 1998، صفحة ص: 76.) ليس مجرد كلمات وإنما أجزاء من روحه تركها في ذلك المكان ماكثة مع أحبته، وهذا ما جعله في عداد الموتى ولا يلام على ذلك؛ إذ أنّه يعيش بجسد بلا روح بعد النوى والبعد عمن يمثلون الحياة والروح للشاعر. ثم يخلص الشاعر إلى فكرته الرئيسة بنبذ الهموم ويجعل نفسه بحصن منيع من مصائب الدهر متمثلا بحبه للسيدة فاطمة الزهرة عليها السلام:

وكيف أخشى صروف الدهر تطرقني وحبل قلبي بالزهراء قد علقا

(الأسدي، 1998، صفحة ص:77.)

وعلى هذا المنوال سار الشاعر في بناء مقدمات الفراق والنوى والشوق إلى الأحبة والديار ثم يخلص إلى طوق النجاة النبي محمد وآله صلوات الله عليهم. وكأن الشاعر أراد أن يوصل رسالة للمتلقي أن الدنيا مليئة بالهموم والمصاعب ولا سبيل للخلاص إلا بالتمسك بالعترة الطاهرة؛ فهم الملاذ والطريق الحق، والسائر على نهجهم هو السعيد في الدنيا، كما أنهم الوسيلة لبلوغ رضا الله والفوز بالجنة. فلا تخدعنه الدنيا بزينتها الزائفة، وعليه أن يتبصر

حقيقتها (الدنيا) مثلما تبصرها الشاعر فلم تعد تغريه بمظاهرها الجذابة وإن أقبلت عليه أدبر عنها؛ إذ يقول في مقدمة قصيدة الرحلة في ذم الدنيا:

إليك ذريني والجوى لا تقدّمي فما أنت دار الإقامة فاعلمي

ذريني وغرّي ويك غيري مُحلّلًا لوصلك بالآمال غير محـرَّم

فإنك دنيا برق لمعكِ خُلَّـبٌ جهام متى يرفع بناؤك يهـدم

وإنك لا يرجى نعيمك للبقا متى تملكي قلبا تغرّي وتنتقمي

(الأسدي، 1998، صفحة ص:77.)

فها هو الشاهر يؤكد علمه بخدع الدنيا فهي تستميل الناس ببريقها ولمعانها وإذا ما اطمئنوا لها كشفت عن حقيقتها التي لا خير فيها كما السحاب الخالية من المطر، وخصبها لا يدوم ونعيمها زائل تعلق الإنسان فيها ثم تقتص منه، فلا يأمن لها بنيان مهما ارتفع؛ لأن مصيره الهدم. وهذا ما دفع الشاعر إلى تقديم نصيحة لمن يجري خلف بريق الدنيا وبهواها تُمثل تخلص الشاعر من المقدمة والدخول إلى رسالته الحقيقية:

وعندي لمن يهواك خير نصيحة له في معاني شرحها خير مغنم

يوالي ولاة الحق آل محمـــد فحُبُّهم فرض على كل مسلـم

(الأسدي، 1998، صفحة ص:77.)

وهي الدعوة إلى موالاة محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، تلك النصيحة التي تكاد تكون هي المحور الذي يدور حوله شعر الشاعر، وكأن كلّ ما في شعره من أفكار وقوالب جاءت لتخدم هذه الفكرة، وربما حتى مقدماته الغزلية لا تتحدث عن امرأة حقيقة؛ بل هي وسيلة تساعده في بلوغ مقصوده وارشاد الناس لما فيه صلاحهم.

<u>في اللغة الشعرية:</u>

لمّا كانت اللغة " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (بن جني، صفحة ص:107.) وهذا يقضي قيام علاقة بين أفكار الأنسان وبين أصوات ورموز اللغة من جهة وبين الأصوات ودلالتها من جهة أخرى ومن ثم تحقيق الغرض المنشود من الكلام (الجرجاني، صفحة ص:262.) المتضمن إيصاله إلى المتلقي بصورة مفهومة ومؤثرة، ومن هنا عبر الشاعر مزيد بلغة شعرية واضحة وسهلة خالية من التعقيد متطابقة مع أفكاره، بدا في لغته الشعرية متمكنا من أدواته اللغوية يتلاعب بها كيفما يشاء، ومع أنّ قضيته (التشيع) التي أراد تقديمها في شعره قضية كبيرة متعلقة بمصير الإنسان

فأنه لا يمارس فيها الغلظة لا في اللفظ ولا في التراكيب اللغوية بل أنه في كثير مم المواضع يضفي جمالية لفظية محببة إلى النفس لبيان فكرته ففي قوله :

وأبى الله أن أضلَّ وأن أغـــ فل بين الغواة في جلبـاب

فهداني إلى رحيق شـــراب بعد ركضي إلى لموع السـراب

ممسكـــا بحبـال آل عليّ كونهم وراثين علـم الكتـاب

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 69.)

يشعر الدارس برقة التركيب (وأبى الله أن أضل وأن أغفل)؛ ذلك أن الله لا يرضى لعباده إلا الصلاح، وبرحمته ولطفه ينتشلهم من الغفلة والضلالة، فضلا عن تركيب (فهداني إلى رحيق شراب) يبعث في النفس حلاوة وعذوبة لا تلتذ حاسة الأذن بسماعه حسب ؛وإنما يشعر المتلقي بانتشاء حاسة التذوق أيضا عبر تذوق رحيق الشراب، ولا سيّما التركيب في الشطر الثاني للبيت يوحي بالنصب والتعب (بعد ركضي إلى لموع السراب) ولعل هذا التركيب يذكرنا بقوله تعالى مخاطبًا نبيه أيوب: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} (ص : 42) بعدما انتهت مدّة البلاء، فتسكن بذلك الأوجاع وتنزاح الهموم، وآل البيت هم الشراب الرحيق الصافي الذي يزيل درن الضلالة والغفلة وما دونهم بريق كاذب لا يهدي إلاّ إلى المخادعة، كما أن توظيف الشاعر للفظتي (ممسكًا، حبال) ينطوي على عمق دلالي يكشف عن مدى أهمية الارتباط بهدي آل محمد صلوات الله عليهم فكلمة (ممسكًا) توحي بشدة الإحكام والقبض خوفًا من التيه والضياع في طرقات الظلام والانحراف، و وصل اللفظة (ممسكًا) بلفظة (بحبال) يكشف عن جانبين : الأول التأدب والاحترام في ذكره لآل البيت صلوات الله عليهم ؛ إذ جعل لنفسه منزلة العبد ولم يقرن إمساكه فيهم مباشرة كأن يقول: (ممسكًا بعلي) و لا يخفى ما في ذلك من دلالة التابع الذي يؤمل القبول من ساداته العظماء، والجانب الثاني الحرص على عدم الإفلات من صراط آل محمد صلوات الله عليهم فعمد الشاعر إلى توظيف لفظة (الإمساك وربطها بلفظة حبال) المجرورة بالباء والتي تعني الالتصاق. وبذلك تكون لغة الشاعر قد حققت الغاية المرجوة وعلى أكمل وجه.

ومما يلاحظ في لغة شعره وخطابه المباشر المتميز بعمق الدلالة هو أن أغلب دعواته لاتباع محمد وآله عليهم السلام يبدأها بالحديث عن نفسه وموقفه هو من هذه الدعوات ومدى تطبيقه لما يدعو إليه، فيجد الباحث حضورًا

ولا لجأتُ من الدنيا إلى سند لأنَّ حب بني الزهراء لي سند

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 74.)

حافلًا لذات الشاعر ومنه قوله:

الذي يبين نهجًا سار عليه الشاعر لعله في بداية حياته فالفعل الماضي (لجأ) المتصل به الضمير (تُ) الفاعل المسبوق ب(لا) النافية يدل على مجانبة الاعتصام أو طلب العون من أحد في الدنيا، لا لأنه يجد في نفسه غنى عن ذلك، بل يرى أن حبّه لذرية الزهراء عليها السلام هو الحصن والملاذ الجامع المانع، ومن ثم فإن ما عند غيرهم لا يسمن ولا يغني من جوع فكان حريّ بالشاعر الإحجام عنه. واعتماد الشاعر هذا الأسلوب في نقل رسالته يكشف عن رؤية ذات دلالات عميقة فكأن الشاعر أراد أن يعرض قضيته بكل ودّ عبر نقل نتيجة تجربته وتمسكه بآل البيت، والتي لم يحتج فيها إلى أحد سواهم عليهم السلام، ونادرا ما يوظف الشاعر صيغ الأمر و الطلب في إيصال دعواه، كما أنه ينأى بشعره

عن الغلظة والتهجم، يشرع بعد حديثه عن ذاته في ذكر صفات آل البيت عليهم السلام وكراماتهم وفضلهم ، وكأنه يجيب عن سؤال خفي موجه للشاعر مضمونه لِمَ تتبع محمد وآله عليهم السلام دون غيرهم، معضدا إجابته بأفضليتهم وهم الطريق إلى الله بأدلة وحجج من المصادر الدينية (القرآن الكريم والحديث النبوي الشرف).

في الموسيقى الشعرية الخارجية:

لما كان الأصل في الموسيقى أنها " غريزة في الإنسان خلقتها الضرورة والرغبة الباطنية فيه بإخراج الأصوات على انحاء مختلفة عند الانفعالات الحادثة في النفس، فتلتذ بها عند طلب الراحة أو تسكن الانفعالات أو تنمى، أو تكون مُعينة على تخييل المعاني في الأقاويل التي تقترن بها." (الفارابي، صفحة ، ص: 15.) فإن التشكيل الموسيقى في الشعر تفرضه حالة من الضرورة والرغبة في التعبير عن الأفكار والمشاعر لدى الشاعر فتتنوع تبعا لذلك الموسيقى الخارجية المتمثلة بالبحور الشعرية والقوافي والموسيقى الداخلية المتمثلة بالجناس والطباق والتكرار...إلخ.

وعند تتبع الموسيقى الشعرية في الشعر الشيعي عند مزيد الحلي يجد الباحث تنوع البحور الشعرية التي تخدم قضيته العقائدية ، فعلى مستوى الموسيقى الخارجية راح الشاعر ينظم أغلب شعره الشيعي على البحور (البسيط، الكامل، الطويل، الخفيف، السريع، المتقارب) والبسيط على رأس هذه البحور التي نظم عليها الشاعر ؛ إذ بلغ عدد القصائد التي نظمت عليه خمس قصائد؛ وذلك أن بحر البسيط أوفر البحور الشعرية استعمالا في الشعر العربي، وهو أكثرها احتواء للموضوعات والمعاني. (الهاشمي، 1991، صفحة ، ص: 47.)يليه الكامل، الذي يتميز بـ "الرّقّة واللّين والعذوبة، والذهن فيه مأنوس..." (الكرباسي، 2011م، صفحة ص: 222) وقد نظمت عليه أربعة قصائد ، ثم الطويل وهو" يتسع لجميع أغراض الشعر وبخاصة الفخر والحماسة والمدح" (الهاشمي، 1991م، صفحة :32) وهذه الأغراض الثلاثة ملائمة لدعوة الشاعر (التشيع)؛ إذ أنه كثيرا ما يفخر بنفسه وأنه يسير على طريقهم ومحب لهم دون سواهم ونظمت عليه ثلاث قصائد. وكذلك الخفيف الذي يعد " من أكثر البحور طلاوةً ولیناً وموسيقية..._و_ يصلح للتصرف في الأغراض والمعاني" (الهاشمي، 1991م، صفحة ص: 100) ومن ثم يتيح للشاعر التعبير عن رؤيته بكلّ حرية وانضباط ونظمت عليه ثلاث قصائد أيضًا. يأتي بعده المتقارب المتسم بالحماسة وبحر السريع المناسب في توظيف معاني الوصف والعاطفة (الهاشمي، 1991، صفحة ص: 62، 75) حيث بلغت عدد القصائد الشعرية التي نظمت على هذين البحرين قصيدتان.

قوم إذا دعوا فاستجابوا للندا فبدا — لهم ضياء من الأنوار لم يـزل

دلّت عليهم قطوف الوصل دانيةً — ظلالها ونسيم الروض في شغل

هذا جزاء لهم يوم المعاد بما — قد عاهدوا الله بالتسليم والأمل

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 113)

ومما نظمه في البسيط قوله:

قومٌ هم يوم المعـاد وسيلتي — إذ حبهـم طـارف وتليدُ

أيعـدُّ مزيد فضـل آل محمـد — هيهات أن يحصي التراب عديدٌ

صلَّى الإله عليهم ما شرَّقـت شمس وما طلع الظلام جديدُ

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 98)

فيلحظ على النص أنه قد انطوى على دلالات عديدة وعميقة في الوقت ذاته وهذا ما توفره رحابة بحر البسيط التي تعكس رؤية الشاعر وأفكاره وحرصه على بيان كلّ ما من شأنه أن يبصر الناس على طريق الحق، فجاءت تفعيلات النص متنوعة بعيدة عن التكرار والرتابة والتكلف اللغوي؛ فعلى سبيل المثال نجد تفعيلات العروض في النص (فبدا، دانية، دبما) مخبونة (فعلن) وكذلك تفعيلة الضرب (يزل، شغل، أمل) مخبونة (فعلن) فأحدث بذلك رنة موسيقية تأخذ طريقها إلى الأسماع بانسيابية ولطف، وتتسلل إلى القلب بهدوء.

أما القوافي فقد عمد الشاعر في تشكيل قوافي الشعر الشيعي إلى إعمال القافية المطلقة دون المقيدة، وكان حروف رويها عشرة حروف وهي (الميم، الباء، اللام، الفاء، الدال، القاف، النون، الهمزة ، الراء، السين)، والحركات الأساسية لقوافيه هي الكسرة والضمة، ونادرا ما يوظف حركة الفتحة ؛ ولا عجب في ذلك إذا ما علم الباحث أن الشاعر يدعو إلى ما يحرك الضمائر ويستميل العقول؛ ليفتح آفاق التفكير ويثير التساؤلات ؛ لأن دلالة الكسرة اللطف والرقة والليونة، أما الضمة فتدل على الفخر والتباهي (الطيب، 1989م، صفحة ص: 88) والحديث بهذه اللغة (اللين والفخر) أداة ضرورية في مخاطبة الناس، فالمعروف أن الناس يجذبها اللين وتنفر من العنف وتنبذه، كما يثيرها الفخر ويجذب انتباهها. وتتضح الرقة في النص كاملا مما يعضد دلالة القوافي؛ إذ أن المفردات (وسيلتي، حبهم، صلى الإله عليهم) توحي بالتعلق الروحي والارتباط العاطفي وترسم صورة الوفاء والخضوع والتقدير، ومن جانب آخر تكشف عن اعتزاز الشاعر وفخره بنفسه لهذا الولاء والحب لأفضل خلق الله عزّ وجل الذين فاق فضلهم فضل العالمين جميعا و(هيهات) أن يعد أحد مناقبهم، وهذا مدعاة للفخر فمحبتهم متأصلة (تليد) ومتجددة (طارف) في نفس الشاعر.

<u>في الموسيقى الشعرية الداخلية:</u>

تعد الموسيقى الداخلية ركيزة من ركائز مقومات الموسيقى الشعرية؛ إذ أنها تغني النصوص الشعرية بالإيقاعات الصوتية المختلفة بوساطة انتخاب مجموعة من المفردات والحروف وتفاعلها في نظام لغوي وصوتي متوازن بين عناصر النص ومتناغم مع تجارب الشاعر وحالاته الشعورية، ومن ثم فأن (الموسيقى الداخلية) مرآة الشاعر التي تحفز الشعور والانفعال لدى المتلقي. (الغذامي، 1998، صفحة ص: 25 ، 26).

تقوم الموسيقى الداخلية على مجموعة من الأدوات الفنية كالجناس والطباق والتكرار والسجع والمقابلة وغيرها، وما يهم البحث هنا الأساليب المتبعة من قبل الشاعر مزيد الحلي في توليف موسيقاه الداخلية لنصوصه الشعرية، فعند تتبع الباحث لشعره يجد أن من أكثر الأدوات الفنية التي اتكأ عليها الشاعر هي (التكرار والجناس والطباق) لتوليد الإيقاع والتناغم بهدف التركيز على فكرته وإحداث تأثير مكثف في نفس السامع.

وللوقوف على مظاهر التكرار المعتمدة من قبل الشاعر يكفي أن يطّلع الباحث على نص شعري واحد ليجد حشودا كثيرة من التكرار على مستوى الكلمات، والحروف كما سيتبين من النص المقتطع من قصيدة (أجلى الصباح جبينها)؛ إذ ورد اسم الإشارة (هذا) احدى وعشرين مرّة والضمير (هو)عشر مرّات وحرف (الكاف) خمس مرّات وكلمة (ابن) أربع مرات وحرف الشرط (لو) أربع مرّات وكلمة (علموا) مرّتين وحرف (أن) مرتين محاولا فيها التركيز على بيان مكانة الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فيقول:

هذا هو العذب الفرات وما ... يتجرعــون فإنــه المهــلُ
هذا ابن فاطمة ودعوتــه ... في الخلق وهو لما دعي أهــلُ
هذا ابن حيدرةٍ رقـــى ... في الأرض حتى في السما يعلــو
هذا هو النجل الشهيــد وذا ... لعلي وجعفر وابنــه نجــلُ
هذا ابن إسماعيل ليس لــه ... فيمن تقدَّم عصــره مثــلُ
هذا كآدم في الأنام فهــل ... تلقى لآدم غيــره شكــل
هذا كنوح في سفينتــه ... والخلق في طوفانه ظــلُّ
هذا كإبراهيم مذ عدلــوا ... عنه إلى نمرودهم ذلُّــوا
هذا كداؤد الذي سجــدت ... معه الجبال وطيرها الهــدل
هذا سليمان وخاتمــه ... لما دعت لجنوده النمــل
هو كموسى والعصا بهــا ... فينا يهشُّ وفيهم العجــلُ
هذا مسيح العصر لو عقلــوا ... لكنَّ تولَّى عنهم العقــلُ
هذا الوصي الطهر لو علمــوا ... لكنَّ حشو صدورهم غــلُّ
هذا السلالة من نزار فمــن ... عرف الجميع فأنه الكــلُّ
هذا الصراط المستقيم لنــا ... هذا هو الميزان والعــدلُ
هذا هو التنزيل لو علمــوا ... هذا هو التأويل والفصــلُ
هذا كتاب الله لو فطنــوا ... هذا هو التحريم والحــلُّ
هذا أمير النحل فاعتبــروا ... قولي وشيعته هم النحــلُ
هذا هو الحق المدان بــه ... لله وهو الأمر والفضــل

(الأسدي، 1998، الصفحات ص: 86- 87.)

وبذلك التكرار وفي مقدمته اسم الإشارة (هذا) عزز الشاعر الإيقاع الموسيقي المتناسق والمتوازن بخلق نمط صوتي متكرر يشبه النبض الإيقاعي الفخم المتناسب مع الدعوة إلى التوجه والالتحاق بمن هم خير البشر، فأسس وحدة موسيقية تلفت الانتباه وتثبته دون أن يحدث التكرار أدنى رتابة، خدمة للمعنى فضلا عن الجانب الجمالي.

ومن الأدوات التي وظفها الشاعر في شعره لتحقيق الجرس الموسيقى هي أداة الجناس، والجناس الناقص هو أكثر ضروب الجناس استثمارا في نصوص مزيد الشعرية ويأتي الجناس الاشتقاقي في المرتبة الثانية من حيث التوظيف، ثم الجناس التام وهو أقل من الضربين السابقين في شعر مزيد. وقد يجمع ما بين الجناس الناقص والاشتقاقي في نص واحد كما في قوله:

قوم هم شرف القصيد ونظمه ما إن نبا بالأصغرين قصيـد

السابقون المدركون بسبقهم والسادة الغرُّ الكرام الصيـد

الناطقون الصادقون بنطقهم ما جاء فيه الشرع والتمديد

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 95.)

يتضح الجناس الناقص من اللفظتين (القصيد / قصيد/ الصيد) في اللفظة الأولى تعنى الشعر فأهل البيت أينما ذكروا تشرف الشعر بذكرهم، والثانية تعني الجملة الشعرية، وبين اللفظين اختلاف جزئي في المعنى واختلاف في الحركات إذ جاءت اللفظة الأولى بالكسر والثانية بالضم، أما الصيد فتعني الشرف والنبل في الأخلاق. وهذا التقارب في الأصوات قد أحدث انسجاما صوتيا خفيفا على الأذن كسر الرتابة ورسخ المعنى، في حين تمثل الجناس الاشتقاقي في الألفاظ (السابقون / بسبقهم والمشتقة من الجذر (سبق)، الناطقون / بنطقهم والمشتقة من الجذر (نطق)) وتكرار الجذر يعطي ترددا صوتيًا يساعد في تعزيز إيقاع الأبيات ويمنحها نغمة سمعية جاذبة تثري الدلالة وتبرز العلاقة بين المعاني عبر الموسيقى الموحية.

ومن الجناس التام قولة:

أيعود مزيد ويك عمًّا قالـه كلّا، ولكن هل لذاك مزيد

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 98.)

فالجناس التام يتمثل في كلمة (مزيد) الواردة في الشطر الأول وكلمة (مزيد) الواردة في نهاية الشطر الثاني فالأولى اسم الشاعر والثانية بمعنى الزيادة على الشيء وقد أضفى الجناس إيقاعًا موسيقيًا مميزًا، تتكرر فيه اللفظة من دون أن يشعر المتلقي بالملل؛ بل يطرب سمعه لتذوق الإبداع الفني، والإحساس بجمال اللفظ، والإيقاع والدلالة.

أما الأداة الثالثة من الأدوات التي اتكأ عليها الشاعر في تكوين الموسيقى الداخلية للشعر الشيعي فهي الطباق، ومنه قوله:

ضلُّوا وهل يهتدي من ضلَّ في طرقٍ لم يهتدوا بدليلٍ يعرف الطرقا

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 77.)

والطباق في (ضلّ / يهتدي) هو طباق إيجاب أنتج تباينًا في النغمة الموسيقية، الأمر الذي منح البيت إيقاعًا داخليًا مترددًا بين النفي (الضلال) والإثبات (الهداية) وبين المفخم والمرقق مما زاد في فاعلية المعنى والموسيقى في آن واحد.

والسجع أداة أخرى عمد الشاعر إلى توظيفها في الشعر الشيعي ويتضح ذلك في قوله:

استيقظوا واستجيروا فيه واتصلوا واستبطنوا تستبينوا واطلبوا تجدوا

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 75.)

يظهر البيت السابق توافق صوتي في نهاية الألفاظ يتمثل في (الواو) وهذا التكرار الحرفي أضاف إيقاعًا جماليًا عبر تحقيق التوازن النغمي بين الأفعال، وتعزيز التموج الإيقاعي، وهو ما جعل البيت الشعري أكثر سلاسة وانسجامًا صوتيًا،

وفضلا عن الجانب الجمالي الذي وفره التوازن الداخلي بين الجمل، فأنه قدم خدمة جليلة للمعاني؛ إذ ساعد في إبراز المعنى وتوضيحه، وسهل تسلسله في ذهن المتلقي.

في الصورة الشعرية:

تعد الصورة الشعرية لبنة مهمة في التشكيل الشعري وهي قلب التجربة وترجمان العاطفة وروح المعنى يبدعها ذهن الفنان بوساطة مدخلات فكرية وجمالية، يستحوذ العالم المحسوس على الصدارة، إلى جانب الأبعاد النفسية والعقلية التي لا يمكن تجاهلها، وإن كانت الصور الحسية أكثرها وفرة. (البطل، 1981، صفحة 30) وعند تفحص الشعر الشيعي في شعر مزيد الحلي للوقوف على الصور الشعرية والتعرف على جوانب الإبداع في التعبير عن تجربته الفكرية والشعورية. يتمثل أمام الدارس لوحات فنية رائعة رُسِمت بأسلوب بارع وأداء متقن، اتكأ الشاعر في تشكيلها على أدوات بلاغية عديدة، أبرزها التشبيه والاستعارة والكناية بهدف تكثيف الدلالة وإيضاحها بطريقة مختصرة وبليغة إلى جانب إبراز حيوية الصور الشعرية وتأثيرها في إثارة خيال المتلقي. وها هو يشحن النص بوساطة تشبيهه:

وأفهم الناس عن غيٍّ برقدتهم فأصبحوا كدواب الرعي للعشب

(الأسدي، 1998، صفحة 66)

بطاقات دلالية مكثفة، ويشكل صورة جميلة موحية؛ فالناس في غفلتهم(برقدتهم) وابتعادهم عن الفهم والوعي جعلهم الشاعر بمثل مرتبة البهائم (كدواب الرعي للعشب) لشدة ارتباطهم بالشهوات المادية فقط، ومن ثم فإن (الناس) أصبحوا أسارى لغرائزهم، الأمر الذي أعمى بصائرهم فانحرفوا عن سبيل الحق (الإمامة).

وكذلك اسهمت استعاراته في إضفاء قوة تعبيرية على النصوص الشيعية معززةً من جماليتها الفنية وجاذبيتها التصويرية، مما أسفر عن تشكيل صورا ذهنية نابضة بالحياة تترسخ بعمق في وجدان المتلقي. ومن استعاراته المكنية

ولو أشار إلى الأفلاك منتدبًا لفارقت جزعا من بأسه الأفقا

أو رام أن يهلك الدنيا وسالكها بسيفه مدت الدنيا له عنقًا

(الأسدي، 1998، صفحة 77)

قوله:

الذي جعل فيه (الأفلاك) كائن حي يشعر بالخوف والجزع ولا سبيل لها إلا الهروب من عظمة ممدوح الشاعر الإمام (صاحب الزمان) فحسبه أن يهيأ نفسه لأمر ما دون قتال أو عنف فيفر الأفق وتجزع السماء من شدّة هيبته وبأسه، كما أن (الدنيا وسالكها) من المخلوقات جميعا تشعر بالضعف والهوان أمام سيف الممدوح، وليس أمامها أيّ خيار سوى الخضوع والإذعان التام، فتمدّ عنقها للذبح، وبهذا التصوير القائم على تحويل المجرد إلى محسوس أستطاع الشاعر تجسيد المعنى ومنحه طابعا دراميًا مهيب يعزز السيطرة المطلقة في ذهن المتلقي.

وفي موضع آخر وظف الاستعارة التصريحية لبيان شرعية الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) وزيف السلاطين والملوك فيقول:

فهو الضياء وكلُّ فيءٍ زائلٌ وهو البقاء وكل شيءٍ فاني

(الأسدي، 1998، صفحة 80)

أظهرت الاستعارتان (فهو الضياء) (وهو البقاء) أبعادًا دينية وعقائدية وجمالية تتجاوز المدح الظاهري إلى مضامين تتصل بروح التصور الإمامي للوجود والقيادة الإلهية، تؤكد على أهمية الإمام(عجل الله تعالى فرجه) ووظيفته التي خصها الله عز وجل بها؛ إذ أنه النور الذي لا يخفت والهداية التي لا تزيغ والبقاء الذي يمحو بضيائه كل زيف، ورسمت صورة إيحائية تنفجر منها شحنات دلالية عميقة تبعث على التفكير والتأمل والتمييز بين ما هو حقيقة وما هو ضلال وزيغ.

ومن الأساليب الفنية التي استعان بها الشاعر في تشكيل المشهد التصويري توظيفه للكناية بما تحمله من إيحاء ورمزية تغني المعنى وتعمق الدلالة ومنها في قوله:

وهذا ولما رأيت النفس في عدم جهدتُ سعيًا وجدي منتهى الطلبِ

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 66.)

فقد عبرت الكناية (لما رأيت النفس في عدم) عن تجربة وجدانية تتمثل في الشعور بالضياع والفراغ وحالة التيه الداخلي، بفعل البعد عن طريق آل محمد (صلوات الله عليهم)، وادراك الشاعر سبب تلك المعاناة النفسية التي دفعته إلى السعي(جهدت سعيًا) الحثيث لتحقيق النجاة والالتحاق بركبهم عليهم السلام، وهذا التحول من السكون (العدم) إلى الحركة (السعي) قد منح النص حركة ديناميكية أظهرت المشهد وكأن الشاعر نهض من سبات روحي إلى يقظة عنيفة حررت النفس من فقدان المعنى ومهدت للوصل إلى الهدف الأسمى والحقيقي إلا وهو الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

<u>في التناص:</u>

ولما كان التناص يهدف إلى فتح حوارية تفاعلية بين النصوص المختلفة ، فإنه يعدُّ آلية مركزية في توظيف تلك النصوص بشكل إبداعي يفضي إلى انتاج معان جديدة (البادي، 2009، صفحة 30) تعزز من ثراء النص وتعمق أبعاده الدلالية والجمالية، الأمر الذي يمنح الشاعر الحرية في تشكيل النصوص بما يخدم أفكاره وعواطفه، وبذلك يعدّ التناص أداة فعالة مكنت الشاعر مزيد من التعبير بعمق عن رؤاه وجسدت المضامين الفكرية والوجدانية في الشعر الشيعي.

اعتمد الشاعر في بناء نصه ورسم الصور الشعرية على القرآن الكريم، والحديث الشريف والروايات مستعينًا بها كمصادر أسياسية للتناص، وعمد إلى توظيف أسلوبي التناص المحور والتناص الامتصاصي بمهارة؛ ليخلق تفاعلًا حيويًا بين النصوص المقدسة ونصه الشعري، مما أضفى عليه عمقًا دينيًا وثقافيًا ثريًا، فضلًا عن توسيع آفاق الدلالة.

ومن أمثلة التناص المحور في شعره الشيعي قوله:

ما مرج البحرين ما برزخ بينهما لو كنتم تعلمــون

....

مالنور مالمشكاة ماذلك الكوكب مالمصباح لو يسألون

نور على نور ليشقى به قوم ويحظى بالهدى آخـرون

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 100)

يتضح من العبارات الواردة في النص أن الشاعر قد استلهمها من مواضع عديدة في القران الكريم ؛ إذ وردت عبارة (مرج البحرين مابرزخ بينهما) في سورة الرحمن **{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ}** (الرحمن:20.19) ، وكذلك قول الشاعر(مالنور مالمشكاة ماذلك الكوكب مالمصباح) استدعى ما ورد في قوله تعالى: **{مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا**

مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ... نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ} (النور:35) يظهر على صياغة النص الشعري الاقتباس المحور دون الاقتباس المباشر؛ لتكشف عن براعة فنية في تفكيك النص القرآني وإعادة تركيبه في قالب تساؤلي، يحمل طابع التأمل والتقديس، وقد أسهم هذا البناء في ترسيخ المفاهيم العقدية ، مبرزًا قدسية النبي الأكرم وأهل بيته عليهم السلام ، فمرج البحرين هم علي وفاطمة عليهم السلام (الطباطبائي، صفحة ص: 118)، كما أن النبي محمد وآله عليهم السلام هم المشكاة والمصباح؛ أي أنهم الدلالات والآيات التي تقود إلى التوحيد وتضيء سبل مقاصد الدين. (الطباطبائي، صفحة ص: 152)

ومن التناص المحور قوله :

قال الإمام حديثا صـح وارده — عن الثقات وأهل النور والحجب

لو خلت الأرض يوماً من مثبتها — لمادت الأرض والأفلاك بالقطب

وقال من مات منكم ثم ليس له — علم به مات كالمجهول في الحقب

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 66.)

ففي هذا المقطع الشعري يتجلى التناص المحور مع القول الوارد عن الإمام الرضا عليه السلام **" لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها"** (المجلسي م.، 1983، صفحة ص: 29) وكذلك أخذ البيت الأخير من القول المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله **:"من مات لايعرف إمامه مات ميتة جاهلية"** (المجلسي م.، 1983، صفحة ص: 78) وفاعله مع نصه بأسلوب التناص المحور. جاء الشاعر بهذه النصوص الدينية وأعاد بنائها ضمن بنية شعرية تبرز ارتباط وجود الإمام على الأرض بالعالم العلوي الرباني، إذ أن الإمام يمثل قطب الوجود الي تنتظم به الحياة والكون، وعدم معرفة المرء بإمام زمانه يعني غيابه عن ذلك التنظيم الذي يقود إلى النور الإلهي، ومن ثم فأنه يتيه عن مسار ذلك النور غارق في الظلام العقائدي ، فيكون موته موت فراغ وانطفاء لا انتقال إلى رحمة. وبذلك أسهم التناص في توليد خطاب شعري يتجاوز الانفعال إلى التأصيل المذهبي، مما يجعل النص الشعري أداة للتربية والبيان. فالشاعر لايكتفي بسرد النصوص؛ بل يسعى لهز وجدان المتلقي وإيقاظ ضميره ليصحح مساراته ويهديه الطريق المستقيم، ولذا يجده الباحث يوظف أنماط عديدة من التناص، ويستدعي نصوصا كثيرة في نصه الشعري، فيأتي(النص الواحد) مشبعًا بالتناص وزخرًا بالمرجعيات التي تعزز الأبعاد المعنوية والفكرية كما في قوله:

وأقام في يوم الغدير وصيّه — قد زانه التقديس والتمجيد

وأتاه جبرائيل عن رب السما — بَلّغ فما دون البلاغ محيد

فبدا يجمعهم وحين تجمعـوا — بانت من الحقد العظيم كمود

من كنت مولاه فهذا حيـدر — مولى أشاد بفضله المعبود

أنا للعلوم وللنبوة فيكمـو — دار وهذا الباب والأقليـدُ

وهو السفينة من يسير بها نجا — وإذا تخلّف للفلا يعـود

أرضيتم قالوا نعم وقلوبهـم — فيها لآل بني النبي حقـود

وثبوا إلى سوق النفاق فأضرموا ... ناراً لها تحت الدخان وقود

وابتزت الزهراء فاطم إرثهـا ... فدكاً وكانوا عصبة وعبيد

قالوا نبيُّ لايورث ولـــده ... كذبوا فإن مقالهم مـردود

ماكان زكريا يورث ابنــه ... يحيى ولكن ابنــه داؤد

(الأسدي، 1998، صفحة ص: 96)

تقوم هذه الأبيات على شبكة من التناص وهي مزيج ما بين التناص المحور والتناص الامتصاصي، فمن المحور قوله: (من كنت مولاه فهذا حيدر مولى)؛ فقد فاعله مع قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في حادثة الغدير: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه" (ابن حنبل، صفحة ص: 71) كما امتص من صياغات قرآنية وذلك في قوله: (وأتاه جبرائيل عن رب السماء.. بلغ فما دون البلاغ محيد) فقد استلهمه من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (المائدة، صفحة آية: 67)، وكذلك في قول الشاعر: (أنا للعلوم وللنبوة فيكمو.. دار وهذا الباب والاقليد) امتصه من الحديث النبوي الشريف:" أنا مدينة العلم وعلي بابها) (الحاكم النيسابوري، 2018م، صفحة ص: 591) وقوله الذي اتكأ فيه على التناص المحور: (هو السفينة من يسير بها نجا.. وإذا تخلف للفلا يعود) فقد فاعله مع الحديث النبوي الشريف:" مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق" (الحاكم النيسابوري، 2018م، صفحة ص: 672) كما صور التباين بين القول والفعل بعد الغدير في قوله: (أرضيتم قالوا نعم وقلوبهم فيها لآل بني النبي حقود) وهو تناص امتصاصي مع مواقف المنافقين الذين بايعوا ظاهريًا، وكتموا بغضهم يحاكي صياغة مقاطع قرآنية صورت حال النفاق كقوله تعالى: {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} (عمران، صفحة آية: 167) وقد اتكأ الشاعر أيضا في بناء نصه على التضمين من الروايات كقوله: (وثبوا إلى سوق النفاق فأضرموا.. ناراً لها تحت الدخان وقود) الذي أخذه من رواية الأحداث التي جرت على الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله (الطبرسي، 1380هـ، الصفحات ص: 85- 115) وفي العبارة (قالوا نبي لا يورث ولده) تناص فيه مع القول المنسوب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله : " لا نورث ما تركنا صدقة" الذي قيل للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، حين طالبت بإرثها (فدك) (ابن حجر العسقلاني، 2001م، صفحة ص:7) وردَّ الشاعر على ذلك ما ذكره أبو بكر في (أن ولد الأنبياء لا يورثون) على ما جاء في القرآن الكريم (أن نبي الله سليمان ورث أباه النبي داود عليه السلام) فقال الشاعر: (ما كان زكريا يورث ابنه يحيى، ولكن ابنه داود) ؛ إذ امتص حجته من الآية الكريمة {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ} (النمل، صفحة آية: 16) وبذلك أسهم توظيف الشاعر للنصوص الدينية في تجاوز حدود النص المغلق، مما أضفى على نصه الشعري عمقًا دلاليًا وأثرًا فنيًا واضحًا. كما منح هذا التشارك والاستثمار أفكاره الشاعر ورؤاه مشروعية نابعة من الاستناد إلى المرجعيات الدينية. فجاء منسجمًا مع طبيعية الرسالة التي يحملها الشاعر، والتي دفعته إلى التفاعل مع النصوص الدينية بطريقة تكشف عن وعي فني وعبقرية إبداعية.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة وبعد المسار المعرفي الذي حاول البحث فيه استقصاء الجانب الشيعي في شعر الشاعر مزيد الحلي من مختلف جوانبه نورد أهم النتائج التي برزت عبر التمحيص والاستقراء:

- تغلغلت المفاهيم العقائدية في شعر الشاعر حتى غدت سمته البارزة وطابعه الأصيل.

- قام شعر مزيد على دعوة صريحة لتحرير الوعي، والبحث عن الحق المتمثل باتباع آل البيت عليهم السلام.

- ركزت مضامين شعره على المديح للنبي محمد وآله الأطهار صلوات الله عليهم، فهم النور المنقذ من الحيرة والضلالة، وهم سبل النجاة من حودث الدنيا وأهوال القيامة، وبيان فضلهم وعلو مكانتهم، وتسليط الضوء على كرامات العظيمة التي حباهم الله بها مثلما حبا الأنبياء والرسل.

- أما أدواته اللغوية فقد جاءت سهلة وبسيطة بعيدة عن التعقيد والتكلف متلائمة مع موضوعه (التشيع) مدركة لتفاوات إدراك الناس واستيعابهم لما يدعو إليه.

- على مستوى الموسيقى الخارجية فقد نوع الشاعر في البحور، وجاءت أغلب قوافي شعره الشيعي مطلقة وظف فيها عشرة أحرف وفقًا لما تقتضيه رسالته، كما مارس أدوات الجناس والطباق والتكرار والسجع في الموسيقى الداخلية، فحقق نغمًا موسيقُا عذبًا ومتجانسًا أغنى شكل النص وعمق المعنى.

- وفي رسم الصورة الشعرية للشعر الشيعي عمد الشاعر إلى أدوات بلاغية كالتشبية والاستعارة والكناية وجاء توظيفه لها بمهارة وجمال، يحرك الخيال ويمنحه أجنحة التحليق، حتى تبدو الصورة الفنية وكأنها مجسّدة أمام ناظري المتلقي.

- وفي مجال التناص ، لجأ الشاعر في رسم الصورة الشعرية إلى استلهام نصوص القرآن الكريم، والحديث الشريف، والروايات، بوصفها مصادر دينية أساسية صاغ منها نصه مضمونًا وشكلًا. وقد توسل بأسلوبي التناص المحور والامتصاصي، مما أوجد تفاعلًا حيًّا بين النصوص، وأضفى على نصه بعدًا حجاجيًا وشرعية دلالية.

المراجع:

القرآن الكريم. (بلا تاريخ).

أبو بكر عبد القاهر الجرجاني. (بلا تاريخ). دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي.

أبو جعفر محمد بن علي شهر آشوب المازندراني. (1991م). مناقب آل أبي طالب، ج 2 (المجلد 2). دار الأضواء.

أبو نصر محمد محمد الفارابي. (بلا تاريخ). الموسيقى الكبير، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة. تأليف أبو نصر محمد بن محمد، الموسيقى الكبير. القاهرة: دار الكتاب العربي.

أبي الفتح عثمان بن جني. (بلا تاريخ). الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار. دار الكتب المصرية.

أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني. (2001م). فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ج 12. الرياض.

الإمام أحمد ابن حنبل. (بلا تاريخ). مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 2. مؤسسة الرسالة.

الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم النيسابوري. (2018م). المستدرك على الصحيحين ج 5. دمشق: دار الرسالة العالمية.

الخبير أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي. (1380هـ). الإنتاج ج 1 (المجلد 1). انتشارات الشريف الرضي.

السيد محمد حسين الطباطبائي. (بلا تاريخ). الميزان في تفسير القرآن.

حصة البادي. (2009). التناص في الشعر العربي الحديث - البرغوثي نموذجا -. دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع.

خير الدين، ج 7 الزركلي. (2002). الأعلام (المجلد 15). بيروت: دار العلم للملايين.

ديوان مزيد الحلي الأسدي. (1998). يوان مزيد الحلي الأسدي. بيروت: دار الأضواء.

شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي. (بلا تاريخ). معجم البلدان؛ ج 2. بيروت: دار صادر.

ص: 42. (بلا تاريخ).

عبد الله الطيب. (1989م). المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها (المجلد 2). مطبعة حكومة الكويت.

عبد الله محمد الغذامي. (1998). الخطيئة والتكفير من البنوية إلى التشريح (المجلد 4). الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

علي البطل. (1981). الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها. دار الأندلس.

محمد باقر المجلسي. (1983). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ج 39 (المجلد 3). بيروت: دار إحياء التراث.

محمد صادق محمد الكرباسي. (2011م). الأوزان الشعرية (العروض والقافية). بيروت، كربلاء: بيت العلم للنابهين، مكتبة دار علوم القرآن.

محمد علي الهاشمي. (1991). العروض الواضح في علم القافية (المجلد 1). دمشق، بيروت: دار القلم.

مصطفى غالب. (1964). أعلام الإسماعيلية. بيروت: دار اليقظة العربية للتأليف والنشر.

الهُوِيَّةُ التَّعْرِيفِيّةُ لِلبَلَاغَةِ العَرَبِيَّة فِي مُصَنَّفَاتِ المُعَاصِرِينَ، مَشرُوعُ شَيخِ البَلَاغِيينَ- مُحَمَّد أبو مُوسَى- أنمُوذَجاً

The Identity of Arabic Rhetoric in Contemporary Works: The Project of the Sheikh of Rhetoricians, Muhammad Abu Musa, as a Model

هدى صيهود زرزور العمري [1]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract

The features of Arabic rhetoric have become confused amidst the turmoil of renewal movements and modernization processes influenced by Western rhetoric. Its defining identity has become diverse, distorted, its origins lost, and it has been subjected to attacks from every angle. This is the most important reason for research and exploration into the established defining identity of Arabic rhetoric,

establishing its roots, which extend deep into Arab history, and refuting the attacks that have targeted it by proving evidence and methodological scientific proof. Thus, the chosen field of application for our journey is the works of contemporary scholars, thinkers, and researchers, and analyzing opinions. The theses, which included theoretical and practical critical discoveries, confirmed this identity and defined its features and trends, relying on the matrix of critical rhetorical opinions and judgments adopted by the Sheikh of Rhetoricians, Professor Dr. Muhammad Muhammad Abu Musa, as a methodologically innovative foundation suitable for all times. Hence, our research was titled "The Identification of Arabic Rhetoric in Contemporary Works, The Project of the Sheikh of Rhetoricians Muhammad Abu Musa, as a Model." From its theoretical introduction to its conclusion, the research endeavored to employ contemporary rhetorical critical opinions to unify the features of the identity of Arabic rhetoric.

Keywords: *Contemporary Arabic Rhetoric - Muhammad Abu Musa - Identity - Authenticity And Renewal - Cognitive Belonging.*

http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2-11

[1] Assist. Dr. Prof. Huda saihood Zarzor ALOMAR, Department of Religious Education and Islamic Studies, Sunni Endowment Diwan, Iraq hudasuhood19731973.com@aol.com

الملخص:

اختلَطتْ مَعالمُ البَلاغَةِ العَربية فِي زَحمةِ الحَركاتِ التّجديدِيةِ، والإجراءات التّحديثيّة المتأثّرةِ بالبَلاغةِ الغربيّة وتعدَّدت هُويّتِها التّعريفيّة، وأصابها التشويهُ، وضاعت أصُولها، وطَالَتها المَطاعِنُ من كُلّ وجهةٍ، فكانَ هذا أهمّ الأسباب الدّاعيّة للبحثِ والتنقيبِ عن الهُويّةِ التّعريفيّة الرّاسخة لِلبلاغةِ العربيّة، وتأصيلِ جذورها الممتدة في عُمقِ التاريخ العربيِّ، وتَفنيدِ المَطاعِنِ التي طالتها بإثباتِ الشواهدِ والأدلّة العلمية المنهجيّة، فكانَ اختيارُ الميدانِ التطبيقيّ لرحلتِنا هو مصَنّفاتُ العلماءِ والمفكّرينَ والباحثينَ المُعاصرين، وتحليلُ الآراءِ والطروحات التي تضمّنت كشوفاتٍ نقديّة نظريّة وعمليّة، أكّدت تلك الهُويّة وعرَّفت ملامِحَهَا واتّجاهاتها، مستندينَ إلى مصفوفةِ الآراءِ والأحكام البلاغيّة النقديّة التي تبناها شيخُ البلاغيين الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى، بوصفها تأسيسٌ تجديديٌّ منهجيّ يصلحُ لكُلِّ زمانٍ .

من هنا وسِمَ بحثُنا ب(الهُوِيَّةُ التَّعرِيفِيَّة لِلبَلَاغَةِ العَرَبِيَّة فِي مُصَنَّفَاتِ المُعَاصِرِين، مَشرُوعُ شَيخِ البَلَاغِيينَ مُحَمَّد أَبُو مُوسَى، أُنمُوذَجَاً) واجتهدَ البحثُ بدءًا من المهادِ النّظريّ إلى خاتمتِهِ في توظيفُ الآراء النقديّة البلاغية المعاصرة لإعادة صياغةٍ موحّدَة لملامحِ هويّة البَلاغةِ العربيّةِ.

الكَلِمَاتُ المِفتَاحيّة: البَلاغةُ العَربيَّةُ المُعَاصِرة- مُحَمَّد أبو مُوسى- الهُويّة-الأصالة والتجديد - الانتماء المَعرِفِيّ.

المُقدِّمة:

لا يزالُ المُشتَغلُ في الحَقلِ البَلاغيِّ منذُ النشأةِ الأولى وإلى يومنا هذا يبحثُ عن إجابةٍ دقيقةٍ لسؤالٍ محوريٍّ مطروحٍ على الساحةِ في مصنّفاتِ العديدِ من العلماءِ المفكرينَ والباحثين في هذا الشّأنِ، لنبدأ بهِ مَساراتِ التّحقيقِ والتثبتِ، وهو:

ما ملامحُ البلاغةِ العَربيّة المُعاصِرَة؟ وماهي هويّتُها التّعريفيّة؟

وبعد أن تنبّهَ الباحثون للمُكوِّن المُهمَلِ مِن تراثنا البلاغيِّ، ذلك المكون الذي غطاهُ الصَّدأ واختلطَ تبرُه بترابهِ، جاءت على هذا الأساس محاولتُنا الإجرائية هذهِ لإعادةِ الاعتبار للبعدِ المعرفيِّ العام للبلاغةِ العربيّةِ، وقد عمَّقنا البحثَ في بعضِ الجوانب المهملةِ من الصياغةِ التّعريفية، والملامحِ الأساسيّة ، واقتضى كشفُ كُلِّ هذا الغنى تنسيقُ البلاغةِ العربيّة تاريخياً؛ ليكونَ ذلكَ النسقُ حجةً على أنَّ البلاغةَ التي نسعى لتعريفها ليست غريبةً عن التُراثِ العربيِّ، فكثيرةٌ هي المحاولات الجّادّة لِفَهمِ النّظام التعريفيّ العامّ للبلاغةِ العَربيّةِ، ومِن بينِ أهمِ تلك المُحاولاتِ وأرسخِها، وأبعدها أثرًا وتأثيراً، مصنّفاتُ شيخِ البلاغيين محمّد أبو موسى؛ ذلك لأنّها من أبدع الدراسات في مسيرة النظرية البلاغيّة العربيّة، فقد حوّلت الدّرس البلاغيِّ من منهجهِ شبه النّظريّ إلى منهجٍ تداوليّ تحليليٍّ يضعُ المعنى في المقام الأوّل، ومنهُ انطلقت البادِرةُ الأولى والحقيقية لتيسيرِ مفاهيمِ البلاغةِ العربيّة القديمةِ برؤيةٍ جديدةٍ تتناسبُ مع الواقع العربيِّ الرّاهن، تلكَ البادرة التي قادَ زمامها الشيخُ في مَتنهِ الموسوم ب(مُرَاجَعات فِي أُصول البَلَاغةِ العَرَبيَّة)كاشِفًا اللثام عن درجةِ الوعي المَعرفيّ في أمّةٍ من الأمم، وارتباطهِ أوثق ارتباطٍ بدرجةِ فاعليةِ لغتها، مُفسِّرًا قولَ الإمام عبد القاهر الجُرجَانيّ(ت٧٤١هـ)"إنّ العبارةَ لا يكونُ لها فضلٌ على العبارةِ إلاّ إذا كان فيها زيادةٌ في المعنى"[1]، وقولُه قبلُ: "إنّ فَضْلَ الكلامِ على الكلامِ لا يكون بمعناه"[2]، ليس بينهما تناقض؛ لأن المعنى الذي لا يَفْضُلُ به كلامٌ كلامًا هو الأغراضُ العامَّة والمعاني العقلية والأخلاقية، أمَّا المعاني التي تُوضَعُ في ميزان الكلام، ولا تَفْضُلُ عبارةٌ عبارةً إلاّ بزيادتها، فهي المعاني المستفادة من تأليف الكلام وتركيبه.

ونفهم ممّا سبقَ أنَّه لا يَفْضُلُ الكلامُ الكلامَ بمعناه، ولا يَفْضُلُ الكلامُ الكلامَ إلاّ بمعناه، عبارتان متناقضتان تمامًا؛ لكنَّ المرادَ بالمعنى مختلفٌ؛ فالمعنى في العبارة الأولى هو المعنى الأخلاقي والحِكْمي، وهو الأغراضُ العامَّة؛ مثل الشجاعة والصِّدق والكرم والخِسَّة والدَّناءة...وما شئتَ من المعاني التي عدَّها الجاحظُ-الإمامُ الفَذُّ(ت٢٥٥هـ)"مطروحةً في الطريق"[3]، أمَّا المعنى في العبارة الثانية فهو دلالاتُ الصِّيَغِ وتأليفِ الكلام ونَظمِ الكلام.

وهذهِ من القضايا البلاغيّة التي يُرى بأنَّ الأوائِلَ قد غمطُوها حقّها من العناية؛ وذلك بسبب انشغالهم بقرائِن المَباني دونَ المَعاني، وهكذا كانَت العديد من مُصنّفَاتُ البلاغيين المُعاصرين، وعلى رأسهم الدكتور محمّد العُمَريّ في متنهِ: (البلاغةُ العربيّةُ، أصولُها وامتداداتُها) الذي يُعدُّ خريطةً لتلكَ الأرضِ التي ضاعت من البلاغة في ظروف انكماشها، وهو يُعيدُ قراءةَ الجاحظِ في سياقِ مشروعهِ البَيانيِّ الخِطابيِّ، آخذًا بنظرِ الاعتبارِ بلاغةَ المناسبةِ والاعتدالِ عند ابن سنان الخفاجيِّ(ت٤٦٦هـ)في مقابل بلاغة الغرابةِ في أسرارِ الجُرجانيِّ، يُضاف لهُ قائِمةً طويلةً من المفكرين، الأساتذة المعاصرين، أمثال: مصطفى ناصف، وعبد الملك مُرتاض، وعبد الحكيم راضي، ومحمد عبد المطلب، وصلاح فضل، وسعد مصلوح، وجابر عصفور، محمّد مشبال، وعبد الله صولة، ومحمد العمريّ، وحمادي صمود، ومحمد الوليّ، وسعد العوادي، وعماد عبد اللطيف، وغيرهم كُثر .

وكانَ لزاماً أن نستَندَ في عرضِ منظومةِ الرُّؤى المعرفيّة التي عصفت متونَ مؤلفاتِ البلاغةِ العربيّة، إلى خُطّةٍ رصينةٍ جاءَ بعدَ مقدمتها هذهِ تمهيدٌ موسومٌ ب(تُخُومُ البَلاغَةِ العَربِيَّة، الهُويَّة والانتماء)، بتفريعاتهِ الثّلاثة، يتبعهُ عرضٌ تفصيليٌّ تحليليّ لأبعاد الهُويّة التّعريفية للبلاغةِ العرَبيّة المُعَاصِرة، ارتكزَ على محورينِ رئيسينِ، وكالآتي:

المِحوَرُ الأوَّلُ: بِناءُ الهُـويَّة فِي مُصَنَّفَاتِ البَلَاغِيينَ المُعَاصِـرِين

المِحوَرُ الثَّاني: فلسفةُ الهُويَّةُ البَلَاغِيّةِ مِن مَنظُورِ الدّكتور مُحمَّد أبُو مُوسَى

لِنصلُ في نهايةِ كلّ مبحث إلى نتائجَ تدعمُ انطلاقتنا الأولى وتؤيدها بالقبولِ والاعتماد الناشِئ عن جملةٍ من المصادرِ والمَراجعِ المتنوعة التي تُعدّ ذخيرةَ الباحثِ ومنظومتهِ الداعمة لوجهاتِ النظرِ المطروحةِ في جوانبِ الدّرسِ البَلاغِيِّ العَرَبِيِّ.

نسألُ الله تعالى التوفيقَ والسَّداد، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين .

التَّمهِيد: تُخُومُ البَلَاغِةِ العَرَبِيَّةِ، الهُوّيّة والانتِمَاء

أوَّلاً: الهُويَّة، مُقَارَبَةُ الحُدودِ النَّظرِيَّة

يكشفُ التّتبعُ الدقيق في الحدود النّظريّة لِمفهومِ الهُويّة أنَّ البحثَ فيهِ بحثٌ مزدوجٌ؛ إنَّهُ بحثٌ في الهُويَّةِ، وبحثٌ عنِ الهُويةِ، وكلاهما يختلفُ عن الآخر في موضوعهِ ف "البحثُ في الهُويَّةِ، بحثٌ معرفيٌّ، أمَّا البحثُ عَنِ الهُويّةِ فبحثٌ أيديولوجيٌّ غالباً، البحثُ في الهُويَّةِ بحثٌ صُنِعَ لهذه الهُويّةِ، ومتابعةٌ لصُنعِها باستمرار، أمّا البحثُ عنها، فيعني أنّ الهُويَّة منجزة؛ ولكنّها ضائعة يجب البحثُ عنها لاستردادها"[4].

يتضحُ مِن خلالِ هذا التمييزِ بين البحثينِ أنّ البحثَ فيها يكتسي طابعَ العلميّة، وهو ذو بُعدٍ فكريٍّ فلسفيٍّ، يرتكزُ على البحثِ في العامِّ والمشتركِ، أمَّا البحثُ عنها"أي: الهُويَّة، فهو لا يرقى إلى العَلمية؛ إنه بحث ذو طابع أيديولوجي ينمُّ عن انحيازٍ وموقفٍ، هُو بحثٌ عَن ملامح وخصوصياتِ هذه الهُويَّة (المختارة) التي يصنعُ لها تفاصيلُ وألوانٌ خاصة تستطيعُ أن تحتوي هذه الذات الضَّائعة المُمزَّقة، فهُو ببساطةٍ" تأكيدٌ للذات أكثرُ ممّا هو تحديدٌ للهُويَّةِ"[5].

ويذهبُ معظمُ الباحثين إلى أنَّ اسم(الهُويَّة)ليس عربياً؛ وإنّما كلمةٌ مولدة اشتقها المترجمون القُدامى من الضميرِ(هو) " أي حرف الرباط .. الذي يدلُّ عند العربِ على ارتباطِ المحمولِ بالموضوعِ في جوهرهِ، وهو حرفُ(هو)، في قولهم: زيد هو حيوان، أو إنسان، ولينقلوا بالتالي بواسطتها، وكما يقول الفارابيّ: المعنى الذي تؤديهِ كلمة(هست) بالفارسيّة، وكلمة(استين) باليونانية، أي: فعل الكينونة في اللغاتِ الهندو- أوربية[6]، الذي يربطُ بين الموضوعِ والمحمولِ، ثم عدَلوا عنها ووضعوا كلمة الموجودِ مكان(ال) هو، والوجود مكان الهُويَّة، و نجدُ ذكرَ المَفهومِ عند فلاسفةِ العربِ والمسلمين القدامى من أمثال: ابن رشد في " تفسير ما بعد الطبيعة " وابن سينا والفارابي، والجرجاني الذي عرفها ب" الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"[7]، وتلتقي تعريفات الفلاسفة المسلمين مع ما نجده عند فلاسفة اليونان القدامى خاصة أرسطو الذي يعرف الهوية باعتبارها: "وحدة الكائن، أو هي وحدة لتعددِ الكائنات"[8].

ثم إنَّ" انزلاقَ العربِ المعاصرين في استعمالِ لفظةِ(هُويَّة)من معناها الأنطولوجي لدى الكنديِّ، أو الفارابيِّ، أو ابن سينا، أو ابن رشد، إلى دلالتها الأنثروبولوجيّة والثقافيّة الرَّاهنةِ هُو ليسَ خطأً اصطلاحياً أو استعمالاً اعتباطيّاً؛ بل هُو يستجيبُ إلى نفسِ الدَّاعي الخفيّ الذي دَعَا المُترجمينَ العرب الأوائل إلى اعتمادِ ضميرِ(هو) لمقابلة "إستين" في اليونانيّ،

هذا الانزياح من(هو)النّحويّ، و الأنثروبولوجي إلى(الهو) الأنطولوجيّ لم يكن صدفة قط؛ بل يستجيب لفهمٍ سابقٍ على الأنطولوجيّ ثاوٍ عفواً في بُنيةِ اللغةِ العربيّة"[9].

ولمّا كانَ هذا حالُ الهُويَّةِ المُعبِّرةِ عن الانتماءِ والاتصالِ، فقد اعتبرتْ الشُّغلَ الشَّاغلَ لاهتماماتِ الباحثينَ والمفكرينَ على مَرِّ العصورِ، وقد عَالجها الفكرُ النَّقديّ المُعاصر بكثيرٍ من التحليلِ والتَّعمُّقِ والمُقاربةِ معَ العلومِ الإنسانيّة والتَّجريبيّةِ، فزادَ ذلك من تطورِ وتنوعِ مفاهيمها وفروعها، ويكشفُ الغوصُ في المَفهومِ الاصطلاحيِّ للهُويّةِ ارتباطَ لفظةِ "هُويَّة" لُغةً بالضمير (هو)؛ وهي تعني بالأصل اللاتيني (idem)، وقد أنتج هذا الأصل الصفةَ النعتية (identicus)، والتي تفيدُ الشَّبيهَ والمماثِلَ، وتُعارضُ الجُزءَ المُختلفَ والمتنوعَ والمغايرَ"[10].

ففي متونِ المُعجمات العربيّة جاءَت مادةُ(هـ- و-ى)، " هوة وهوى، والهُوّةُ: البئرُ ؛ قال أبو عمرو، وقيل: الهُوّةُ الحفرةُ البعيدةُ القعرِ، وهي المهواة الهوى العشق يكون في مداخل الخيرِ والشرِ، والهوي: المهوي؛ قال أبو ذؤيب : فَهُنَّ عُكُوفٌ كنوح الكريم، قد شَفَ أَكبَادَهُنَّ الهَوَي أَي فَقد المهوي، وهوى النفس: إرادتها، والجمع الأهواء"[11]، وفي التَّهذيبِ: قال اللغويون: "الهوى محبةُ الإنسانِ الشيءَ وغلبته على قلبه؛ قال الله عزَّ وجلَّ:{ونهى النفس عن الهوى}؛ معناه نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله عزَّ وجلّ" فالنفس راغبةٌ في الشيءِ الذي فُطرت عليه، و الدين كابحها"[12]، وأمّا في القاموس المحيط فقد جاءت اللفظة بمعنى "الهُوَّةِ والأُهْوِيَّةِ والهَاوِيَةِ، وَكُلُّ فارغ، والجبان، وبالقصرِ العشقُ يكون في الخير والشرِ، وإرادة النَّفْسِ والمَهْوِي وهَوَتِ الطَّعْنَةُ فَتَحَتْ فاها، و العُقابُ هُويًّا انقَضَتْ على صيد أو غيره"[13]، ووردت لفظةُ(الهُويَّة)في معجم تاج العروسِ" الهوى بالقصر العشق، وقال الليث: هوى الضمير، وقال الأزهريّ: هو محبةُ الإنسانِ للشيءِ وغلبتهُ على قلبهِ...، قال ابن سيده: يكون في مداخل الخير والشرّ، وقال غيره من تكلّمَ بالهوى مطلقاً لم يكن الاّ مذموماً حتى ينعتَ بما يخرجُ معناهُ، كقولهم: هوىً حسن، وهوىً موافقٌ للصوابِ، (و)الهوى: إرادة النفسِ، والجمعُ الأهواءُ"[14].

وبالإنتقالِ إلى المَعنى الاصطلاحيِّ لِلفظةِ(هُويَّة)نجدُ من الصعوبةِ بمكان ربطُ هذا المَفهومِ بدلالةٍ محدّدةٍ، وهذا يستغرقُ النظرَ في المفاهيم العامّة، التي تُملي علينا اختيارُ الاصطلاحِ الدّقيق الذي يتناسبُ معَ العلمِ المُراد تعريفُه وتحديد هويّتهِ، فأنبنى على ضوءِ ذلكَ ضبطُنا لمعنى الهُويّة، انطلاقاً من الطبيعيةِ الوظيفيّة التي تهيمنُ عليها عِبرَ كُلّ المحطاتِ، فكانَ أبرزَ المَفاهيمِ التي قدّمها الباحثون الذين اهتموا بوضعِ مفهومٍ محددٍ وشاملٍ لمسارِ الهُويّة والعواملِ المُؤثّرة فيها ذلكَ المفهومُ الذي قدّمهُ أحدُ الباحثين تقديمًا شموليًا على أنّها"نظامٌ متكاملٌ ينمو ويتطور لينتجَ كياناً روحياً انفعالياً يشتدُ فيهِ النزوعُ إلى المعطى الإيديولوجي والتّوجه العرفيِّ والاجتماعيِّ والدينيِّ، الذي تقومُ عليهِ الجماعة"[15]، وهنا ربطَ تحديدَ مفهومِ الهويةِ بالعودةِ إلى فعلِ المطابقة(Communauté)، الذي هو مبدأ إلحاق الشيءِ بالشيءِ على سبيلِ التماثل والتداخلِ الأدائيِّ والتركيبي؛ أي التآلف الماديّ والمعنويّ المرتبطِ بالعلاقاتِ والحدودِ، فالتماهي والتطابق في الهُويّةِ يقومُ على اعتبار"الأصل والنوع من الحدود العامّة للهُويّةِ"[16]، وإنَّ إن كلَّ حديثٍ في المفهوم العام، الجمعيِّ والبسيط عن الهُويّةِ يستدعي حضورَ مجموعةٍ من العناصر يضعها أسساً تقوم عليها الهُويّةُ، وهي: اللّغةُ، الدينُ، العادات والتقاليد، والبقعةُ الجغرافيّة، فالهُويّةُ بهذا المعنى تعني: مجموعُ السّماتِ الاجتماعيّةِ، والثقافيةِ والحضارية المميّزة لجماعةٍ، أو نوعٍ أو نظامٍ، أو بناءٍ مُعين، والهُويّةُ بهذا المعنى تطالُ مستوياتٍ عدَّة، وتشملُ مكوّناتٍ عِدَّة، أي أنّها مفهومٌ واسعٌ يشملُ النشاطات البشَريّة، والمَعرفيّة، ويندرجُ عبرَ مستوياتِ: الهُويّةُ البيولوجيّة، الهُويّةِ القوميّة، والهُويّةُ الثقافيّة، الهُويّة المَعرفيّة.

يُحيلنُا هذا الطّرح إلى مفهومنا المتوخّى من البحثِ وهو(الهُويَّة المَعرفِيّة)المستندة إلى عربيّة البلاغةِ بوصفها علماً شموليّاً، فلم يسبق للبلاغةِ أن أثارت أنواعاً مرادفة لها بالقدر الذي شهدته أنواعها المنفتحة في الدَّرسِ البلاغيِّ المُعاصرِ، فالإمتاع والإغراء والإقناع، والحجاج والاستهواء ، والاستدلالِ، كلماتها السحريَّةُ، حَتَّى إِنَّهُ لم يبقَ مجال من المجالات من السياسة إلى الإشهار ومن النظرية الأدبية إلى تحليل الخطاب، لم يُصبه تجديد المنعطف البلاغيِّ الذي استحوذَ على العلوم الإنسانية، واليومُ لايتعين البحث عن وحدة هذه المجالات التي تتعدد مظاهرها فحسب؛ بل يجب البحث عن وحدة كل ما تُستعمل فيه أيضًا؛ لذلكَ يجب تسليط الضوء على تجلّيات الهُويّة التّعدّدية التي انبثقت عنها هذهِ المفاهيم، والوقوف على القوانين الأساسية التي تحكم البلاغة مزاوجينَ على الدوام بين النظرية والتطبيق، معَ فسحِ المجال أمام فهم آليات البلاغة التي تُذعن لها جميعًا، حَتَّى نَقِيَ أَنفُسَنَا الوقوع ضحايا المُراوغةِ في الطّرحِ والتّحقّق النقديِّ.

ثَانِيَاً: تَجَلّيَاتُ الهُويَّة فِي التُّرَاثِ البَلَاغِيِّ العَرَبِيِّ

فِي رحلةِ البحثِ عنِ الأصولِ وتجذيرِ الهُويّة البلاغيّة العرَبيّة تُطالِعُنا حقائق الأشياءِ التي تميّز بعضها عن بعض، فالهُويَّةُ بمفهومها العام تتضمَّنُ مُكوناتٍ ثابتةٍ وأُخرى قابلةٌ للتَّغيير، ويُعتبرُ الدِّينُ واللُّغةُ مِن الثَّوابتِ الرَّاسِخَةِ، بينما تكونُ المُكوّناتُ الأُخرى مِنْ عاداتٍ وَقِيَمٍ وطُرُقِ تفكيرٍ؛ قابلةً للتَّغييرِ في الشَّكلِ الإيجابيِّ الذي تُحدِّدُهُ حركيَّةُ المُجتمعِ وتفاعُلُهُ بمُحيطِهِ الخارجيِّ، وإذَا كانَ القَوْلُ بثباتِ اللُّغةِ كَمُعطى أَسَاسي يُحيلُ على الهويةِ، فإنَّ ذلك لا يعني تَخْشِيْبَها وتَقْدِيْسَهَا، وَالحيلولةَ دُونَ تطويرِ بُنيتِهَا؛ لإنتاجِ أفكارٍ جديدةٍ وتوليدِ مُصطلحاتٍ لُغويَّةٍ ذاتِ قيمةٍ.

ولاشَكَّ أنَّ الهُويَّة العربيَّةِ التي بدأتْ في التَّشكُّلِ دُستوريًا انطلقتْ من مبدأِ التَّغير مع الإبقاءِ على الثَّوابتِ، ولذلك شاركتْ الهُويَّةُ العربيَّةُ في منظومةِ الإنتاجِ الحضاريِّ وبناءِ التُّراثِ العالميِّ[17]، وبقيتْ اللُّغةُ العربيَّةُ مُحافظةً على ثباتِهَا الإيجابيِّ، باعتبارِهَا مُكوِّنًا أساسيًا للهُويَّةِ العربيَّةِ.

ومن المُلَاحظِ استعمالُ كلمةِ(هُويّة) في الأدبيات المعاصرة لأداءِ معنى كلمة(identity)التي تعبّرُ عن خاصية المطابقةِ، مطابقةُ الشيءِ لنفسهِ، أو مطابقته لمثلهِ[18] إذ تُعدُّ اللغةُ المُكوّن الأول والرئيس في الهُويّة الثقافية، وترتبطُ اللّغة بالهويّة ارتباطاً وثيقاً، فهي عنوان وجودِ المرءِ وجوهر هويته، وإذا قلنا إنَّ اللغةَ هي الهُويّة، فإنّ الهُويّةَ هي ظاهرةُ لغويةٌ بحد ذاتها، وهي الماهية الخاصة، وإنّ تأويل الهوية يعد أمراً مركزياً للوجود الحقيقي للغة وأدائها، وإذا كانت اللغة الوعاء الحاوي للثقافة ووسيلة التفكير التي من خلالها تتحدد رؤية العالم ونواميسه فإن معرفتها تعتبر ركيزة أساسية لتحصين الهوية والماهية (الذات والشخصية)، وإنّ قوتها في أمةٍ ما تعني استمرارية هذه الأمة في أخذ دورها بين بقية الأمم؛ لأن غلبةَ اللغةِ بغلبةِ أهلها ومنزلتها بين اللغات صورة المنزلة دولتها بين الأمم.

فاللّغةُ جزءٌ لا يتجزأ من ماهيةِ الفردِ وهويتهِ، كما أنها تتغلغلُ في الكيان الاجتماعيّ والحضاريِّ لأيِّ مجتمعٍ بشريّ.

اللغةُ والهُويّةُ هما إذاً وجهانِ لشيءٍ واحدٍ، يُضافُ لهُ مقومات أخرى، مثل: التاريخ، والتكوين النفسي والثقافيِّ، والاقتصاد، والجغرافيا، باعتبارِ هذا المَفهومِ-الهُويَّة- نسيجٌ يتكونُ من خيوطٍ مُتداخلةٍ-سبقت الإشارة إليها- كُل خيطٍ منها يمكن أن يكونَ نسيجاً وحدهُ، ويتحولُ إلى هُويّةٍ، كما أن كلّ خيطٍ يمكنُ أن يتآخى مع خيطٍ آخر، أو أكثر في تشكلّ هُويّةٍ واحدةٍ، وقد يحظى خيطٌ ما بدرجةٍ أكبرَ من القوةِ، ويطغى على ما عداهُ، ويكونُ أفصحَ حضوراً لدى الجماعةِ نفسها، وفي عقولِ الجماعاتِ الأخرى عنهم. ومن هنا نقول: إنّ "هُويّة" العلوم، سواءً كانت لغويّة، أو تاريخيّة، أو

دينيّة، أو جغرافيّة أو مجتمعيّة، أو ثقافيّة، يعني أن العنصرَ الطاغي هو هذا أو ذاك حسب التخصص، دون أن يلغي ذلك دور العنصر الآخر، أو العناصر الأخرى بالمرة[19].

وعلى الرغم من ذلك فإن اللغة هُويّة، وليستِ الهُويّةُ لغة، بمعنى أنّ اللّغةَ ليست المقوم الوحيد للهُويّة، وإن كانت من أهمِ هذه المقومات، وأشدها خصباً وعمقاً وتركيباً، وإنّ العلاقةَ بين اللغةِ والهُويّة هي علاقةُ الخاصِّ بالعامِّ، فالهُويّةُ أعمُّ من اللُّغةِ؛ لأن الهُويةَ لها تجلياتٌ عديدةٌ غيرَ اللّغةِ[20]؛ إذ إنّها ببساطة متناهيةٍ ليست سوى تلك القواسمَ المشتركة، أو القدر المتفق عليهِ بين مجموعةٍ من المُعرَّفات، يميّزها ويوحدها، وليست اللُّغةُ وحدها التي تقومُ بهذهِ المَهمَّة، وهذا يعيدُنا إلى المقوماتِ الأخرى للهُويّة التي أشرنا إليها مُسبقاً.

وقد عَرَضَ الكثيرٍ من الدارسين هذا الموضوع من وجهاتِ نظرٍ متباينة ، وجدنا في عمقها الضمنيّ أنَّ تعريفَ الهُويةِ في البلَاغَةِ هو تكوّينُ هويتنا الثقافية والفردية المتجذرةً في هياكلٍ مرتبةٍ من التعبيرِ، والتصور، ومن أشكالِ الفكرِ والفعلِ، وأشكال الشعورِ والإرادةِ، والتي تقدمُ لنا نمطاً لتوجيهِ الفنونِ والأجناسِ، ويتمُّ هذا بالترابطِ بين الذاتيِّ والموضوعيِّ، بينَ الخاصِّ والعَامِّ، إذ إنّ عمليةَ اكتسابِ الهُويةِ عمليةٌ فاعلةٌ ومنتظمةٌ، بحيث لا تقتصرُ على تراكمِ المُعرّفاتِ؛ بل تجميعها وفقاً لأسسٍ وقواعد منضبطة.

ومِمّا تَجدرُ الإشارة إليهِ أنّ مفهومَ الهُويّة في عصرِ النهضةِ العربيّةِ الحَديثةِ يُحيل من جهةٍ على ارتباطِ الذاتِ بمرجعياتٍ محددةٍ، وفي المقابلِ هو بحثٌ عن تمايزٍ نشأ في مواجهةِ الآخرِ، فأخذت تلكَ المواجهة مساحةً هوياتية تتدرجُ بين تلمس أوجهِ التميزِ والمجابهةِ القويةِ والعنيفةِ بوساطةِ الخطابِ، ولمّا كانتِ البلاغةُ إحدى سماتِ العروبة؛ فقد تجلّى سؤالها بدايةً مع مطلعِ النهضةِ في سياقِ مقارنتها بالبلاغةِ الأوربيةِ، والفرنسيةِ تحديداً، وكان ذلكَ لحظةَ الاتصالِ العربيِّ بالغربِ في زمنِ محمد علي باشا تحديداً[21]، وهذا ما يجسدهُ رفاعة الطهطاويّ في قولهِ: "وهذا العلمُ-البلاغةُ-بهذهِ الحيثيةِ ليسَ من خواصِ اللُّغةِ العَربيَّةِ؛ بل قد يكونُ في أيِّ لغةٍ كانت من اللغاتِ، فإنُّه يعبرُ عن هذا العلمِ في اللُّغاتِ الإفرنجيّةِ بعلم الريثوريقي، نعم، هذا العلم في اللغة العربية أتمّ وأكمل منهُ في غيرها، خصوصاً علم البديعِ"[22].

وعندَ تحديدِ وجهةِ الانطلاقِ في هذهِ الرُّؤية نجدها ترتكزُ على المنظورِ البَلاغيِّ المُقارن؛ إلاّ أنّها تقرُّ إقراراً واضحاً بالتمايزات البلاغيّة بينَ اللغاتُ؛ في حين لو قلّبنا الرؤية نجدها من جهةٍ أُخرى مُغالية في جعلِ بلاغةِ العربِ أتمُّ من غيرها على وجهِ الإطلاقِ، والطريفُ أن سماتَ الكمالِ انصبت عندهُ على البديعِ الذي لطالما كان ينظرُ إليهِ في عصرِ النهضةِ على أنه تابعٌ لعلميِّ البَيانِ والمعاني امتداداً للتصور السكاكي، هذا بالإضافة إلى بلاغةِ القرآنِ، غير أن أهم ملاحظة بلاغية في كلام الطهطاوي تجسدت في وقوفهِ على التفرقةِ بين البلاغة العلميّة، والبلاغة الإنشائيّة؛ ولذلك قال : "نسبة علم البلاغة للبلاغة كنسبة العروض للشعر، فحينئذ قد توجد البلاغة عند من لا يحسن علم البلاغة، كما أنه قد يحسن علم البلاغة غير البليغ"[23]، وبرزت تَوجُّهاتُ بعض البلاغيينَ العربِ القدماء في بحوثهم التي يحرِّكُها سؤالُ البَحثِ إلى تأسيسِ تصوراتٍ ترتقي إلى مستوى العلميّة[24] ، فأبدعوا في غمرةِ البحثِ مفاهيمَ انطلاقاً من التفاعلِ مع النصوصِ الفاعلةِ في الحياةِ أو في الثقافةِ عُموماً، فيما اتّجه بعضُهم الآخر بعدَ القرنِ الخامسِ خصوصاً إلى تجميعِ تلكَ المَفاهيمِ بمعزلٍ عن أسئلتِها المنتجةِ لها، فبدأ بذلك مسارُ التقعيدِ من القِزوينيِّ إلى شُرّاحهِ. وينبغي أن نُؤكدَ كذلك على أن محاولاتِ التقعيدِ، خاصةً مع القزوينيّ كانَ لها سؤالٌ محركٌ كذلك، ولكنّهُ سؤالٌ بعيدٌ عن التفاعلِ مع نصٍّ أو خطابٍ

معينٍ إلاَّ عن طريقِ من سبقه؛ فالقزوينيّ من زمنٍ فيهِ كانَ الخطباءُ من رجالِ الدينِ والسلطةِ في حاجةٍ إلى بلاغةٍ مقاميةٍ، منبريةٍ ومجالسيةٍ، فوجدوا ضالتهم عند السَّكاكيّ، فاستخصوا من مفتاحه ما يهمهم[25]،

ومعَ ارتباطِ البحثِ البلاغيّ على مرِّ العصورِ التاريخية بالإجابةِ عن سؤالٍ أو عدةِ أسئلةٍ، سواءً أكانت تلك الأسئلة صريحةً أم مضمرةً، ومن خلال اطلاعنا على الدراسات المنجزة في تتبعِ السُّؤالِ البلاغيّ تبينَ لنا أنها تناولت بتفصيلٍ فتراتٍ زمنيةٍ ممتدةٍ من تراثِ الماضي العربيّ البعيد إلى العصر الحاضرِ؛ إذ لا يخفى ما اضطلعَ به أعلامُ التراثِ البلاغيّ من قبيلِ الجاحظِ، وابن المعتز، وابن سنان، الخفاجيّ، والجرجانيّ، وحازم القرطاجنيّ، وغيرهم من الإجابة عن أسئلةٍ مرتبطةٍ بالنصِّ في تنوعهِ، كما لا تخفى تلكَ المجهودات المعاصرة التي توسمُ عادةً بـ (المَشَاريع البلاغيّةِ)التي سعت إلى تجديدِ البحثِ البلاغيّ باتخاذِ التُّراثِ أرضيةً للاشتغالِ وتجاوزهِ لا التنكرَ لهُ، من منطلقِ أن التجديدَ أو التحديثَ البلاغيّ العربيّ ينبغي ألا يقطعَ الصلةَ مع جذورهِ.

ومَهما تنوعت منجزاتُ الأعلامِ على مرِّ العصورِ فقد كانت مسكونةً في جوهرها بالإجابةِ عن سؤالِ البلاغة؛ لذلك فقد شملت فتراتٍ زمنيةٍ واسعةٍ وممتدةٍ من تاريخِ العربِ، وما دمنا ننتمي إلى العَصرِ الحاضرِ فقد كان تركيزُنا على البحثِ في الدراساتِ البلاغيّةِ العربيّة المُعاصرةِ عن الفتراتِ التي لم تركزِ فيها على هذا السُّؤالِ، واستمر الوضع في التدحرج نحو التأزم المعرفي للحضارةِ العربيةِ مع سيطرةِ العناصرِ الأجنبية عليها، فانفصلت البَلاغةُ عن طرحِ السُّؤالِ واكتفت بالتكرارِ والاجترار، وهنا نقفُ مجدداً لنطرحَ السؤالَ الآتي:

مَا حَالُ البَلاغةِ في عَصرِ النهضةِ العربيّةِ الحَديثةِ؟ ومَا السؤالُ المُحرِّكُ للهُويَّةِ البَلاغِيَّة في ذلكَ العَصرِ؟

ثَالِثَاً: سُؤالُ الهُويّةِ وأزمَةُ البَلاغةِ العَرَبِيّة

إنّ تتبُّعَ الموروثِ البلاغيّ في سياقاتهِ التاريخية والمعرفيّة، ورصدِ مستوياتِ تشكّله الأولى، وربطهِ بالتحوّلات واشتغالاتها اللغوية والجّمالية والأيقونية؛ لتحقيقِ مُقاربةٍ نسقية تعريفيَّة للبلاغة العربيّة، يُؤكد بما لايَدَعُ مَجالاً للشَّكِ أن فهمَ السّابق رهِينٌ باستيعاب اللاحقِ، ويسهمُ في إحياءِ التَّصورِ الحيويّ الأصيلِ والعميقِ للبَلاغة القَديمة المنفتحةِ على أسئلةِ الحَاضرِ وإشكالاتهِ المُتعدّدةِ، وتَبقَى التّساؤلات المُتشظّية المركزيّة تُحيطُ بفِكرِنا وتطرحُ نفسَها :

- لمِ العودةُ للتراثِ البلاغيّ في هذه الفترةِ بالتّحديدِ؟

- وماهي الكيفية التي نقرؤه بها وتُرشدنا إلى إشكالياته المفصلية ؟

- وهل من جديدٍ تفرزهُ هذه الكشوفات القرائية ؟

من الطبيعيّ جدًا أن ينبثقَ على الساحةِ الاعتقادُ السّائد أنّ البلاغة العربيّة إنَّما هي مباحثٌ تكميليةٌ تُضافُ إلى الصّنيعِ الأدبيّ زينةً وتحسينًا عرضيًّا، وأنّها غير معنيّةٍ بالمضامينِ والدّلالات الجوهرية؛ لكنّنا عند التنقيبِ في المنطلقات الأولى للبَلاغة العربيّة تتكشّفُ صورُتها الحقيقية، وهي: صَنعةُ القولِ التي جُبل عليها اللّسانُ العربيّ الفصيح في صراعهِ بين المُتكلّم والمتلقّي وحَملُ الثّاني على الاقتناعِ وتعدّدِ الرؤى، ويبدو في مجملها أنّها "ظاهرةٌ إسلاميةٌ لا جاهلية؛ لأنَّ الإسلامَ كَانَ حَركةَ صِراعٍ بَينَ المُعتقَداتِ، والصِّراعُ بينَ المُعتَقداتِ هُو مَنبتُ فِكرةِ البلاغةِ، وَليسَ مِن اليَسيرِ العُثورُ عليهِ في العَصرِ الجَّاهليّ"[26]، وهذا يؤكّد أنّ البلاغة العربيَّة دينية النشأة، قرآنية المولد، درجتْ ونَمتْ في رِحابِ كتاب الله، قبل أنْ تتناولَ الأدبَ العربيّ بوجهٍ عَام فهي : عِلمُ الذّوقِ والجّمالِ، والفنّ الأدبيّ.

ونَحنُ إذ نُحقِّقُ مَفهومَ البلاغةِ العربيّة ونؤصّله، ونرصدُ تطوّرهُ التاريخيّ، نستقصي بذلكَ تحديدَ المفاهيمِ والخَلفياتِ النّظريّة، والآليّات التّطبيقية، والمَقاصِدَ المُحرِّكة للدِّراسات المُعاصرة، ونثبتُ نسقيتها في منظومة التراث العربيِّ، ومن أشدّ المظالم التي تعرّضت لها البلاغة الأصيّلة، وسمُها بالبلاغة القديمة تلك الأصول التي أينعت واستوت على يدِّ شيخ البلاغيين عبد القاهر الجّرجانيِّ، وفكرهِ البلاغيّ ومقولاتهِ التي اكتسبَت مقامًا فذًّا في الوسط المعرفيَ، ومنهجًا لفهمِ تراثنا البلاغيّ منذُ القرنِ الخامس الهجريّ إلى يومنا هذا، ورُدفت تلك الأصول بمسميات شتى مؤطَّرة بـ (البلاغة أو البلاغات الجديدة)، وما تولّد عنها من بلاغاتٍ مُعاصرة وحداثوية، ومن أوائل الممهّدين لهذا الشأن الناقدُ المُعاصر عبد السَّلام المسدِّي الذي صرّح ـ بأنَّ الأسلوبية (Stylistique) وريثةُ البلاغة القديمة، بعدَ موتها وانقضاءِ أجلِها، وَوَصَفَهَا بكونها مجموعة مفاهيم لا تصلح لمقاربة الخطابات بلهجة تَتَجنّى على البلاغة أو تستحضرُ البلاغة الغربية، وتُقصِي الجّانبَ العربيّ مُطلَقًا ، مؤكّدًا ذلك بقولهِ : "وإذا تَبيَّنا مُسلَّمات الباحثين والمنظّرين وجَدناهَا تُقرِّر أن الأسلوبيّة ولِيدةُ البلاغةِ، ووريثتُها المباشرة ، معنى ذلك أنّ الأسلوبيةَ قامت بديلًا عن البلاغة"[27]، وذات المعنى نرصده في تصريحاتِ محمد عبد المطلب المتضمّنة : "البلاغةُ لم تَعُدْ قادرة على الاحتفاظ بكُلّ حُقوقِها القَديمة التي كانت تُناسبُ فترةً مُعينةً مِن مَاضِينا، والتي يجبُ على البَاحثِ في الأسلوبيّةِ وضعُها في اعتبارِهِ"[28]. بيد أننا حين نقفُ في مواجهةِ طودِ التاريخ البلاغيّ الشَّامخِ، نلِجُ طيّاته ونتصفحُ تفاصيلهُ الدّقيقة، نجدهُ تاريخًا حاضرًا مُغيّبًا، حجبتهُ سُحبُ الغمامِ عن زخِّ محمولاته، ونحنُ حِيالَ ثراءِ المخزون التراثيّ البلاغيّ العربيّ نقفُ عاجزينَ عن المقارنةِ والتّقريبِ بين وجهاتِ النّظر التّأصيلية، ونَجدُ أنفسنَا أمَامَ تَحدّياتٍ تقتضي مِنّا ضرورةَ إعادة النّظر والتّقييم، والتّفكِيرِ في طُرقِ التّجديد؛ لأنَّ البلاغةَ القديمة حِينَ يُماطُ عن وجهها لِثامَ الجماليات، ويُكشفُ عن ألوانِ الهيئاتِ التي تُصاحِبُ السِّياسيِّ، والدَّاعيةِ الدِّينيّ، والمُتجبِّرِ الحَاكِمِ، والخَطِيبِ الذي يُبرِّرُ أفعَالَ سيِّدهِ سُرعانَ ما تتَحوّلُ إلى أنماطٍ مُقولبة يُستعانُ بها عندَ ضروراتِ التَّعبيرِ وحسب.

كُلّ هذا الإبهَام جَعلَ تَعريفَات البَلاغةِ تَتشعّبُ بِمُرورِ الزّمن، فتَجزّأت؛ بلْ تَقابَلت، لأنّ البَلاغة التي تَرومُ الإمتَاعَ أو إثارةَ الأهواءِ هِي غَير الأُسلوبيّة، وغَير الحِجَاج الذي يَستفرِغُ الوسعَ لأجلِ الإقنَاعِ بالأدلّةِ . وَهَكذا أصبحتِ البَلاغةُ حَاضرةً في لُعبةِ الأهواءِ، وفي الأدبِ، والّسياسة، واللّغةِ الطّبيعية، والاستدلال غيرِ العِلمي، والرّأي، وإجادةِ الكَلامِ، والمُضمَرِ، والقَصدَيّة المُتواريةِ خَلفَ المُضمراتِ، والمَجَازِيّ، أي: في اللّاشُعور الذي يُشفّر لُغةَ المَجازيّات؛ فَالبَلاغةُ، باختصارٍ وبَعيدًا عَنِ الانحِسَارِ، تَزدادُ في الانتِشَارِ؛ ليَكونَ الثّمنُ فُقدانَ وحدَةِ العَقلِ، ولَعلّ الرِّهان اليوم هُو مُحَاولةُ وَضعِ تَعريفٍ مُحدّدٍ جامِعٍ ؛ لكنّه مَخصوص، يَحتَضِنُ المُرافعةَ القَضائيّة كَمَا يَحتَضِنُ الخِطابَ الإشهَاريِّ، ويَحتضِنُ الاستِدلال المُحتَمل كَمَا يَحتضِنُ اللّغةَ الأدَبيّة وصوَرَ أُسلوبِها، ويَحتضِنُ بَلاغةَ اللّاشُعور كَمَا يَحتَضِنُ قَواعِدَ النِّقاشِ العُموميِّ، حيثُ تتَواجهُ الآرَاءُ أو تَتنَافَى بِسبَبِ الأيديُولُوجيا[29].

وقد رافقت النّظرة المُختزلة للبَلاغة العَربيّة، في أوجِّ عِزِّها في القَرنينِ الرَّابعِ و الخامِس الهِجريين حتى مجيء السّكاكي في القَرنِ السّابع الهجريّ؛ فانتقلتِ البَلاغةُ من التّذوقِ والفَنِّ كونها الأداة القويَّة التي تُوزنُ بها الأعمال الأدبيّة، ويُتذوقُ بها الجّمال الفنّي في أداءِ البُلغاء، ويوازنُ بين مُبدعٍ وآخر إلى الغايةِ التعليمية، وتعطّلت بقية وظائفها، وهنا تمرُّ بمنعطفِها الأوّل الذي يُمثّل بِداية الأزمة المرهونة بالتّشكّلِ والوعِيّ المَعرِفيّ .

وفي رصدنا للعِبارةِ القائِلة: لنحاربَ البلاغة[30] إيحاءٌ مباشر ببوادر الأزمة التي أجهضتِ البلاغةَ القديمة، وشنّت هجمةَ الحجْرِ والتحجيرِ عليها، وطرحِ بدائلَ (الأسلوبيّة)، و(الحجاجية)، و(التداوليّة)التي تستوحي مادتها من صُلب

البلاغة الأُم، إضافةً إلى وصفِ مفاهيمها ومصطلحاتها بالجاهزية التي طالما أرهقتِ اللغة دُونَ طَائِلٍ ، غيرَ أن المُتبنِّين لفكرةِ المُحاربةِ والموت غفلوا أو ربّما تغافلوا عن أهم وأخطر إشكال قد تقعُ فيه البلاغة الجديدة ألآ وهو : إشكال التعامل مع المصطلحات الدخيلة الوافدة وترجمتها، وهو أعقد المعضلات المنهجيّة والمعرفيّة التي تُحيطُ بالبحث المُتشبِّعِ بالتُّراث البلاغيّ عند توجُّههِ لاستقصاء (البلاغة) ومكنوناتها العميقة.

وهنا يقودنا بحثُ الهُويّةِ العَرَبيّة لعلمِ البَلاغةِ منذُ تأسيسهِ إلى بَيانِ حقيقةِ التّفاعُلِ بين الفنونِ الأدبيّة والتّحولات المجتمعية؛ وخيرُ من وصفَ هذهِ الحقيقةِ المُفكّر محمّد حسين هيكل مجسداً الانتقال ممّا هو ثقافي إلى ما هو سياسي في قوله: "كانت الكتابةُ جامدةً جمودَ الشعرِ إلى ما دونَ نصفِ قرنٍ مضى، وكان الكتابُ يقلدون أساليبَ الأقدمين، ويحتذون أنواع كتاباتهم في المقامات والرسائل وما إليهما، ويغرمون بالسجع والبديع غرامهم، ويعتبر أحدهم أكبر فخره أن يكون معارضَ الجاحظِ أو عبد الحميد، وفيما هم في سكينتهم إلى أدبهم تسللت إلى مصر وإلى الشرق ثورات سياسية واجتماعية متأثرة بالثورة الفرنسية، وبما أصاب أوربا من هزات عنيفة في أعصابها، فقام دعاة لمثل هذه الثورة، بعضهم في السرِّ وبعضهم في العلن واتخذوا الخطابة والكتابة وسيلتهم إلى إعلان ثورتهم، ولم يكن أسلوب ابن المقفع، ولا لغة ابن قتيبة، ولا صناعة المبرد، هي التي تكفل تحريك الجماهير لقبول هذه المبادئ"[31].

تأسيساً على هذا القول تتجلّى بعضُ ملامحِ الهويةِ البلاغيّة التي نبحثُ عنها، فنجدها تسيرُ في خطينِ منتظمين، هما: الخطُّ الثّقافيّ المَعرفيّ، والخطُّ السّياسيّ، وفي حدود اللحظة مازلنا نتحدث عن البلاغةِ انطلاقاً من التوجُّه المعاصرِ الذي نتبناه[32]؛ إذ ينظر هذا التوجّه إلى البلاغةِ بوصفها علماً وإنشاءً، أي خطاباً واصفاً للخطاب مادام الواصف يستند إلى أسس معرفية، وإنشاءً حين يتعلق الأمر بأنواع النصوص والخطابات، سواءً أكانت تخييلية كالرواية والقصة والمقامة...، أم تداولية حجاجية، كالخطابة والرسالة، والإشهار والمناظرة، فالخطابةُ إذن، نوعٌ من الخطابِ التداوليِّ، والخطابُ التداولي قسيمُ الخطابِ التخييليِّ، وهما معاً موضوعُ دراسةِ البلاغةِ الوَاصِفةِ.

البَلاغةُ هنا تأريخٌ ونصوص، وممّا قاله شيخُ البلاغيين فضيلة الأستاذ الدكتور مُحمّد أبُو مُوسى في تحديدِ ماهيتها" اسمعوا وعُوا: ليسَ في عُلومِ العربيَّةِ أغمضُ من تحليلِ البَيانِ ؛ شعرًا أو نثرًا، أو كانَ من كلام الله، أو كانَ من كلام رسول الله، تحليلُ البيان أغمضُ شيء، وأدقُّ شيء، وأَحْوَجُ شيء إلى البصيرة والعلم واليقظة، فأيقنتُ أن معانِيَ الشعر شيءٌ والإبانةَ عن معاني الشعر شيءٌ آخر، وفي كُتُبِ الأوائل، كـ: قدامة بن جعفر وعلي بن عبد العزيز، يؤكدون أنك لا تَدْرُسُ الشعرَ مِن جهةِ ما أبان عنه، وإنما تَدْرُسُه مِن جهةِ طريقةِ الإبانة، فلا قيمة للبيان إلا مِنْ جهةِ دلالة البيان على المعاني"[33]، فالبلاغةُ طَبْعٌ يُدْرِك الحَسَن، ثمَّ عِلْمٌ يُبيِّن أسبابَ الحَسَن؛ فالطَّبعُ هو الأوَّل، هو الأساس، وفي علم البلاغة الطَّبْعُ هو القاضي الأوَّل الذي لا يُردُّ له قضاء؛ ولكنَّه ليس طَبْعَ النائمين؛ إنما طَبْعُ الذين لا ينامون عن صَقْلِ طباعهم، ولا تظنَّ أن الطَّبْعَ خِلْقةٌ خلقها الله، ثم تَرْكَن إلى النوم.. الطَّبْعُ في ذاتِ نفسِك، عليك أن تُغذِّيَه، وأن تُتابِعَه، وأن ترتقِيَ به بطول ممارسة البيان العالي وقراءته"[34].

وليس علم البلاغة هو الذي سيُعلّمنا البلاغة، علمُ البلاغة دليلٌ يُعلّمنا البلاغة من كلام أهل البيان، فإذا تعلَّمتَ علمَ البلاغة وسكتَّ عن كلام أهل البيان تكونُ قد تعلَّمْتَ علمًا تتفيهق به على الطلاب وأنت في الحقيقة لستَ كذلك، وعلمُ البلاغة هو العلمُ الذي يقودني إلى معرفة غوامض البيان وأسراره، وقد قلتُ لكم وأنا في بيتِ الله - والله مُحاسِبُ الناسَ- إنني خُضت أبوابًا كثيرة من أبواب المعرفة، وتعبتُ كثيرًا في تحصيل علم كثير، ولم أجد أغمضَ ولا ألذَّ ولا أحبَّ

ولا أقربَ إلى طبيعة النفس من تحليل البيان، وهو مع شدَّة غموضه يُذِيقني سِرَّ النفس الإنسانية التي صنعتْ هذا البيانَ العالي[35].

هذهِ الخريطةُ المَعرفيّة ترسمُ الطريق لبلورةِ تصوراتٍ يتنازعُها قُطبا التُّراثِ والحَداثةِ؛ لاسيّما أنّ الهوية أضحت مفهوماً مركزياً في العلوم الاجتماعية والإنسانية؛ فكلٌّ من الفلسفةِ، وعلم الاجتماعِ، وعلم النفس الاجتماعيّ، والأنثروبولوجيا، ودراسات الخطاب وفرت مقاربات مختلفة في تعريفِ هذا المفهوم وأدوات بحثهِ[36].

كما أننا نبتعدُ كثيراً عن جاهزية المَفهومِ المطلقِ للهُويّة البلاغيّة، نطرحهُ مع الوعي بالمقولات البلاغيّة في محوريّ البحثِ الرئيسين، بعد أن ننهجَ سبيل التجريد المفاهيميّ؛ انطلاقاً من النصوص والخطابات التي تدرجنا فيها من التفسير إلى التحليل وحتى التأويل أحياناً، وإذا كان لابُدّ من تحديدِ مرجعيةٍ على الأقل يمكن الاستناد إليها في خضمِّ تعريفاتٍ متنوعة المشاربِ لمفهوم الهُويّة ، فإننا نشيرُ على سبيل الاستئناس إلى تعريفٍ مُقاربٍ لما يطمحُ البحثُ الوصولَ إليهِ في قائمةِ نتائجهِ، وهو المتضمّنُ القولَ: "تُعرّف الهُويّةُ بأنها البناء اللغوي لأعضاء مجموعةٍ اجتماعية، أو عدة مجموعات أو فئات"[37]، نفصّل بيانهُ في محاورِ البحثِ القادمة.

المِحوَرُ الأوَّلُ: بِناءُ الهُويَّة فِي مُصَنَّفَاتِ البَلَاغِيينَ المُعَاصِرِين

أوّلاً: البُعدُ المَعرِفِيّ العَامّ لِلهُوِيَّة

البداياتُ الأولى للبلاغةِ العَربيّةِ منهَجيّا بداياتٌ وصفِيّة، تستَنِدُ إلى معايير ثابتةٍ منطلقُها تتبّعُ الظّواهرِ، ومن ثَمَ رصدهَا، وتصنيفها وفقًا لإنتماءاتِها وجذورها، وصولاً إلى تحليلِها وإيجاد التّعليل المنطقيّ لها، وبحسبِ سياقاتِها ومقاماتِ ورودِها، والهدفِ المنشودِ من الخِطابِ، وإبرازِ مظاهر الجمال عِبرَ هذهِ النّماذجَ، سواءً أكان خِطابًا قُرآنيّاً ، أم شعريّاً، أم نثريًّا ، ودلائلُ ذلك في تُراثنا البلاغيّ لاحَصرَ لها ، أوجز القولَ في أبرزِها أبو هلال العسكريّ حينَ قالَ : "فلَيسَ لِحُسنِ الاستِعَارةِ وسُوءِ الاستعارةِ مِثالٌ يُعتمدُ؛ وإنّما يُعتبرُ ذلكَ بِمَا تتقبّلهُ النّفسُ أو تردّهُ، وتعلَقُ بِهِ أو تَنبُو عَنهُ"[38]، ويمكننُا التّصريحُ مؤكّدينَ أنّ هذهِ النّظرة الوصفيّة لم تدُم طويلاً؛ لإنّها سرعانَ ماتحوّلت جذريّاً- فيمَا بَعدُ- إلى مسارٍ مختلفٍ تمامًا عن مسارِها الأوّل، فاتّخذت من المعيّاريّة حاضِنةً لتوصياتِ البحثِ البلاغيّ وقوانينهِ الجّامدة، تلك المِعياريّة التي"تَعتمِدُ الشَّاهِدَ الذي يتمُّ اختيارُه بِشَكلٍ عشوائيّ مُتعَسِّفٍ، يَتوالَدُ وَيتَرَدّدُ مِن مُؤلّفٍ لآخرٍ، دُونَ مُحاولَةٍ لإقامةِ التّوازي بينَ النّظريّة والتّعبيرِ"[39]، فأنصدمت البلاغةُ العَربيّة بالأداءِ الفَنّيّ؛ بناءً على جاهزيّة أحكامها المُسبَقَةِ، وتشابهها بالجّودةِ والرّدَاءةِ، والجّمالِ والقُبحِ ، والصّوابِ والخَطأ- رغمَ اختلافِ النّصوصِ- وانشغلَ البلاغيونَ بالتّقسيماتِ والتّفريعاتِ، وتذوقِ المَعارفِ والفنون الجماليّة عنِ المُكاشفةِ الإبداعيّة للنّصوصِ، مُتجاهلينَ أنّ النص الأدبيَّ، فضلا عن الخَطابيِّ والسجاليِّ، مسكونٌ برهان الإقناع ، مُدرَكٌ قَصدًا أو ضـــمنًا وفق استراتيجيتهِ، وهوَ رِهَانٌ نَدرَ الالتـفاتُ إليهِ- إلاَّ القِلّة القَليلة (النُّخب البلاغيّة) ممن توخّوا أصولَ الظّاهرة البلاغيّة في تَضامِّ عناصرها النّصيّةِ والسّياقيةِ والتّداوليّة .

تتَجلّى ملامحُ هذهِ القِراءة واضحةً عندَ أقطابِ الحَداثة البلاغيّة العَربيّة، ونحنُ نَلمحُ سَعيًا جادًّا لاستكناهِ المُقارَبات البلاغيّة النّقديّة التي يُتَوسَّلُ بها الباحثون المُفكّرون، أمثال: جابر عُصفُور، مُنذر عيّاشي ، عبد القادر القِط، حبيب مونسي، محمد بركات حمدي أبو علي، عبد المالك مُرتاض، وما لهم من دورٍ كبيرٍ في تتبُّعِ مَفصليات عمليّة القِراءةِ، لإكسابِها صفةَ الموضوعية خلال القراءات الوَصفيّة الفَاحِصة؛ بوصفها أنموذجًا عِلميًّا دقيقًا يَحجِبُ ذاتيّة

الدَّارسِ؛ فَيتِمّ تَحدِيدُ المنهجيّة باستقراءِ القديمِ والحَديثِ، ورصدِ ملامحهِ الدقيقةِ منذُ البدايةِ، حينَ أعلنوا ضرورة تسلُّح الناقد بالقراءةِ العَالِمةِ ؛ مِن أجلِ سَبرِ أغوارِ البُنياتِ الدَّالةِ الثّابتةِ والمُتحوّلةِ في الخِطاب، والتَفتوا إلى بلورةِ التّفكيرِ البلاغيّ ومساءلة النص واستنطاقهِ في ضوءِ رهاناتِ الحَداثةِ ففسّروا تَأثيرَ الأدَبِ بِقُدرتهِ على تَحريكِ طَاقاتِ اللّغةِ الكَامِنةِ واعتِمَادِها في أدَاءِ المعنى الدَّلاليّ، وإثارةِ مُحفّزاتِ الإيحاءِ والإشارةِ وتَركِ التَّصريحِ ... حَتى لكَأنّ عَمليةَ القِراءةِ تَتمحورُ حولَ ضروبٍ مِن الاستِبطَانِ الذَّاتيّ وتجدُ أنّ لُغةَ النّصِ مُجرّدَ قَادِحٍ تَتَداعَى لَهُ المَعَانِي في النَّفسِ[40]، وهذا الهدف يؤكّدُ على نقطةٍ مفصليّةٍ ، وهي: خُصوصيّة كُلّ نَصٍ على حِدة، لدرجةٍ تَجعلُ تناولَهُ بلاغيًّا مختَلِفٌ عن النّصوصِ الأُخرى لُغةً وإجراءاتٍ وأدواتٍ تطبيقيّة.

ولعلّ من الضّروريات الواجبِ طرحُها هُنا، هي إثبات الوجوه المُتعدّدة لبلاغتنا العربيّة، إنطلاقًا من أنّها تَوصِيفٌ لأجناسِ الخِطاب المتنوّعة، أدَبيًّا، سياسيًّا، دينيًّا، اجتماعيًّا، الزّاخِرة بالكُنوز المفاهيمية والإجرائية المُتاحةِ للتّوسّعِ والابتكارِ والتّوليد الجّوهريّ المُواكِبِ لموجةِ الحداثةِ الغَربيّة.

وعندَ تَشخيصِ الأزمَةِ الحقيقيّة لبلاغتِنا العَربيّة في مَراحلِ تَطوّرِهَا المختَلِفةِ، يصبحُ حقيقاً علينا تفْنِيدُ وجهات النّظر الدّاعية إلى إنّ الإشكالَ يكمنُ في صُلبِ البلاغةِ بوصفها خِطابًا وصفيًّا، وأداةً تحليلية، وأثباتِ إشكالية لُغةِ الخِطابِ المَوصوفِ، بمعنى أنّ الخلل ليس في الخِطابِ (الناتِجِ)؛ بلْ في لُغتهِ المُنتِجة، مما يدعونا للبحثِ والتّنقيبِ عن أدواتٍ بنّاءَةٍ تستمدُ قوّتها من الأصلِ ، تجمعُ بينَ بلاغتي التأصيل والتّجديدِ، لا تنحرفُ عنهما إلاّ بالقدرِ الذي يستدعي ضرورة الاشتغال بالعروضِ المطروحة والاقتراضِ منها، بحسب حاجةِ ذلكَ الخطابِ ليكونَ منسجمًا مع الواقع المُعاصِر، وليس بدعوى فقرِ بلاغتنا وعجزها عن التّفريقِ بينَ المنهجِ والفَهمِ الدّقيقِ، وهذا هوَ مدارُ انشغالِ الصادقينَ المُخلصين من مفكّرينا الباحثينَ عنَ تأريخٍ لاتمحُهُ عقولُ المفلسينَ في كُلّ زمانٍ ومكانٍ، الحَارسِينَ أسوارَ قلعةِ البلاغةِ العربيّة .

نؤكّدُ أنَّ البلاغةَ العربيّة وليدةُ عَصرِها، وصَنعةُ العربِ الأولى، تجذّرت في مدوّناتهم منذُ النشأةِ الفطرية، وامتزجت بأعظم الكتبِ السّماوية، وبالبَيانِ النّبويّ، مُخلصةً لجذورها وأصولها ومقاصِدها، بعد أنْ أيْنَعتْ عَلى يَدِ الإمَامِ عبدالقاهرِ الجُرجانيّ، واستوَتْ على سُوقها تُعجب الزرَّاع، ما لَبِثت أن استقرَّت في يَدِ عُلماءِ الكلام والفلسفة والمنطق، فحوَّلوها إلى تعاريفَ وتقاسيمَ محورها الجّدَل العَقيم، وهي بفرادتها وتميُّزها لاتخشى الانفتاحَ والتلاقحَ الثقافي معَ علومِ عصرِها، ولا تجدُ حَرَجًا في تحديثِ رؤاها، ومدِّ جسورِ ماضيها بحاضرها، وتجديدِ مناهجها، وهذا لايعني الانسلاخ من هويتها العربية، ولاخرقًا لمعاييرها وأسس تشكُّلها، بقدرِ مايؤكّد فاعليتها على إحداث تغيّرات جذريّة في مقولاتها واستراتيجياتها المعرفية؛ لاسيّما ذات الصّلة الوثيقة بها ، كالأسلوبيّة، والسيميائية ، والجمالية، واللسانيّة، وعلم النّصّ، فكان من الطبيعيّ أن تشهدَ تطوّرًا ملحوظًا رافقَ عصرَ الثورات العلمية في مختلفِ مجالاتِ المعرفة متحررةً من قيود المعياريّة الصارمة التي فرضتها النسقية الميتافيزيقية المنطقية لكُلّ أنواعِ الخطابات . وتأسيسًا على ماسبق يقترحُ البحث مسارًا مختلفًا لمشاريع قِراءة البلاغة العربيّة ذات الكشوفات النقديّة، مِن خلال الارتكاز على أرضية معرفيّة تنشأ من وضعٍ تواصليّ ناتج عن استجابات الرّاهن، وإدراك جليّ لأزمة البلاغة سَواء على مستوى إنتاجيتها المعرفية، أم على مستوى التعامل بها إجرائيًّا، وهنا نرصدُ ماتعرضتُ لهُ من حملاتِ تشويهٍ مُغرضة، وتَجَنٍّ خطير، توشّحَ بدعوات الإصلاحِ والتّجديد، لِنصلَ إلى نتيجةً مفادُها أن البلاغة العربية تتغلغلُ في مجمل الأنشطة التّواصليّة حتى تكاد تتحول إلى علمِ العلومِ والمعارفِ كُلّها، وماتزالُ هناك حقول كثيرة لم تحظَ بالاهتمام الأكاديمي الذي يليقُ بها .

ثَانيَاً: البُعدُ التَّأوِيليّ لهُوِيَّة البَلَاغةِ

من الطبيعيّ جدًا أن ينبثقَ على الساحةِ الاعتقادُ السّائد أنّ البلاغة العربيّة إنَّما هي مباحثٌ تكميليةٌ تُضافُ إلى الصّنيعِ الأدبيِّ زينةً وتحسينًا عرضيًّا، وأنّها غير معنيّةٍ بالمضامينِ والدّلالات الجوهرية؛ لكنّنا عند التنقيبِ في المنطلقات الأولى للبَلاغة العربيّة تتكشّفُ صورُتها الحقيقية، وهي: صَنعةُ القولِ التي جُبل عليها اللّسانُ العربيّ الفصيح في صراعهِ بين المُتكلّم والمتلقّي وحَملُ الثّاني على الاقتناعِ وتعدّدِ الرؤى.

ونَحنُ إذ نُحقّقُ مَفهومَ البلاغةِ العربيّة ونؤصّله، ونرصدُ تطوّرهُ التاريخيّ، نستقصي بذلكَ تحديدَ المفاهيمِ والخَلفياتِ النّظريّة، والآليّات التّطبيقية، والمَقاصِدَ المُحرّكة للدِّراسات المُعاصرة، ونثبتُ نسقيتها في منظومة التراث العربيِّ، ومن أشدّ المظالم التي تعرّضت لها البلاغة الأصيّلة، وسمُها بالبلاغة القديمة تلك الأصول التي أينعت واستوت على يدِّ شيخ البلاغيين عبد القاهر الجّرجانيّ، وفكرهِ البلاغيّ ومقولاتهِ التي اكتسبَت مقامًا فذًّا في الوسط المعرفيَّ، ومنهجًا لفهمِ تراثنا البلاغيّ منذُ القرنِ الخامس الهجريّ إلى يومنا هذا، ورُدفت تلك الأصول بمسميات شتى مؤطَّرة بـ (البلاغة، أو البلاغات الجديدة)، وما تولّد عنها من بلاغاتٍ مُعاصرة وحداثوية، ومن أوائل الممهّدين لهذا الشأن الناقدُ المُعاصر عبد السَّلام المسدِّي الذي صرّح ـ بأنَّ الأسلوبية (Stylistique) وريثةُ البلاغة القديمة، بعدَ موتها وانقضاءِ أجلِها، وَوَصَفَهَا بكونها مجموعة مفاهيم لا تصلح لمقاربة الخطابات بلهجة تَتَجنّى على البلاغة أو تستحضرُ البلاغة الغربية، وتُقصِي الجّانبَ العربيّ مُطلَقًا ، مؤكّدًا ذلك بقولهِ:"وإذا تَبيَّنا مُسلَّمات الباحثين والمنظّرين وجَدناهَا تُقرّر أن الأسلوبيّة ولِيدةُ البلاغةِ، ووريثتُها المباشرة، معنى ذلك أنّ الأسلوبيةَ قامت بديلًا عن البلاغة"[41]، وذات المعنى نرصده في تصريحاتِ محمد عبد المطلب المتضمّنة: "البلاغةُ لم تَعُدْ قادرة على الاحتفاظ بكُلّ حُقوقِها القَديمة التي كانت تُناسبُ فترةً مُعينةً مِن مَاضِينا، والتي يجبُ على البَاحثِ في الأسلوبيّةِ وضعُها في اعتبارِهِ"[42].

بيد أننا حين نقفُ في مواجهةِ طودِ التاريخ البلاغيّ الشَّامخِ ، نلِجُ طيّاته ونتصفحُ تفاصيلهُ الدّقيقة، نجدهُ تاريخًا حاضرًا مُغيّبًا، حجبتهُ سُحبُ الغمامِ عن زخِّ محمولاتهِ، ونحنُ حِيالَ ثراءِ المخزون التراثيّ البلاغيّ العربيّ نقفُ عاجزينَ عن المقارنةِ والتّقريبِ بين وجهاتِ النّظر التّاصيلية، ونَجدُ أنفسنَا أمَامَ تَحدّياتٍ تقتضي مِنّا ضرورةَ إعادة النّظر والتّقييم، والتّفكِيرِ في طُرقِ التّجديد؛ لأنَّ البلاغةَ القديمة حِينَ يُماطُ عن وجهها لِثامَ الجماليات، ويُكشفُ عن ألوانِ الهيئاتِ التي تُصاحِبُ السِّياسيِّ، والدَّاعيةِ الدِّينيّ، والمُتجبِّرِ الحَاكِمِ، والخَطِيبِ الذي يُبرِّرُ أفعَالَ سيِّدهِ سُرعانَ ما تتَحوّلُ إلى أنماطٍ مُقولبة يُستعانُ بها عندَ ضروراتِ التَّعبيرِ وحسب.

كُلّ هذا الإبهَام جَعلَ تَعريفَات البَلاغةِ تَتشعّبُ بِمُرورِ الزّمن، فتَجزّأت؛ بلْ تَقابَلت، لأنّ البَلاغة التي تَرومُ الإمتَاعَ أو إثارةَ الأهواءِ هِي غَير الأُسلوبيّة، وغَير الحِجَاج الذي يَستفرِغُ الوسعَ لأجلِ الإقنَاعِ بالأدلّةِ. وَهَكذا أصبحتِ البَلاغةُ حَاضرةً في لُعبةِ الأهواءِ، وفي الأدبِ، والّسياسة، واللّغةِ الطّبيعية، والاستدلال غيرِ العِلمي، والرّأي، وإجادةِ الكَلامِ ، والمُضمَرِ، والقَصدَيّة المُتواريةِ خَلفَ المُضمراتِ، والمَجَازِيّ، أي: في اللّاشُعور الذي يُشفّر لُغةَ المَجازيّات ؛ فَالبَلاغةُ، باختصارٍ وبَعيدًا عَنِ الانحِسَارِ، تَزدادُ في الانتِشَارِ ؛ ليَكونَ الثّمنُ فُقدانَ وحدَةِ العَقلِ ، ولَعلّ الرِّهان اليوم هُو مُحَاولةُ وَضعِ تَعريفٍ مُحدّدٍ جامِعٍ ؛ لكنّه مَخصوص، يَحتَضِنُ المُرافعةَ القَضائيّة كَمَا يَحتَضِنُ الخِطابَ الإشهَاريِّ، ويَحتضِنُ الاستِدلال المُحتَمل كَمَا يَحتضِنُ اللّغةَ الأدَبيّة وصوَرَ أُسلوبِها، ويَحتضِنُ بَلاغةَ اللّاشُعور كَمَا يَحتَضِنُ قَواعِدَ النِّقاشِ العُموميِّ، حيثُ تتَواجهُ الآرَاءُ أو تَتنَافَى بِسبَبِ الأيديُولُوجيا[43].

وقد رافقت النّظرة المُختزلة للبَلاغة العَربيّة، في أوجِّ عِزِّها في القَرنينِ الرَّابعِ و الخامِس الهِجريين حتى مجيء السّكاكي في القَرنِ السّابع الهجريّ؛ فانتقلتِ البَلاغةُ من التّذوقِ والفَنِّ كونها الأداة القويَّة التي تُوزنُ بها الأعمال الأدبيّة ، ويُتذوقُ بها الجّمال الفنّي في أداءِ البُلغاء، ويوازنُ بين مُبدعٍ وآخر إلى الغايةِ التعليمية، وتعطّلت بقية وظائفها، وهنا تمرُّ بمنعطفِها الأوّل الذي يُمثّل بِداية الأزمة المرهونة بالتّشكّلِ والوعِيّ المَعرفِيّ.

لا يَختلفُ الباحثون على أن عملية اعادةِ قِراءة التُّراث البلاغيّ قراءة مُتأنّية واعية؛ لاستنباطِ قيمهِ الفكرية بمختلف أنماطها وأشكالها يعد ضرورة نظرية وتحليلية تستدعيها مسوغات ذاتية وخارجية يطولُ الحديثُ عنها، وليسَ مقامُها الآن[44]؛ لذلك اتّجهتِ خطواتُ الباحثينَ المُعاصرين اتجاهينِ مُتقابلينِ :

- أولهما : القِراءةُ التّأويليّة أحاديةُ النّظرةِ للنّص التُّراثيّ البلاغيّ .

- وثانيهما: القراءة الشمولية المُتجاوزة للنمط الاختزاليّ.

وفي سياقِ هاتينِ القراءتين نضجت اجتهاداتٌ وأبحاث ودراسات تقفُ فيها البلاغةُ العربيّة موقفَ الموروثِ الصامدِ المُحاور لِما هو عالميّ كونيّ في بناءٍ مُشتركٍ يُغربِلُ جميع الثنائيات المُنهكة والمُستهلَكة (القديم والجديد، اللفظ والمعنى، الأخذ والسرقة، التأويل والتفسير ...)، وتسعى إلى نمذجة التّفكير النّقدي وكسرِ قوالبِ المرجعيات المُتصلّبة، فهي بذلك ليست تبعيةً وخضوعًا للآخرِ، أو هيمنةً للتّجديد، بقدرِ ماتعني الجِّدية في السعيّ، والغنى والأصالة والتّمكُّن من الأدوات التعبيريّة القادِرة على إنتاجِ بلاغاتٍ حديثة ذاتَ قُدرةٍ وصفِيةٍ عَالية، تمتدُ عبرَ حدودها إلى استكشافِ مساحاتٍ شَاسِعةٍ في فضاءِ النصوص، وتمهيدها يتطلب خلفية معرفيّة مَناطُ همِها انتاجُ(البلاغة الجديدة) وبعده هو صياغةُ بلاغةٍ عامةٍ للخطابِ[45].

ثَالِثًا: البُعدُ النَّسَقِيّ لِلهُويَّة

بدءًا لابُدّ لنا من الوقوفِ على مفهومِ النَّسقِ ، وتوضيحِ مضامينهِ الدّلاليّة؛ لربطهِ بالقراءة الحديثةِ الأولى للبلاغةِ، ففي استنطاقِ مُجملٍ للبيانات البحثية في هذهِ النّيمة نجدُ أنّ النّسقَ يرتبطُ ارتباطا مفاهيميّاً جوهريّاً بالبنية بوصفها كِيانًا عقليّاً أقربُ للتّجريدِ منهُ للتعيينِ ؛ فهي (مجموعة العلاقاتِ المُترابطةِ الحَاكمةِ للعناصرِ الداخلية في اتّساقٍ وانتظامٍ وتوافقٍ يكسِبُ النّسق قيمتهُ التي تُمكنك من التّلذّذِ بالنّص[46]، وبحسبَ اطّلاعِنا أنّ الكتاب الوحيد الذي أجرى قراءةً نسقيّةً شمُولية للبلاغةِ العربية هو (البلاغة العربيّة ، أصُولها وامتداداتها)[47]، بدءاً من إرهاصات نشأتها الأولى وصولاً إلى قمة عطاءاتها مع عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني، فقد تميّز المؤلّف ببراعتهِ في النقدِ والمحاورةِ والتّفكيكِ بالمعنى الدّرايديّ - نِسبةً إلى تَفكيكيّةِ جاك دريدا - ناقَشَ بمنهجيّةٍ جديدةٍ نسقيّةٍ جميعَ الأُسس النّظريّة للقِراءات المُضطربة بُنيةً واصطِلاحًا ومفهومًا، والتي تُمَجّدُ عصرَ السّكاكيّ والقزوينيّ.

في سِياقِ هذه القراءةِ للتُّراثِ البلاغيّ العربيّ، والاجتِهاداتِ الغربيّةِ الحديثة نَضَجتِ الأبحاثُ المنشورة في كتاب (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول)[48]، تلكَ البلاغة التي تُقدِّم الحِجَجَ والبراهينَ على إمكانيّةِ صناعة بلاغة حديثة عامّة للخِطابِ الاحتماليّ تخْييلًا وتَداولًا ، وتقِفُ مَوقِفَ المُحاورِ الكُفءِ في حضورٍ قويٍّ مستمر يعرِضُ المباحثَ تاريخيّا ونظريّاً وتطبيقيّاً ، ويُناقش ويُحلّل الفرضيّات ويضعُ المعالجات العميقة ضمن أنساقٍ بنيويّة مُتكاملة .

ونحنُ حِيالَ ثراءِ المخزونِ التّراثيّ البلاغيّ العربيّ نقفُ عَاجزينَ عَنِ المُقارنةِ والتّقريبِ بين وجهاتِ النّظر التّاصيلية، إلاّ أنّنا نجزمُ بنسقيّة البلاغة الحديثة عِبر القراءات الشّمولية للبلاغةِ العربيّة القديمةِ في امتداديها النّصيّ

والتّداوليّ، مِمّا يدعمُ الرّغبةَ التي عبَّر عنها الدّارسون المحدثون من مَواقِعَ مُتعددةٍ: لسانيّة (تداوليّة)، وفلسفيّة (منطقيّة)، وأدبيّة (شعريّة) في بناء علم عام للخطاب، وتُعطِيها مَشروعيةً تاريخيةً ومِنهَاجِيّة.

وهنا نؤكّدُ أنّ السّاحةَ البلاغيّة شَهدت تحوّلاً نسقيًّا على صعيد بنية الخطاب الحجاجي المُهيمن إلى التّحسين البلاغي أو البلاغة الشّعريّة، وإذا كانَ الأمرُ يحتاجُ بالنسبةِ لدارسي تاريخِ البلاغة الغربية إلى منظومةٍ اجتهادِيّةٍ تأويليّةٍ، فإنّه لا يُكلِفُ دارسي البلاغة العربية أكثرَ مِن الخُروجِ عَن إسار البلاغة العربية المُختَزلة في صياغةِ السّكاكيّ لرؤى الجّرجانيّ؛ وذلك باستقراءِ منظومة الأصول التي عرضها بلاغيو التّجديدِ والمُعاصرةِ والحداثةِ ممّن كانوا يسيرون بموازاة هذهِ التّوجُّهات والطّروحات، ولا يكادونَ يتقاطعونَ مَعها إنْ لَم يَكونوا مَعَها عَلى طَرفَي نَقيضٍ، وأمثلتُها الكثير مما يصعبُ حصرهُ هنا.

إنّ البحثَ عَن بلاغةٍ عَامةٍ للخطابِ وفق قراءاتٍ نسقيّة شموليّة ليسَ مُجردَ مقترحات لسانية وسميائية تسعى لتقديم نظرية عامة لتحليل الخطابِ؛ بل هي ترجماتٌ فكريّة معرفية تسعى للنهوضِ بها من واقعها التعقيديّ إلى فضاءاتٍ أرحب، وتتمثل هذهِ القِراءات في مجمل الدِّراساتِ والمؤلّفات المُتجاوزة للمنظور السَّائدِ لبلاغتِنا العربيّة، وتسعى في محاولاتها الجّادة إلى بلورةِ نماذجَ مكتملة لبلاغةٍ جديدةٍ، تتخذُ من البُعدِ التَّداوليّ الحِجاجِيّ منطلقًا لها، بدأت مشروعها البحثيّ التّأليفيّ في أواخرِ القرنِ الماضي، في وقتٍ كانت البلاغةُ العربيّة تُعاني من فراغٍ شبهِ تامّ؛ إلاّ من بعضِ مقالاتٍ مُتفرّقةٍ، وبعضِ المؤلفات التي لاترقى للمستوى المطلوبِ، لعلَّ أهمها " كتاب في بلاغة الخطاب الإقناعي) ، وكتاب (دائرة الحوار ومزالق العنف) ، وكتاب(أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) ، وكتاب (الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية)[49] .

هذهِ المنظومةُ البلاغيّة المعرفيّة تؤكّد بما لا يقبل الشَّك أهمية البلاغة في دراسات الهُويّة، وفي هذا السِّياق تنبّه الباحث لآن برونر في مقالٍ لهُ، إلى أن دراسات الهوية المعرفيّة تغيبُ عنها نظريةُ البلاغة، أو النظريات المرتبطة بالأبعاد الإقناعية للخطاب، مع إبداء تعجبه من أن الهويّةَ الوطنية تنتجُ بوساطة البلاغة، كما أشارَ إلى أن أغلبَ النصوص المتعلقة ببناء الهُويةِ تفشل في ذكر هذا الفرع من المعرفةِ[50]، فحاول تبعاً لذلك إلقاءَ الضوءِ على مجموعةٍ من النظريات البلاغية التي من شأنها الإسهام في نقد القضايا المتعلقة بتحديدِ الهوية المعرفيّة؛ لكنه في حقيقة الأمر لم يتجاوز منطقة التفكير النظري في شأن الهوية عموماً والهُويّةُ الوطنية على وجهِ التخصيصِ، ومن ثم تتوضحُ أهميةُ هذه المحاولةِ بهدف استخلاص مفهوم البلاغة الذي كان رهيناً بمفهوم الهُويةِ في عصرِ النهضة العربية الحديثة.

ونحنُ نتحاشى الخوضَ في مفهومِ الهُويّةِ فلسفياً؛ فإننا بحكم انطلاقنا من مقاربة بلاغية يلزمنا الكشفُ عن وسائلِ بنائِها عندَ أحد المفكرين المُعاصرين، ولعل من بين أبرزهم ما أختاره البحث عينةَ التطبيقِ في المحور الثّاني الآتي.

المِحوَرُ الثَّاني: فلسفةُ الهُويَّةُ البَلَاغِيّةِ مِن مَنظُورِ مُحمَّد أبُو مُوسَى

أوّلاً: شيخُ البَلَاغِيينَ، إضاءةٌ تَعريفيّةٌ

هو مُحَمَّد مُحَمَّد حَسنين أبو موسى، ولدَ في قريةِ الزوامِلِ البحرية، مركز دسوق، محافظة كفر الشيخ، في اليوم الثلاثين من الشهر السادس من عام ١٩٣٧م، حفظَ القرآنَ الكريم صغيراً، وبدأ الدراسة في الأزهر عام ١٩٤٩م، حتى حصل عام ١٩٦٣م، على الإجازة العالية من الكُليةِ العَريقةِ، كليةُ اللُّغةِ العَربيّةِ بجامعةِ الأزهرِ الشريفِ ، بالقاهرةِ، حيث اختار الشعبة اللغويّة، وتخرَّج فيها بتقدير جيد جداً، وكان من أوائل الكلية؛ تلكَ الكلية التي زخرت خلال

الخمسينيات والستينيات من القرنِ الماضيّ بقاماتٍ شامخةٍ من العلماءِ وشخصياتٍ فذّةٍ خلفت في مجالِ البلاغةِ القرآنيةِ وأساليبِ البَيانِ العربيّ آثاراً باقيةً، وأعمالاً متميزة، ألقت أضواءً جديدةً على بلاغةِ القرآنِ، وأصول البَيانِ، وعلى الوشائج الوثقى بين علومِ العربيةِ وعلومِ الشريعةِ الإسلاميةِ، من أمثال: عرفة والنجار، وأبي رجاء، ومحمد نائل، وعضيمة، والسراحين، ومحمد كامل الفقي، وحسن عجلان ، وآخرين كثيرين، في كوكبة مشرفةٍ وجيلٍ غني خصبٍ ، قاد حياة أزهرية علمية زاهرة في هذه الكليةِ[51].

عُيِّنَ معيداً في الكلية عام ١٩٦٤م، وحصل على إجازةِ التخصص(الماجستير) في البلاغةِ والنقدِ عام ١٩٦٧م، وكانَ عنوانُ البحثِ:(بلاغةُ المفتاحِ : دراسةٌ وتقويمٌ)، وفي عام ١٩٧١م حصل على العالمية (الدكتوراه) برسالتهِ المَوسومة ب(البحثُ البلاغيّ في تفسيرِ الكشَّافِ وأثرهُ في الدِّراساتِ البلاغيّةِ)، وكان مُشْرِفُه هو الشيخ كامل الخوليّ، وقد نَشرها كتابًا بعد ذلك بعنوان :(البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية)، في هذا المناخِ العلميّ تفتحت المواهبُ الزكيّةُ التي امتنَ اللهُ بها على الشّاب مُحمَّد مُحمّد أبو موسى، وصقلت أدواته، وارتوت طموحاته، وتحدد طريقه، واستقامَ نهجهِ.

وجاءت تلكَ المرحلة بعدَ تكوينٍ أزهريٍّ متينٍ ، وبُنيةٍ تحتيّةٍ صلبةٍ، وإلمامٍ جيدٍ، وتمرُّسٍ وثيقٍ بالعلومِ الأساسيةِ، في فنونِ العربيّةِ من : نَحْوٍ وصرفٍ وبيانٍ ، وفي مجالاتِ الشريعةِ الإسلاميةِ من : فِقهٍ، وأصولهِ، وتفسيرٍ، وحديثٍ، فكانت وجوهُ الرأيِّ، ونظرياتُ الفكرِ اللغويِّ ، وإبداعاتُ الفنِّ الأدبيِّ ، ومدارسُ الحياةِ الفكريةِ وتياراتِها بعدَ ذلكَ، التي شهدها الشاب الموهوب في القاهرة ، في إطار هذه الكلية وخارجها أيضاً، بناءً علويّاً على أصلَ راسخٍ مكينٍ، وصقلاً فكرياً لتوجُّهٍ أصيلٍ واختيارٍ رزينٍ ، في كيانِ هذا الشَّيخِ الشَّابِ، الذي اختطَ لنفسهِ طريقهُ الخاصّ في فقهِ العربيةِ وتذوقِ بيانها، والتّوفرِ على تراثها، والاختصاصِ بالبحثِ العلميِّ في جماعِ ذلكَ كُلّهِ، وهوَ العلمُ المُسمّى بـ (علمُ البلاغةِ العَربيّةِ)[52].

عُرفَ مبكّراً حين أخذ يُصدر بعض ثمار فكره البلاغيّ، وقد أصبح له قولهُ، وفكرهُ الخَاص في حقيقةِ (البلاغة) ومنظومتها العلمية، وقيمتها الفنية، وأصولها القرآنية.

مُؤلفاتُ الشَّيخِ مُحَمَّد مُحَمَّدٌ أَبُو مُوسَى

لهُ ما يُقاربُ الخمسةَ وعشرون مؤلَّفاً، وكُلُّ هذه المؤلفات طبعت أكثر من مرَّةٍ؛ لكثرة تهافتِ طلبة العلمِ؛ بل العلماءِ أيضاً عليها من كُلِّ بقاعِ الأرضِ، وهذه المؤلفات جَمعت بين دفتيها ما يقرب من ستة عشر ألف صفحة، كُلُّها من نفيسِ العلمِ وشريفهِ، ومُقدِّماتُها في كُلِّ طبعة منها هي مشروعات علمية ضخمة، نذكرُ منها على سبيلِ المِثالِ لا الحصرِ ؛ لأنّه لايسعُ المجالَ ذكرها كُلّها، وهي :

1. البَلاغةُ القرآنيةُ فِي تَفسيرِ الزَّمخشريِّ وأثرُهَا في الدراساتِ البلاغيّةِ.
2. مِن أسرَارِ التَّعبيرِ القُرآنيّ : دراسةٌ تحليليةٌ لسُورةِ الأحزابِ.
3. خَصائصُ التراكيبِ: دراسةٌ تحليليةٌ لمسائلِ علمِ المَعَاني .
4. التَّصويرُ البَيانيّ : دراسةٌ تحليليةٌ لمسائلِ البَيانِ .
5. قِراءةٌ في الأدبِ القَديمِ.
6. دِلَالاتُ التراكيبِ: دراسةٌ بلاغيةٌ.

7. القَوسُ العذراءُ- وقراءةُ التراثِ.

8. الإعجازُ البلاغيّ: دراسةٌ تحليليةٌ لتراثِ أهل العلمِ.

9. دراسةٌ في البَلاغةِ والشعرِ.

10. مدخلٌ إلى كتابيّ عبد القاهر الجرجانيّ.

ثَانِيَاً: مَوقفُ شَيخِ البَلَاغَةِ مِن تَنَوّيعَاتِ مَصَادِرِ التّكوِين البَلَاغِيّ

كانت للنّصُوصِ الأدبيّةِ على اختلافِها مكانةٌ في دراسةِ الدكتور أبي موسى البلاغية، فهو يرى أنّها لُبّ التّجديدِ البلاغيّ، وميدانُ البلاغةِ الحقيقيّ ، الأمرَ الذي اجتهدَ أن يرسخهُ في نفوسِ الدّارسينَ والباحثينَ، ففي رأيِهِ "أن دراسةَ الكلامِ المختارِ وتحليلِهِ، واستجلاءِ معانيهِ هي الغايةُ التي وراءَ كلّ فروعِ الدراساتِ اللغويةِ بمختلف مذاهبها"[53]؛ لأنهُ يؤمنُ بأن التطبيقات في الدرسِ البلاغيّ هي حياتهُ ونماؤهُ ، وتتركزُ فيها قدرةُ البليغِ ومهارتهُ ، فقواعدُ البلاغةِ وأصولها يمكن أن تُجمعَ في صفحاتٍ ، والمهمُ هو التطبيقُ والنظرُ المتثبتُ في النصّ المدروسِ وتحليلِ تركيبهِ ، وإبرازِ محاسنِ صياغتهِ ، ودلالاتِ خصوصياتهِ، فالفنونُ البلاغيّةُ "تحيا ما دامت تتقلبُ في أدغالِ النص، وتضربُ في مجاهلهِ ، وتتولجُ بمهارةٍ ورياضةٍ ويقظةٍ إلى خفيّ أحوالهِ ودقيقِ خصائصهِ ، وإذا عزلتَ البلاغةَ عن هذا ذهبتْ قيمتُها ، وصارت علماً باطلاً ولو حفظتَ دقائقَ متونِها ، لأنّ المقصودَ من العلم أن يُستعملَ ، والتحليلُ هو ميدانُ استعمالِ البلاغةِ"[54].

ويؤكد الشيخُ البَلاغيّ أنّ "كُلّ قيمةٍ لمسألةٍ بلاغية لا وجودَ لها إلاّ في تحليل النصّ ، ولو قلتَ : إنَّ الاكتفاءَ بتحصيلِ البلاغةِ من مصادِرها وعدمِ الخوضِ بها في معمعانِ الشعرِ والخُطبِ والرسائلِ، وكلامِ أصحابِ النفحاتِ البيانيةِ لا معنى لهُ إلاّ الاكتفاءَ ببلاغةٍ ذات رئةٍ واحدةٍ ، أو الاكتفاءُ ببلاغةٍ تترنحُ على ساقٍ واحدةٍ ، لم تكن متجاوزاً للصوابِ"[55] .

ويُقررُ أنّ ضالةَ علمِ البلاغةِ التي ينشدُها هي في النصّ أي: هي "الدقائقُ والخفايا التي لها أقوام هدوا إليها ودلّوا عليها، وكشفت الحجب بينهم وبينها ، وهذا هو موضوع هذا العلم . . . وكل مفردات هذا العلم في صميم علمِ تحليل النصّ ، ابتداء من مقدمةِ الفصاحةِ والبلاغة ، وانتهاء بأصغر فنٍ بديعيّ ، كل هذا وسائلُ وأدواتٌ تعينك على استكشافِ جوهرِ النصّ"[56]، فالدكتور أبو موسى يؤمنُ أنّ دراسةَ علمِ البلاغةِ لا تقومُ إلاّ على ما يجدهُ الدارسُ في نفسهِ عند قراءةِ الشعرِ والكلامِ المختارِ ، فالمادةُ البلاغيةُ مع فضلها ومكانتها لن تفيدَ الدارسَ ما لم يؤسس تناولهُ على هذا الأصلِ ، وهذا في رأيِهِ- هو الذي يجعلُ لعلوم العربيةِ مذاقاً غير مذاقها ، فحفظُ أصولها وفروعها دون الاطلاعِ على الشعر والكلام المصقول يجعل هذا العلم علماً معلقاً في الهواءِ لا يثبت على قاعدة .

وهنا نجدُ شيخَ البلاغيينَ أبا موسى يتفقُ مع الأوائلِ في حديثهِ عن البلاغةِ، وأنّها لا تأتي وصفاً للمفردةِ، يقول: "أما البلاغةُ فإنها لا تأتي وصفًا للمفرد فلا يقال : كلمة بليغة إذا أريد بالكلمة لفظ مفرد، وإنما يقال: كلمة بليغة إذا أريد بالكلمة القصيدة أو الخطبة"[57]، فالبلاغةُ تقعُ وصفاً للكلام والمتكلم، وهو هنا يتابعُ القزويني في تعريفه للبلاغة فيقول : "فبلاغة الكلام أن يكون مطابقا لمقتضى الحال مع فصاحتهِ[58]، إنه هنا حريصٌ على اقتفاءِ أثر البلاغيين في ذلك الحديث.

إنَّ التّكوين المعرفيّ الذي شكّلهُ الدكتور أبو موسى ينطلقُ من مضمونٍ فكري بلاغيّ بحت، هو إنّ علمَ البلاغةِ أدخلَ العلوم مجتمعةً في ميدانهِ المعرفيّ، لأن طلبتهُ في النصّ أعنى ضالته التي ينشدها في النصّ هى الدقائق والخفايا،

وهذا هو موضوع هذا العلم كما يقول مؤسسه الشيخ عبد القاهر الجُرجانيّ ، وكل مفردات هذا العلم في صميمِ علم تحليلِ النصّ، ابتداء من مقدمة الفصاحة والبلاغة، وانتهاء بأصغر فن بديعيّ، كل هذا وسائل وأدوات تعينكَ على استكشاف جوهر النصّ، ولا تظن أنه تحليلٌ للبناء اللغوى ينتهى بانتهائه، واعلم أن كل نظر في المبانى لا غاية له إلا النفاذ إلى المعاني، ومقالة أبي الفتح ابن جني وهى أن عناية العرب بألفاظها، إنما كانت من أجل عنايتها بمعانيها أصل الدراسة العربية كلها، فليس هناك عناية باللفظ من حيث هو لفظ، وإنما العناية به من حيث هو معبر عن خواطر القلوب، فإذا فرغ البناء اللغوى من هذه الودائع، كان الحلي في لفظه كالحلى على السيف الددان، كما يقول الشيخ عبد القاهر، والسيف الددان هو" السيف الذي لا يعمل في الضريبة، ولا يقطع، وحليته تزرى به، ولا يضعها عليه إلا أخرق، وكذلك البيان، والأسرار البلاغية التي يتحدث عنها العلماءُ هي أسرارُ القلوب والعقولِ المدسوسة في ضمائرها"[59].

نَهجَ الدكتور أبو موسى نهجَ السابقين والمتأخرين في تأكيدهِ هُويّة البلاغة المعرفيّة ، وانتمائها العربيّ الأصيل فحضارةُ كلّ أمةَ، وعلومُ كلّ حضارةٍ هي في جوهرها تفريعات تمتدُ من لغاتها، وعقائدها وذات نفوسها، فلا يبعدُ أن يجدَ البَاحثُ في نفسهِ خاطراً يقولُ إذا كانت كُلّ علومنا التي دارت حول الكتابِ والسُّنةِ علومٌ قد فرغت من الفائدة، ولم يبقَ فيها لزماننا شيء، وأنّ أصولَ النظرِ التي بنيت عليها محدودةٌ، وقاصرةٌ، فكيفَ دلت على كنوزِ الكِتاب والسُّنةِ؟ وكيفَ استخرجت لنا مراد الحقِّ من كلامِ الحق؟ هل يمكن أن تكون قد وفت بذلك مع قصورها، وضآلة مناهجها، أم أنها دلتنا على غير ضالتنا، ووضعت في أيدينا ديناً غيرَ دينِ الله، وحلالاً غيرَ حلالهِ، وحراما غير حرامه؟ وهذا الغرضُ الأخيرُ قالَ به أكثرُ البلاغيين من مفكرينَ قدامى ومحدثين ممّن ألمّوا بأطرافِ علومِ البلاغةِ العربيّة، وهم بهذا جديرون بأن يصنعوا فكراً عربيّاً خالِصاً، انتماؤه معرفيٌّ وهويّتهُ العربيّة متجذّرة في عُمقِ التأريخِ البشريّ، أصالةً وفكراً، وللقاضي الباقلانيّ مقولةً مأثورةً . في إدراكِ شرفِ كلامِ اللهِ تعالى، طالما ردّدها ونقلها شيخنا أبو موسى، هي : "وجهُ الوقوف على شَرَفِ الكلام أن تتأملَ"(٥٩) ، والشيخ أبو موسى يُنظمُّ في سلكِ هؤلاءِ الصَّادِقِين المُكدِّين، المنافحينَ عن العروبةِ والعربيّةِ، وكُتُبُهُ مَنادِحُ لو سارتْ بها العِيسُ كَلَّت ؛ فقد أحَاطَ فيها بعلمِ البلاغةِ : درساً ، ونقداً ، وتحليلاً ، وتذوقاً ، واستنباطاً ، وهذا فيضُ الوهابِ الله الذي يُعْطِي العَالِمَ على قدرِ صدقهِ وانقطاعهِ ، أقولُ ذلكَ لأنهُ لا يستقيمُ لِمَنْ أَمَّ الكتابة عن البلاغةِ العربيّة وعلمائِها الأفذاذ أن يحيطَ بهم في بحثٍ صغيرٍ، وليسَ عليهِ إلاّ أن يقبسَ من علمهِم ما ييسرهُ اللهُ لهُ .

الخَاتِمةُ ونَتَائِجُ البَحث

فِي رِحلةِ التّنقيبِ عن الهُويَّة المَعرِفيّة لِلبَلَاغَةِ العَرَبِيّة ، توصّلنا لمنظومةٍ من الكُشوفات البَيانيّة، التي تُعدُّ خطوةً أولى في خريطة الطريقِ لاستكمالِ البحثِ المَعرفيّ، كانَ أهمُّها:

١- ترسَّخت معالمُ الهُويّةِ التّعريفية للبلاغةِ العَربيّة، وتأصّلت جذورُها الممتدة في عُمقِ التأريخ العربيِّ منذُ بدءِ النشأةِ الأولى وإلى يومنا هذا.

٢- تَفنيدُ المَطاعِنِ التي طالتها بإثباتِ الشواهدِ والأدلّة العلمية المنهجيّة التي ساقها العلماءُ المفكرون قديماً وحديثاً.

٣- الآراءُ والطروحات التي تبناها شيخُ البلاغيين الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى، هي تأسيسٌ تجديديٌّ منهجيّ يصلحُ لكُلِّ زمان.

٤- الآراء النقديّة البلاغية المعاصرة أعادت صياغةِ ملامح هويّة البلاغة العربيّة من خلالِ تعريفها، وتنوّعِ دلالاتها.

٥- التّكوينُ المعرفيّ الذي شكّلهُ الدكتور أبو موسى ينطلقُ من مضمونٍ فكريٍّ بلاغيٍّ بحت، هو إنّ علمَ البلاغةِ أدخلَ العلوم مجتمعةً في ميدانهِ المعرفيّ، وشقّ طريقه نحوَ العلميّة المؤثِّرة وليست المُتأثِّرة.

٦- هُويّةُ البَلَاغةِ المعرفيّة، وانتماؤها العربيّ الأصيل، ينعكسُ من حضارتنا؛ فحضارةُ كُلّ أمّةٍ، وعلومُ كلّ حضارةٍ هي في جوهرها تفريعاتٌ تمتدُ من لغاتِها، وعقائِدها وذاتِ نفوسها.

٧- البَلَاغَةُ العَرَبِيّة أَتَمُّ مِن غَيرِها عَلى وجهِ الإطلاق.

الهَوامِشُ والإحالَات:

1) دَلائلُ الإعجاز:ص١٢٢.

2) المصدر نفسه.

3) كتابُ الحيوان: ٥/ ٣١٥.

4) نحنُ والآخر، دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر: ص٥٣.

5) المصدر نفسه.

6) يُنظر: الثقافة المختلطة والهوية الثقافية: ص١٥.

7) المصدر نفسه.

8) المصدر نفسه.

9) المصدرُ نفسه: ص٢١.

10) المصدر نفسه.

11) لسان العربِ، مادة(هـ-و-و).

12) تهذيبُ اللّغة: ٢٣٧.

13) القاموسُ المُحيط: ١/ ١٤٥.

14) تاجُ العروس: ٢/ ١١٦.

15) الثّقافة المختلطة والهُويّةُ الثّقافية: ص١٨.

16) الهُويَّةُ والزّمان: ص١١.

17) يُنظر : المصدر نفسه.

18) يُنظر : المصدر نفسه.

19) يُنظر :الثّقافة المختلطة:ص٢٧.

20) يُنظر : المصدر نفسه.

21) يُنظر: الهُويّة والزمان: ص٤٥.

22) الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي:٢/ ٢٧٣.

23) المصدر نفسه.

24) يُنظر: البلاغة أصولها وامتداداتها: ص٥٤.

25) يُنظر : المصدر نفسه.

26) البلاغة والأسلوب: ص١٥.

27) الأسلوبيّة والأسلوب: ص٤٨.

28) البلاغة والأُسلوبية: ص٣٥٤.

29) البلاغة: ميشيل مايير: ص٨٠.

30) بُنيّة اللغة الشعرية: ص٤٥.

31) ثورةُ الأدب: ص٤٨.

32) البلاغة، أصولها وامتداداتها:ص١٧٦.

33) مما قال شيخ البلاغيين فضيلة الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى في درسِ شرح كتاب(دلائل الإعجاز) بالجامع الأزهر الشريف، الأحد ٢٨رجب، ١٤٤٤هـ-٢٠٢٣م.

34) المصدر نفسه.

35) يُنظر : المصدر نفسه.

36) يُنظر:الثّقافةُ المختلطة:١٩.

37) المصدر نفسه.

38) كتابُ الصّناعتين: ٣٠٩.

39) يُنظر: أدبيّة النصّ:٦٧.

40) المصدر نفسه.

41) الأسلوبيّة والأسلوب: ٤٨.

42) البلاغة والأسلوبيّة: ٣٥٤.

43) يُنظر : المصدر نفسه.

44) يُنظر : المصدر نفسه.

45) يُنظر : المصدر نفسه.

46) يُنظر : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: ٢١٧.

47) يُنظر : المصدر نفسه.

48) يُنظر : البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول: ١١٤.

49) مجموعة من المصادر البلاغية التي ردَّ مؤلفيها البلاغةِ إلى منابعها الأولى.

50) يُنظر: البلاغة والهوية:١٦.

51) يُنظر : شيخُ البلاغيين محمد أبو موسى، بحوث مهداة لفضيلتهِ: ١٨.

52) يُنظر : المصدر نفسه.

53) البلاغة القُرآنية :ص١٦٠.

54) ملامحُ وإضاءات:ص٨٩.

55) دلالات التراكيب:ص٢١٦.

56) المصدر نفسه.

57) يُنظر: مراجعات في أصول الدرس البلاغي:ص١٨٦.

58) المصدر نفسه.

59) البلاغة القرآنية: ص١٢٠.

قائِمةُ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ:

أدبيّةُ النص: صلاح رزق، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

الأُسلوبية والأسلوب: د. عبد السّلام المسدِّي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٧٧م .

البلاغة: ميشيل مايير، ترجمة: محمد أسيداه، مراجعة: محمد الولي، دار الكتاب الجّديد المُتّحدة، ط١، ٢٠٢١م .

البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول: د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م .

البلاغة العامّة والبلاغات الخاصّة: عادل المجداوي، تقديم: د. عماد عبد اللطيف، دار العين للنشر، ٢٠٢١م .

البلاغة العربية، أُصولها وامتداداتها، د.محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩م.

البلاغة والأسلوب: د.مصطفى ناصف، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م .

البلاغة والأسلوبية: د.محمد عبد المُطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

البَلاغةُ القُرآنيةُ في تفسيرِ الزّمخشريّ وأثرها في الدّراساتِ البَلاغيّة، د. مُحمّد مُحمّد أبُو مُوسى، مكتبة وهبة،ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

البَلَاغةُ والهُويّةُ في عصرِ النهضةِ العربيّة الحديثة، تنظيرًا وممارسة، عادل المجداوي، دار كنوز المعرفّة- عمان، ط١، ٢٠٢٣م.

بُنية اللُّغة الشعريّة: جان كوهين، تر : محمد الولي، محمد العمري، دار توبقال للنشر، ط١، ١٩٨٦م.

تَاجُ العروسِ من جواهرِ القاموسِ، السيد محمد مرتضى حسيني الزبيدي، تح: على هلالي، التراث العربيّ- الكويت،ط٢، ٢٠٠٤م.

تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

الثّقافةُ المُختلطة والهُويّةُ الثقافيّة، بعضُ فرضياتِ جَدلِ الغريب والخاصِّ في وحدةِ الثقافةِ، أوسفالد شفايمر، تر: عبد الحكيم شباط، موقع الحوار المتمدن، ٥/ ١٥، ٢٠١٢م.

ثَورةُ الأدب، د. محمد حسين هيكل، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، مصر- القاهرة،(د.ت).

دَلَائلُ الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ، تعليق: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي- القاهرة.

شيخُ البَلاغِيين مُحمّد أبُو مُوسى، بُحوث مُهداة لفضيلتهِ بمناسبةِ تَجاوزِهِ الثَّمَانِينَ، تقديم: د. إبراهيم صلاح الهُدهُد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠م.

الصِّناعتين، الكتابة والشعر: الحسن بن عبد الله أبي الهلال العسكريّ، تح: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٠هـ -١٩٨١م.

كتابُ الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجّاحظ، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، (د.ت).

لسانُ العَربِ، للعلّامة ابن منظور، دار صادر-بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

مُرَاجَعات فِي أُصول الدَّرس البَلَاغِيّ، د. محمّد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤٤٠هـ-٢٠١٨م.

مِن تجلّيات الخطاب البلاغيّ، حمادي صمود، دار قرطاج للنشرِ والتّوزيع، ط١، ١٩٩٩م.

نحنُ والآخر، دراسةٌ في بعضِ الثنائياتِ المتداولةِ في الفكرِ العربيِّ الحديثِ والمعاصرِ، محمد راتب الحلاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،١٩٩٧م.

نظرياتٌ مُعَاصِرة، د. جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، ١٩٩٨م.

نظَرِيّةُ تَضَافُرِ القَرائِنِ فِي الدَّرسِ النّحويّ، دِراسةٌ تأصِيليّةٌ فِي التُّراثِ اللُّغويّ العَرَبيّ

The Theory of convergence of clues in the grammatical lesson, an original study in the Arabic linguistic heritage

خالد حامد عطية العلي [1]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract

Accurate readings in the texts of the Arabic linguistic heritage impose on the prudent researcher a comprehensive vision that differs in many aspects from the trends that preceded the research and explored its deep depths in order to reach definitive implications that depend on the firm foundations of what was known in the modern linguistic study as (the theory of evidence). Which is represented by the views of Dr. Tammam Hassan Al-Linguistics, which started in its new vision of this concept from a clear-cut picture, matured the original Arabic linguistic thought through applied cross-fertilization with modern Western grammatical theory.

In a critical attempt to reconcile the two approaches of view of the ancient Arab grammarians and contemporary linguists, both structural and generative, with the aim of establishing a modern Arabic grammatical theory, it will be necessary to carefully consider all opinions in the light of the series of studies carried out by Dr. Tammam Hassan, in agreement with those who studied his studies in this field. Those who followed it with research and scrutiny; and perhaps it would be useful through a close reading to stop at the originality of that theory and clarify the areas of dependence on the ancients, and delve into the idea of the factor and the method of evidence of commentary through the sensors of holistic thinking of Dr. Tammam Hassan; In order to reach an answer to all the questions raised under discussion, Tammam's study is no longer an arrangement of the old and scattered traditional ideas in the stomachs of theories, and the folds of methodological statements only; Rather, it went beyond that to establish a radical and original foundation that engulfed in comprehensive spaces in the Arabic linguistic study, which formed a system of innovative propositions that established a pure linguistic approach based on examining the language from within the language in an objective scientific research.

Keywords: *Theory - Synergy Of Clues - The Modern Linguistic Lesson - Tammam Hassan - Facilitating Grammar - Commentary.*

http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2-12

[1] Lect. Dr. Khaled Hamed Attia AL-ALI, College of Media, Al-Iraqia University, Iraq
khalid.sh.hamid@aliraqia.edu.iq

الملخص:

تَفرِضُ القراءاتُ الدّقيقةُ الفاحصة في مُتونِ التّراث اللّغوي العَربي ، على الباحثِ المُتَبحر الحصيف رؤية شمولية مُغايرة في جوانبَ عديدة لتّوجّهاتٍ سبقت البحث وسبرت أغواره العميقة وصولاً لمدلولاتٍ قطعيّة تُعتمدُ ركائز ثابتة لما عُرف في الدَّرسِ اللسانيّ الحديث ب(نظريّة القَرائِن)، تلك النّظرية المُتَمَثّلةً بآراء الدكتور تمام حسان اللّسانية التي انطلقت في رؤيتها الجديدة لهذا المفهوم من صورة واضحة المعالم نضّجت الفكر اللساني العربي الأصيل بالتّلاقح التّطبيقيّ معَ النظرية النحوية الغربية الحديثة.

وفي مُحاولةٍ توفيقية ناقدة لمنهجي نظر النّحاة العرب القدماء واللّسانيين المعاصرين من بنيويين وتوليديين قَصْد التأسيس لنظرية نحوية عربية حديثة، سيكون من الضرورة بمكان أن نمعن النّظرَ في جميع الآراء في ضوء سلسلة الأبحاث المُنجزة من لدن الدكتور تمام حسان، بالتّوافق مع منْ تناول درسه في هذا الميدان ممن تبعهُ بالبحثِ والتّمحيص ؛وربّما يكون مجديًا عبر القراءة الفاحصة التّوقف أبدًا عند أصالة تلك النّظريّة وبيان مجالات التّبعيّة للأقدمين، والخوض في فكرة العامل ومنهج قرائن التّعليق عِبر مجسّات التفكير الشمولي عند الدكتور تمّام حسّان ؛ للوصول إلى إجابةٍ عن جميع التساؤلات المطروحة قيد البحث إلى أن دراسةُ تمّام لم تُعد ترتيبًا للأفكار التقليدية القديمة والمتفرقة في بطونِ النّظريات، وطيّاتِ المقولات المنهجيّة فحسب؛ بل تعدت ذلك إلى تأسيسٍ جذري تأصيليّ يغورُ في مساحات شموليّة في الدّرس اللّسانيّ العربي ، شكّلت منظومةً من الطّروحات التجديدية المؤسسة لِمنهجٍ لغويّ خالص قِوامُهُ بحثُ اللّغة من دَاخلِ اللُّغةِ بحثًا عِلميًّا مَوضُوعِيًّا .

الكَلِمات المِفتاحيّة : نَظريّة - تَظافُر القَرائِن - الدَّرس اللّغوي الحَديث - تَمّام حسّان - تَيسير النّحو -التّعليق.

المُقَدّمة :

كثيرة هي المحاولات الجّادة لِفَهمِ النّظام اللّغويّ للعَربيّةِ، ومِن بينِ أهمِ تلك المُحاولاتِ وأرسخِها، وأبعدها أثرًا، نظريّةُ تَضافُرِ القَرائِنِ ؛ذلك لأنها من أبدع الدراسات في مسيرة النظرية النحوية العربيّة، وبالتالي حوّلت الدّرس النحويّ من منهجه اللفظي المُتمثّل في الإعراب القائم على فكرة العامل إلى منهج قرائن التعليق الذي يضع المعنى في المقام الأوّل، ومن هنا انطلقت البادِرة الأولى والحقيقية لتيسير تلكَ المفاهيم برؤية جديدة تتناسب مع الواقع اللّغوي العربيّ ، تلك البادرة التي قادَ زمامها الدكتور تمّام حسّان في كتابهِ "اللغة العربية معناها ومبناها"، كاشِفًا اللثام عن دورِ القرائن التي يرى بأن النّحاة قد غمطُوها حقّها من العناية؛ وذلك بسبب انشغالهم بقرينة واحدة من بينِ تلك القَرائن، وهي علامة الإعراب، فأظهرَ قيمة القرائن لبيان المعنى النحويّ، ووفقًا لهذا المبدأ ثبت عنده أن تمسّك النُّحاة بفكرةِ العامل، والتي عصفت متونَ مؤلفاتهم وشروحاتهم، أبعدت الدَّرس اللّغوي عن مصافِ الحداثةِ والتّجديد، وأغرقته في التّبعية المقصودة .

نضف إلى ذلك أنّ كثيرًا من المتأخرين الذين لم يحاولوا الانتفاع بنظرية "التعليق" التي توصل إليها شيخُ البلاغيين عبد القاهر الجّرجانيّ(ت٤٧١هـ)؛ لأنهم حين وجدوها تنطلق في دراسة بناء الجملة من المعنى إلى المَبنى، وتمعن في درس المعاني إمعانًا، ظنّوها تتناول بالدّرس عِلمًا جديدًا أطلقوا عليه اسم "علم المعاني"، وصرفوا نظرهم عنه لمن شاء الخوض فيهِ ومن لم يشأ الخوض فيه من أصحاب البلاغة.

السؤال الذي يطرحهُ البحث ليبدأ به مسارات التحقيقِ والتثبت ، هو :

– ما البدائل المَطروحةِ لإيضاحِ المعنى الوظيفي النحوي ؟.

– ومتى تسقطُ القرينةِ من أداءِ وظيفتها ؟

وفي إدراك هذه الحقائق تفسيرٌ لكثير مما عدّه النحاة مَسموعًا يُحفظُ ولا يُقاس عليه، أو مَن عَدّه شاذًّا، أو قليلًا، أو نادِرًا أو خطأً.

ومِن فرضيات منطقية من صُلب الواقع اللغويّ، جاءَ بحثنا مستندًا إلى مقدمةٍ يتبعها تمهيدٌ موسومٌ ب(تَضَافُر القَرائِن بينَ الأصالَةِ والتَّبعيّة)، وقد اقتضى هذا التّمهيد التّفصيلي عرضَ الحقائق البحثية مُقسّمة إلى محاور ثلاثة مُستفيضة ،لِنصلُ في نهايةِ كلّ مبحث إلى نتائج تدعمُ انطلاقتنا الأولى وتؤيدها بالقبولِ والاعتماد الناشِئ عن جملةٍ من المصادر والمَراجع المتنوعة التي تُعدّ ذخيرة الباحث ومنظومتهِ الداعمة لوجهات النظر المطروحة في جوانب الدّرس اللغويّ العربيّ؛ للوصول إلى أن فكرة تضافر القرائن قدمت الدَّرس النحويّ خاصةً، والدّرس اللغويّ عامّةً، وبنت نظرتها إلى اللغة نظرة شاملةً متكاملةً، وكشفت هذه الفكرة عن العلاقات التي تربط بينَ أنظمة اللغة الثلاثة، وما ينتج عن تفاعلها من المعنى الوظيفيّ .

أهدافُ الدِّراسة :

١- الوقوفُ عندَ أصالةِ نظرية تضافر القرائن، وتفنيدِ المزاعم حول تبعيتها.

٢- الخوضُ في فكرةِ العامل، ومنهجية قرائن التّعليق في فكرِ الدكتور تمّام حسَّان .

٣- تحليل الطروحات التّجديدية المؤسسة لمنهج لغويّ خالص قوامه بحث اللغة من داخل اللغة بحثاً علمياً موضوعيّاً.

٤- تسليطُ الضوء على فكر النّحاة في توزيعهم جملة القرائن، توزيعاً منهجيّاً عادلاً .

مَنهَجُ البَحث :

تفرضُ طبيعةُ الموضوع التّعامل بمنهجيّة البحث الوصفيّ التّحليليّ، الذي يتناسبُ مع الطّرح الشمولي لمنظومة الآراء اللّغويّة .

الّدراساتُ السّابقة :

١-الموازنة بين نظرية العامل ونظرية تضافر القرائن في الدرس النحويّ ،د.بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن،كلية الآداب-جامعة الطائف.

٢-نظريةُ القرائن في التحليل اللغويّ، د.خالد بسندي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب،٢٠٠٧م.

٣-نظريةُ تضافر القرائن ، عرضٌ ومناقشة، أ.د. عمار شلواي، كلية الآداب-جامعة بسكرة،الجزائر،٢٠١٨م.

خُطَّةُ البحث:

استندت خطّة البحث إلى تمهيدٍ وسِمَ ب(نظريةُ تضافرِ القَرائنِ بينَ الأصالةِ والتَّبعيّة)، عرضتُ فيهِ جذور هذهِ النظرية، وبيّنت عمقها الجوهريّ في الدّراسات اللغوية العربية، ورصدتُ بدقة الآراء التي حاولت تغييب هذا المفهوم وتحريفهِ، يعزز هذا التمهيد محاورَ ثلاثة، جاءت موسومة تباعاً، بالآتي:

**– المحور الأوّل: الجِّهَازُ المَفَاهيميّ لِنظَرِيّة تَضَافُر القَرَائِن.

*– المِحورُ الثّانِيّ: مَصفُوفَةُ القَرائنِ، والقَرائنُ البديلة في الدَّرسِ اللُّغويِّ الحَديث.

*– المحور الثَّالِث: نَظرِيَّةُ القَرائِن فِي مِيزَانِ النّقدِ،كشوفاتٌ لغويّة في المبنى والمعنى .

وأخيراً توصّل البحث إلى جملةٍ من النتائج العلميّة الدقيقة التي توخّاها منذ خطوتهِ الأولى، وهي اختيارُ العنوانِ والبحث في مضامينهِ .

نسأل الله تعالى في رحلتنا هذهِ التوفيقَ والسَّداد، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين .

التّمهيد : تَضَافُر القَرائِن بينَ الأصالَةِ والتَّبعيّة:

التُّراثُ اللّغويّ العربيّ مادةً خصبَة، تزخرُ بآلاف التصانيفِ منذ أن أصبحت العربيّة موضوع درسٍ وتقنين إلى يَومِنا هذا؛ حيث شغلت الدراسات اللّغوية القديمة مكانةً مركزيةً في الثقافة العربية الإسلامية، وهذا يبعث على الإعجاب والاعتزاز بهذا الموروث؛ لأنه يدّلُ على مجهودٍ وعملٍ فكريّ بالغ الأهمية، شكَّلَ بدوره رسالةً لسانيّةً قائمةً بذاتها؛ ولأهمية هذا الموروث نجد الكثير من الدراسات تناولته بالقراءةِ و النقد؛ حيث اختلفت نماذج القراءات المُسلّطة عليه، وتَحديدًا في العصور الحديثةِ، إذ حاول اللغويون العرب اقتراح نظرة جديدة إلى اللغة وكيفية دراستها، فكثرت الأبحاث التي تنادي بضرورة التحديث والتطوير في حقل الدراسات اللغوية العربية، وعلت الأصوات التي تُنادي بضرورة الإفادة من اللسانيات الحديثة ومناهجها واللحاق بركابِ توجُّهها، ومن هنا تعدّدت الاتجاهات الحديثة في حقل الدراسات اللغوية تبعًا لتعدد مناهج الدرس اللغوي الحديثِ، كلٌّ منها يحاول محاورة التفكير اللساني العربي القديم، آمِلًا في اكتشاف ما هو جدير بالاكتشاف في هذا الفرع من العلوم الإنسانية، على الرغم من أنّ هذه المحاورة لا نجدها إلاّ عند قلة قليلة من الباحثين الذين يتوفرون على إلمام واسع بالتراث، وعلى دراية واسعة بمعطيات البحث اللساني الحديث.

ومن بينِ المناهجِ الحديثة التي اعتمدها أولئك الباحثون أداةً لسانيةً علميةً لمحاورة التراث اللغويِّ العربيِّ (المنهج الوصفي)الذي استعانَ بهِ الكثير من الباحثين لإعادةِ قراءةِ اللغة، فكثرت بذلك الدراسات اللغوية العربية المستندة إلى هذا المنهج بمختلف اتجاهاته، وتنوعّت التّوجّهات الفكريّة، فكُلّ باحثٍ نجده قد تبنّى اتجاهاً وصفياً معيناً لقراءة التراث، ممّا يؤكّد القِيمةَ الّغويّة لنظريةِ تَضَافُر القرائن؛ ولتَحديدِ وبيانِ قيمتها الفعلية، وبيانِ مدى تأثّرها وتأثيرها في الدَّرس اللغويّ العربيّ، يستوجبُ الوقوفُ على قيمتها العلمية والتعليميّة أوّلاً، وعقد مُقارنة سريعة بينها وبين نظريّة العامل النّحويّ، حيث يكشفُ كتابُ (اللغةِ العَربية معناها ومبناها) عن بعض وجوه الإجابةِ عن التساؤلات المطروحة؛ لو دُقق النظر فيه مليًّا، وتُوخيّت المقصدية بالتحليلِ والتبريرِ المنطقي المُستندِ إلى مصادر الحكم النهائيّ ومراجعهِ، تظهر وجوه الحقائق جليّة للعيانِ ، وأولُ ما نستدلّ بهِ قول الدكتور تمام حسّان الذي افتتح فيه كتابه المُشار إليه آنفًا، واصفًا إياه بأنّهُ (محاولةٌ شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية).[1] نلمحُ فيهِ استثمارًا ذكيًّا للأفكار النحوية، هذه الانطلاقة تدعمها مقولات كثيرة لا تبتعدُ في دوافعها وغاياتِها عن أقوالِ دُعاةِ تيسيرِ النحو؛ بل قد نجد أنها من صميمها، وتصبُّ في الاتجاهِ نفسهِ، فقد ارتبطَ الحديثُ عن تيسيرِ النحو العَربيِّ بالنظر في نظريّة العَاملِ، فقُدّمت كشوفات بحثيّة جديدة للتراث تنطلقُ من منظور علم اللغة الحديثِ، ابتداء من جَعل النحو العربيّ دعامةً وأرضية مُشبّعة بمبادئ لغوية غربية، وانتهاءً بتقعيد مسائلَ منهجية إلى هذا فإنّه يُعدّ ((دراسةً نظريةً قوامها منهجٌ جَادّ يتناول نظام اللغة العربية في صورته الشاملة، من وصف فروعها الصوتية، والصرفية، والنحوية وصفًا يكشف عن تفاصيلها وتكاملها وعطاءِ كل منها في سبيل الكشف عن المعنى للوصول إلى الإفادة))[2]، فبرزَ هدفهُ في الوصول إلى المعنى الذي غفل عنه الكثير من اللغويين سواءً أكانوا قدامى أم محدثين، فلم تكن القرائن غائبة عن ميدان النحويين، والجديد فيها تلك الاصطلاحات والتّسميات المولودة حديثًا .

وتأسيسًا على ذلك يمكننا التأكيد على أنّ التّضافرَ أحدُ مبدأين قامت عليهما نظرية القرائن، بينهما صِلةٌ وثيقة هما: ١- مبدأ تضافر القرائن. 2- مبدأ التّرخص .

والمبدأ الأول، هو المبدأ الأساس الذي استندت عليه النظرية مُناهضةً الاعتماد على قرينة واحدةٍ في الكشف عن المعنى، حيث رأى الدكتور تمّام أن العلامة الإعرابية شغلت فكرَ النُّحاة فلم يوزّعوا اهتمامهم بين جملة القرائن بالقسطاس[3]، ولا ينبغي أن يُفهم ذلك على أن النُّحاة غفلوا على قيمة تلك القرائن في بيان المعنى النحويِّ؛ بل كان حاضرًا بالضرورة في معالجاتهم المتعددة، ومن أمثلتهِ ما جاء في الكشاف في تفسير قوله تعالى: { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّه}[4]،حيث قال :((تقديره أمَن هو قانتٌ كغيره، وإنما حُذف لدلالة الكلام عليه ؛ وهو جَزي ذكر الكافر قبله، وقوله تعالى بعده {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُون وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [5]؛ فاستدل في تعيين المحذوف بقرينتين مقاليتين : القرينة السابقة و القرينة اللاحقة))[6].

لكن الذي غفل عنه النّحاة أنّهم((لم يضعوا هذه القرائن التي عرفوها فُرادى في نظام شامل يفسر علاقة التضافر على بيان المعنى، إذًا فالقول بمبدأ التّضافر لا يعني غفلة النّحاة عن القَرائنِ ؛ إنما القصد أن تحليلاتهم النحوية لم تصدر عن تصور شامل قوامه النظر إلى القرائن بوصفها نظامًا يحكمه رابط متين هو رابط التّضافر))[7]، وقد أوقعهم غياب ذلك التصور مواقع التعليل والتخريج والحكم بالنّدرة والشذوذ، وقد كرر الدكتور تمّام حسّان هذا المبدأ؛ لأن اللغة ظاهرة إنسانية، ((والإدراك الإنساني لا تسعفه القرنية الواحدة؛ لأنّ من طبيعة القرنية أن تدخل في تحالف مع عدد من القرائن الأخرى تختلف كلّما اختلف المدلول، والمعاني متعددة مفتوحة لا يؤمن اللبس بينها إلاّ بمجموعة القرائن التي

تعتبر بمثابة محدّدات لها))[8]، ولعلّ هذا المبدأ يطرح السؤال عن حدود هذا التضافر، وترتيب القرائن في تضافرها بين القوةِ والضعف، وأيّها أحق بالتقديمِ، وأيها أحق بالتأخير أو التّرخص، فالرّتبة مثلاً مع المعربات أقلُ أهميةً من العلامة الإعرابية، وهي المتقدّمة على كل القرائن مع المبنيات، ولذلك فمبدأ التضافر محكوم بأمن اللبس، فمتى أمِنَ اللبس ولو بقرينة واحدة جازَ الاكتفاء بها، ومتى لم يكن ذلك وجب استحضار جملة القرائن المُسعِفة لتحديد المعنى، وتجنّب اللبس[9]، لنأخذ مثلاً باب الفاعل، فمن مقتضيات الفعل في الفاعل أن يكون اسمًا وهذا ما يسميه صاحب نظرية تضافر القرائن قرينة الصيغة[10]؛ لكونهِ منتميًا لمبنى التقسيمات لبنية الكلمات، ومن المقتضيات أيضًا أن يكون الفعل مُسندًا إلى هذا الاسم، وهذا ما يسميه الدكتور تمّام حسّان بقرينة الإسناد، وهي قرينة معنوية[11]، ومن المقتضيات أن يكون هذا الاسم مُؤخّرًا عن الفعل ، وهذا ما يسميه تمّام حسّان قرينة الرتبة وهي قرينةٌ لفظيّة[12]، ومِنَ المقتضيات التي يذكُرها أنه إذا كان هذا الاسم مؤنّثًا حقيقيًّا غير مفصول عن الفعل أن تلحق بالفعل علامة تأنيث وهذه قرينة المطابقة عند تمّام حسّان وتشمل أيضًا مقتضى أن يكون الفعل للمفرد الغائب إن كان الفاعل مفردًا، أو مثنىً أو جمعًا[13]، فكل المقتضيات التي ذكرها الدكتور تمّام حسّان وسماها (قرائن)مذكورة في كتب النحو بالتفصيل[14]، مع اختلافِ هذه التّسميات التي ذكرها الدكتور تمّام حسّان تحت اسم (القرائن).

ويجدرُ ذكرُ مثاله الإعرابي (ضَربَ زيدٌ عمرًا) وما ذكره من قرائن لتحديد الفاعل الذي هو (زيدٌ)، فقد ذكر سبعَ قرائن، هي[15]:

قرينة الصيغة؛ لانتمائه لمبنى الاسم، وقرينة العلامة الإعرابية؛ لأنه مرفوع، وقرينة الإسناد ،أو التعليق، وقرينة الرتبة، وقرينة الترتيب ،أي لزوم الرتبة، وقرينة المطابقة وهي أن الفعل مسند كأنه مسند للمفرد الغائبِ، ((وإذا كانت العبارة خلوًا من القرائن الموجهة للمعنى كانت فريسة اللبس، مثال ذلك قولك: (زرتُ فلانًا ساعةً ثم غادرته غاضبًا)، فأيهما صاحب الحال؟))[16].

وبوقوفِنا مَليًّا على مشارفِ منجزاتِ الدكتور تمّام حسّان في مجال نظريّة القَرائِن، والجوّ الثقافي الذي ظهرت فيه محاولات إعادة وصف اللغة العربية في العصر الحديث، باعتباره حلقة مهمة في اللسانيات العربية الحديثة، نبحث من خلالها عن الجديد الذي جاءت بهِ، تُطالِعنا محاولة رصينة جادّة في هذا الميدان، وهي: محاولة إعادة وصف اللغة العربية كنتيجة حتمية، لما اقترحه اللسانيون العرب من مقدمات نظرية، والمرتبطة ارتباطًا وثيقًا بحاجة اللغة العربية إلى إعادة النظرِ في منهجها، وطريقة تناولها في ظل ظهور المناهج الغربية[17].

فتركزت محاولاتُ العرب المَنهجيّة على إيجاد هيكل بنيوي لدراسة اللغة العربية يستمد مقولاته من النظرية اللسانية الغربية من دون الاعتماد على نتائج النظرية اللغوية التقليدية، إذ يرى بعض الباحثين أن عملية إعادة وصف اللغة العربية قد خضع (للغة الواصفة Metalanguage)التي قدّمتها النظرية النحوية العربية القديمة[18]، حيث كانوا يستعملون مفاهيم تنتمي إلى اللغة الواصفة لنظرية النحو العربيِّ ،كالحالِ، والمبتدأ والخبر ،والفعل، واتجهت اللسانيات العربية وجهة توفيقية بين التُّراث اللّغويِّ العربيِّ، والدَّرس الغربيِّ؛ لأن الدّارسَ العربيّ لم يستطع التخلي عن موروثه اللغوي في عمله النقديِّ.

ومهما تأكّد لنا من ارتباط هؤلاء بالتّراث اللغويّ ؛إلاّ أن نقدهم للنظرية النحوية العربية يبقى مرتهِنًا بالنظرية اللسانية الغربية، وهذا ما عني به قادة اللسانيات العرب ومن بينهم الدكتور تمّام حسّان الذي يقول: ((فكرت في أمر الدراسات العربية القديمة من حيث المنهج لا من حيث التفاصيل وجعلت تفكيري في أمرها مستضيناً بمناهج الدراسات

اللغوية الحديثة))[19]، فعملية نقد التراث ليست عملية سهلة ؛لأنها نتاج لعملية تقويم الدرس العربيّ، وهذا بالفعلِ ما استشعرهُ الباحثون في هذا الاتّجاه، حينَ توصّلوا إلى أن نقد النحو عمل خطير وشاق [20]، ورغم هذه الصعوبة؛ إلاّ أنّ هناك من جازف، وقدم مبادرات تستحق التثمين حاول من خلالها نقد التراث ، وإعادة وصف اللغة العربية بتطبيق المنهج الوصفي على بنيتها؛ لأنها ((من أشدِّ اللغات حاجة إلى هذا الوصف الجديد، إذ أن نحوها يرجع اليوم إلى ما ينيف عن اثني عشر قرنًا ولم يكد يعرف تغييرًا جوهريًا منذ نشأته)) [21]، أي أن قواعده بحاجة إلى تجديد ما يخدم وضع النّظريات الحديثة والمرور على عقباتِ التطبيقِ الفعلي بروحٍ وثّابة، تستلهمُ التمثيل لكل مستوى من مستويات اللغة العربية ، وتُراعي المزج الحاصل بين مفاهيمَ متعددة لنظريات ومدارس متنوعة، وربّما مختلفة منهجيًّا ونظريًا، وتسلط المصطلحات والأدوات الخاصة بالمنهج البنيويّ في عملية الوصفِ، كالقيم الخلافيةِ، والفونيم والوظيفةِ، والتوزيع والعلاقة، وفي مستوى الدرس النحوي يبنى التحليل العلمي على تصنيف العناصر المكونة لها شكليًّا ووظيفيًّا ،وهو تصنيف براغماتي (تداولي)[22].

ولا ننسى أنّ الحديث عن تيسير النحو العربي ارتبطَ بالنظر في نظرية العامل، حيث رأى دُعاتُه أنها موطن الدَّاء الذي يشتكي منه المعلمون و المتعلمون على السّواء ؛ فهي المسؤولة على تعقيد المسائل النحوية، فكان التيسير هو الدافع إلى نقد نظام العوامل ومسوغ النقض، و التجاوز، فجاءت نظرية تضافر القرائن وليدة الدوافع نفسها مع اختلافِ وجهات النظر في سُبلِ تطبيقها، وأمثلتها.

وهذا الطّرحُ الشُّمولي يدعونا إلى تحديدِ بعضِ المحاور التي لاتزالُ عالقةً تتراوحُ بينَ مؤيّدٍ ومُعارضٍ لمضامينَ النّظريات النحويّة الحديثة، وبالتحديد نظريّة تضافر القَرائنِ، مما يستلزمُ الوقوف على عُجالة لرصدِ ما يمكن رصده بالدّقة والتمحّص، من خلال المَحاور الآتية:-

المِحوَرُ الأوَّلُ: الجّهَازُ المَفَاهِيميّ لنظريّةِ تَضَافُرِ القَرائِن :

أوّلاً: القَرينة:

سجّل هذا المصطلح حضورهُ الواسع في بيئاتٍ فكريّة تعاورتهُ بالمُتابعةِ الدقيقةِ والاهتمام، وما يهمُّنا هو معرفة جذوره وتأصيل منابعهِ ومضامينه الجوهرية العميقة التي دعا إليها الدكتور تمّام حسان في نظريّة تضافر القرائن، فيتبين لنا أن تمّام حسّان تأخّر في تقديم تعريفٍ وافٍ لهذا المصطلح، ولم تُحدد ملامحه إلاّ في كتاب (البيان في روائعِ القُرآن) الذي استدركَ في جانبهِ التطبيقيّ ما فاته من عرضٍ لمفاهيم النّظريّة في كتابهِ(اللّغة العربيّة معناها ومبناها)، وأوّل ما شرع إليه تقسيمُ القرينة إلى قسمين : معنويّة[23]، وأراد بها العلاقة التي تربط بين عنصر من عناصر الجملة وبين بقية العناصرِ، كعلاقة الإسناد، وأخرى لفظية[24]، والمراد بها: عنصر من عناصر الكلام يُستدل به على الوظائف النحوية، فيمكن بالاسترشاد بها أن نقولَ: ((هذا اللفظ فاعل، وذلك مفعول به ،أو غير ذلك))[25].

والمُتتبع لمسار هذا التعريف يتلمسُ الاتّساع الشّمولي للدّلالات الوضعيّة في المفهوم العام للقرينة، مما يبتعدُ كثيرًا عن مسار التّحديد الاصطلاحي ليقتربَ من الإجراءات العمليّة على مستوى النحو لتصِف العلامات والدلائل التي تُعين على كشفِ العلاقات محددات الوظيفة النّحويّة، وعناصر التركيب، ومحددات الدّلالة .*

ثَانِيَاً: التّضَافُرُ والتَّرخُّصُ:

يقترِنُ هذانِ المفهومانِ ببعضهما اقترانًا واضحًا في صُلب نظرية التّضافر، انطلاقًا من رؤية تمّام حسّان للّغة بوصفها ظاهرة إنسانيّة، والإدراك الإنساني لا تسعفه القرنية الواحدة؛ لأن من طبيعة القرنية أن تدخل في تحالف مع عدد من القرائن الأخرى تختلف كلما اختلف المدلول، والقَرائن رابطٌ متينٌ تحكمه حدود مرتبة تختلف بحسب قوتها وضعفها، وترتبيها من حيث الأولوية والتأخير والقِدم، كما أن المعاني متعددة مفتوحة لا يؤمن اللبس بينها؛ إلاّ بمجموعة القرائن التي تعتبر بمثابة محدّدات لها[26].

ويُعدُّ الأوّل(التّضافر) الأساسُ في الكشف عن المعنى، والاهتمامِ بجملة القرائن، مما غَفل عنه جُملة النّحاة وهو عدم وضعهم هذه القرائن التي عرفوها فُرادى في نظام شامل يفسر علاقة التضافر على بيان المعنى، في حين يُعدُّ الثّانيّ (التّرخّص) مرهونًا بأمنِ اللّبسِ، حين يكون المعنى هو الذي يقتضي القرينة وليست القرينة هي التي تقتضي المعنى، وشرطهُ: أن يؤمن معها اللبس، وأن تكون من الفصيح من عصر الاستشهاد[27]، أما نحن الآن فترخُصنا في قرائن النحو يقع من قبيل الخطأ؛ إلاّ أن يكون ضرورة شعرية فتلك لا تقاس بقياس الصواب والخطأ؛ وإنّما ينظر إليه بمنظار الحسن و القبح [28].

فمنهجُ النّحاة يتسم بالمِعياريّة الصارمة التي أنكرت التّرخّص على حسابِ الاستعمال خدمةً للمعاني؛ ووفاءً بدلالاتها المُقتضيةِ، فالرّخصة عندهم مرهونةٌ بمحلها، أو هي:((ما جاز استعماله لضرورة الشّعر، ويتفاوت حسنًا و قبحًا، وقد يلحق بالضرورة ما في معناها، وهو الحاجة إلى تحسين النثر بالازدواج))[29].

فَكُلّ قرينةٍ من القرائن صالحةٌ أن يترخص فيها، ويعدل عن الاعتماد عليها، وهذا يدلّنا على إقرار مبدأ (الأسلوب العدولي) الذي يرقى لمرتبة الأصول المُقاسِ عليها، من خلال اكتسابهِ قدرًا من الاطراد الناشِئ عن مخالفتهِ للقاعدة والخروج عن المألوفِ وفقًا لطبيعة النّصوص، ولا فرق بين الحالين، ألاّ أن التّرخص مغامرة فردية للفصيح من العرب القدماء لو تكررت من المعاصرين لعدت من قبيل الخطأ [30].

فالقرآنُ الكريم- وهو النص المنزه عن اللبس- لأنه أعظم النصوص وفاءً بتقديم القرائن عندما يعرض اللبس في اللفظ أو في التركيب، والترخص في القرآن الكريم قوله جلّ وعلا: {قالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ}[31]، وهو ترخص في قرينة العلامة الإعرابية رفع اسم (إنّ) وحقه النصب، ولقد كانت هذه الآية الكريمة محط تخريجات وتأويلات النحاة؛ ذلك لعدم انضوائها تحت مظلة القاعدة التي تلزم اسم (إنّ) النصب، أما الدكتور تمّام فرأى أنّ علة الترخص هي: ((المناسبة الصوتية هي التي دعت إلى إهمال العلامة الإعرابية ؛ لأن الرتبة و اقتران الخبر باللام أوضحا أن لفظ (هذان) لا يمكن أن يكون إلا اسم (إن)، ولم يعد للعلامة الإعرابية ما يحتم الاحتفاظ بها، أي أن قرينتي الرتبة و التضام أغنتا عن قرينة العلامة الإعرابية))[32].

ثَالِثَاً: التَّعلِيقُ:

تُعدُّ نظريةُ تَضافُرِ القَرائِنِ أهم المحاولات لفهم النظام اللغويِّ للعربية وأبعدها أثرا؛ ذلك لأنّها أول دراسة في تاريخ النحو كُله تقيمُ منهجًا على أساسِ "فكرة التعليق" ، فحولت الدرس النحوي بهذا من منهجه اللفظي المتمثل في (الإعراب) القائم على فكرة العامل إلى منهج (قرائن التعليق) التي تضع المعنى في المقام الأول، و لعل أهم ما قدمته تلك النظرية للدرس اللغويّ و للدرس النحوي بخاصة، أنها نظرت إلى اللغةِ نظرةً شاملةً متكاملةً، فكشفت عن العلاقات التي تربط بين أنظمة اللغة الثلاثة: (النظام الصوتيِّ، والنظام الصّرفيِّ، والنظام النّحويِّ).

ولعلَّ أذكى محاولة لتفسيرِ العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي إلى الآن، هي ما ذهب إليهِ شيخُ البلاغيين عبد القاهر الجّرجانيّ (ت٤٧١هـ) في نظريّة النظم، الأساس والمرجع المعين للدّراسات اللغوية، وأول ما نلمحه في نظرية تضافر القَرائن التأثُّر البيّن بنظرية النظم، مؤكّدًا ذلك قول الدكتور تمّام حّسان((وأمّا أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر على الإطلاق فلم يكن النظم ، ولا البناء، ولا الترتيب؛ و إنما كان التعليق، وقد قصد به في زعمي إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية))[33]، وقد دعا ذلك إلى اعتمادِ التّعليق منهجًا في تفسير العلاقات النحوية؛ والقضاء على فكرة العوامل النّحوية؛ لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويفتر العلاقات بينها على صورة أوفى و أفضل، وأكثر نفعًا في التّحليل اللغويّ لهذه المعاني الوظيفية النحوية.

وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام هي الفرق الواضح بين وجهة نظر الدكتور تمّام حسّان، وعبد القاهر الجرجاني، حيث ذهب الأوّل إلى أن نجاح عملية التعليق كافية لنجاح عملية الإعراب مع انتفاء المعنى المعجمي، مُستشهِدًا ببيتٍ هرائيّ على نسجِ بحر الكاملِ [34]:-

*قاصَ التَّجينُ شِحَالهُ بتريسه الـ فاخي فلم يَسْتَفْ بطاسيةِ البَرَنْ

فقد دلّل الدكتور تمّام حسّان في هذا الكلام الذي صنعه على هيئة البيت الشعري على أن الكلام قد يعرب؛ ولكن بلا معنى.

المِحوَرُ الثَّانِيّ: مَصفوفَةُ القَرائنِ، والقَرائِن البَديلة:

شغلت مقولةُ العامل والعلامة الإعرابية تفكير نحاة العربية رَدحًا من الزمن، وأثار تدارسهم لتبرير هذه المقولةِ جدلاً كبيرًا، طرفاهُ : مؤيدٌ بالضرورة معَ التأكيد والحِرص، ومُعارضٌ باحثٌ عنِ البدائِلِ ، المُتمثّلِ بنظرية تضافر القرائن(نموذج الدكتور تمّام حسّان) التي تعد من أهم النماذج اللغوية التي كان لها النصيب في مناقشة قضية العامل والإعرابِ .

وحتى نفهم تلك القرائن، والمنظومة التي انضوت تحتها؛ لا بُدّ لنا أن نطلع على الأساس الذي قام عليه الدرس اللغويّ العربيّ، وليس هناك مجال للشك في أنَّ العلامة الإعرابية ظاهرةٌ بارزةٌ في اللغة العربية، جسّدت نظرية كاملة ، هي:(نظرية العامل)، المرتكز الأوّل لأصول النّحو العَربيّ؛ ((لأن علامات الإعراب إنما هي آثار هذه العوامل التي اعتبرت أساسًا في تحديد المواقع الإعرابية للألفاظ في الجملة العربية، وأصبح التحليل النحويّ يقوم على فكرة مركزية هي الإعراب والعوامل التي تقف وراءه))[35].

هنا قدّم الدكتور تمّام حسّان نموذجًا بديلاً لهذهِ الفكرةِ دونَ الاعتراض على دور المعنى النّحويّ للعلامة الإعرابية؛ بل رفضَ الاعتماد عليها كُلّيًا؛ ؛لأن الإعراب في نظره فرع المعنى الوظيفي لا المعنى المعجمي، ولا المعنى الدلاليّ، فيكون موقفه معتدلًا بإزالته لشبهة الأفكار المتطرفة التي جعلت من العلامة أكبر مفسِّرٍ للمعنى، أو التي ألغت وظيفتها وعدتها مجرد حركات جِيء بها للانسجام الصوتي .

إنَّ الجهدَ في تيسير النّحو يجب أن يوجّه إلى المنهج متجاوزًا النظر في التفاصيل، ومن مقومات المنهج عند تمّام حسّان أن تفسر العلاقات النحوية وفق مبدأ التعليق، لا وفق مبدأ العمل النحوي، وبذلك ينتقل النظر النحويّ من النظرة الشكلية إلى النظرة المعنوية، وقد كان عيب الدراسات اللغوية العربية ((أنها اتسمت بسمة الاتجاه إلى المبنى ولم يكن قصدها إلى المعنى إلا تبعًا لذلك وعلى استحياء، كما إن المرجع الفاعل في تفكير تمّام حسّان عند نقده للتراث هو صاحب إحياء النحو ومن تبعه واقتدى به فكوّنوا اتجاهًا ضاغطًا على كل متناول للتراث))[36]، ورغم ما يبدو في هذا

القولِ من غرابة، فالدكتور تمّام حسّان ابتعدَ في نظريتهِ (تضافر القَرائن) عن التّيسير، واتّجهَ إلى العُمق، والشاهدُ على ذلك خُلاصةُ قراءاتٍ متعددة نؤيّدُها بالتوثيقِ والوصولِ إلى الغايات، ومن بينِ أبرزِ تلك القراءات :-

١- قراءةُ حين أكّد أنّ ((الكَشفَ عن قرينة التّعليق -مثالاً - تفوقُ صعوبتَها بكثير صعوبة الكَشفِ عن الحَركة؛ فالقرائن كثيرة جدًا، بحيث يبدو العامل النّحوي مقارنة بها يسير وسهل للغاية))[37].

فالاتّساع في القرائن اللفظية و المعنوية يستوجبُ استحضار لوازمها، فالفاعل يتطلب سبع قرائن، والمفعول يتطلب خمس قرائن، ولا قِبلَ للمتعلم باستحضارها أثناء تحديد وظائف العناصر اللغويّة.

فالمعنى النحوي لا يستبينُ بقرينةٍ واحدةٍ مهما كان دورها ، وإنّما تتعاون القرائن المختلفة على بيان المعنى، فليس الفاعل فاعلاً لأنّه مرفوع فقط؛ وإنّما هو كذلك لأنّهُ [38]:-

١- اسم- قرينة البنية.

٢- مرفوع- قرينة الإعراب.

٣- تقدمه فعل- قرينة الرتبة.

٤- مبني للمعلوم- قرينة البنية.

وفي الوقتِ نفسه نُدركُ أن نظرية تضافر القرائنِ ترفضُ رفضًا قاطِعًا البديل؛ فالبديل بالاستعاضةِ هو (القَرائِنُ المقاليّة)؛ فالعامِلُ قاصرٌ على تفسير الظواهر النحوية، والعلاقات السياقية جميعها، في مقابل فكرة القرائن التي توزع اهتمامها بالقسطاس بين قرائن التعليق النحوي معنوييها ولفظييها، ولا تعطي للعلامة الإعرابية منها أكثر مما تعطيه لأيّةِ قرينة أخرى من الاهتمامِ [39]، فالقرائن في نظرية التّضافر مسؤولة عن أمن اللبسِ، وعن وضوح المعنى، فتتضافر لتدل على المعنى النحوي وتنتجه[40].

تصنيفِ القَرائِنِ وفقًا لنظرية التّضافر :

تُصنّف القَرائِن المُتَضافرة إلى قرائنَ معنويّة، ولفظيّة، ومَقاليّة، نوجزها بالآتي :

أوّلاً : القَرائِن المعنوية :

١- قرينةُ الإسناد .

٢- قرينةُ التّخصيص .

٣- قرينةُ النّسبة .

٤- قرينةُ التّبعيّة .

٥- المُخالفة .

ثانيًا : القَرائِنُ اللّفظية :

١- قرينةُ الرّتبة .

٢- قرينةُ الصّيغة .

٣- قرينةُ المُطابقة .

٤- قرينةُ التّضام .

٥- قرينةُ التّنغيم .

٦- قرينةُ الرَّبط .

٧- قرينةُ الأداة .

ثالثاً : القَرائِن المَقامِيّة:

١-قرينةُ العُرف .

٢-قرينةُ التّداولية .

٣-قرينةُ التاريخ .

٤-قرينةُ الجغرافيا .

يمكننا تمثيل هذه المنظومة من القرائن بالمخطط الآتي:

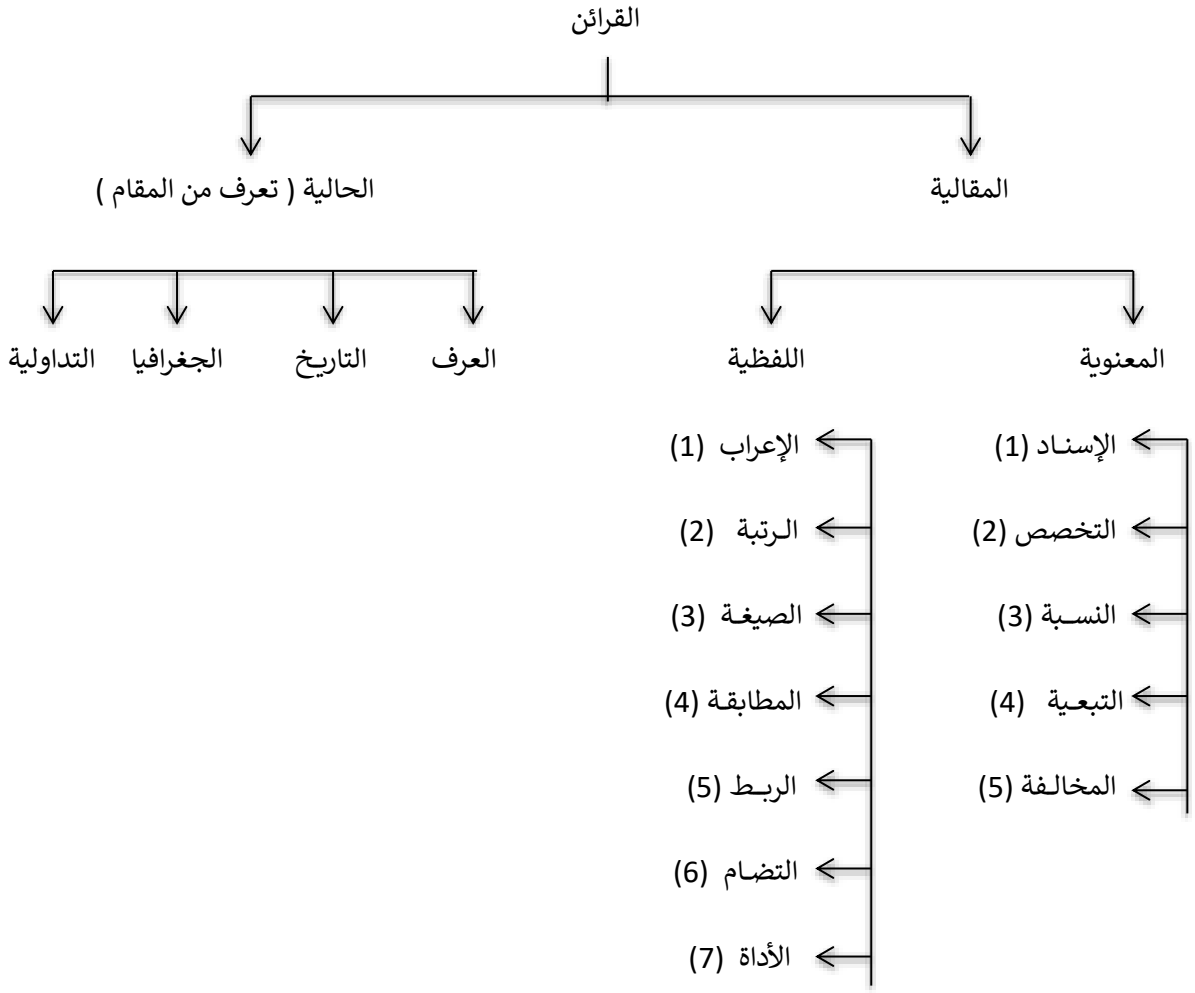

غير أن الاتّساع في القرائن قد يكون مخالفًا للتّيسير الذي يقتضي الاختصار و التبسيط، وبذلك يكون د. تمّام حسّان قد جاوز التّيسير إلى العمق، ولم تكن الغاية منها تعليمية بقدر ما عنيت بإعادة ترتيب أبواب النحو العربي وفق نظام القرائنِ .

والذي يجيل النظر في (النظام النّحوي) وهو الفصل الخامس في كتاب "اللغة العربية معناها و مبناها "يجد نفسه أمام نموذج نحوي جديد يختلف عن النموذج الموروث، الوجهة فيه إلى المعنى، والمنهج هو الجمع بين قرائن المقال و المقام، والابتعاد عن التخمينات الظّنية، والتفسيرات الفلسفية، وقد كان لها أثر واضح في البحث اللغويّ.

إنّ نظرية (تضافر القرائن) تُعدُّ أهم المحاولات لفهم النظام اللغوي للعربية وأبعدها أثراً؛ ذلك لأنها أول دراسة في تاريخ النحو كله تقيمُ منهجًا على أساس (فكرة التعليق)؛ فحولت الدرس النحوي بهذا من منهجه اللفظي المتمثل في (الإعراب) القائم على فكرة العامل إلى منهج (قرائن التعليق) التي تضع المعنى في المقام الأوّل.

المِحوَرُ الثَّالِثُ: نَظَرِيَّةُ القَرَائِنِ فِي مِيزَانِ النَّقدِ، كُشُوفَاتٌ لُغَوِيَّة فِي المَبنَى وَالمَعنَى:

استقلت وأفردت الكثيرُ من الدّراساتِ لبحث القرائنِ النّحويّة وتطبيقاتِها على نصوص متنوعة، متوصلةً إلى نتائجَ محمودة تقرُّ بنجاعةِ اعتمادها نظريةً في قراءة النص، والاعتراف بقيمتها العلمية عندَ كثير من الباحثين، فالجهد في تيسير النحو يجب أن يوجّه إلى المنهج متجاوزًا النظر في التفاصيل، ومن مقومات المنهج عند الدكتور تمّام حسّان أن تفسر العلاقات النحوية وفق مبدأ التعليق، لا وفق مبدأ العمل النحوي، وبذلك ينتقل النظر النحوي من النظرة الشكلية إلى النظرة المعنوية، وقد كان عيب الدراسات اللغوية العربية أنها اتسمت بسمة الاتجاه إلى المبنى، ولم يكن قصدها إلى المعنى إلاّ تبعاً لذلك وعلى استحياء، وهذا يفسّرُ السبب الأساس في رفض الدكتور تمام لفكرة العامل النحوي، إلى كون المنهج اللغوي الحديث (الوصفي) يقوم عنده على أساس ملاحظة اللغة المدروسة نفسها، ولا يقرُّ بتدخل المنطق الأرسطيّ، أو الفلسفة في دراسة اللغة، ويرى أنه ينبغي على عالمِ اللغةِ الوصفيِّ أن يقصر نشاطه على الملاحظة والوصف والتسجيلِ[41]؛ فهدف الباحث اللغويّ ((هو الوصف عن طريق المنهج الصالح، والاستعمال الصحيح يجري حسب المعايير؛ ولكنّ المنهج لابدَّ أن يعترفَ بطبيعة اللغة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية، كالعادات والتقاليد، والدين والملابس، وطرق المعيشة في عمومها، ولابد لهُ- والحالة هذه- أن تُدرس على نحو ما تُدرس الظواهر الاجتماعية، بالملاحظة والاستقراء ثم التقعيدِ))[42].

إنّ ما يُشير إليه الدكتور تمّام حسّان، مما ينبغي أن يُراعى في دراسة اللغة، هو عين ما قام به اللغوي الأول؛ إذ لاحظ، واستقرأ، ثم قعّد، ولما كانت اللغة وثيقةَ الصلة بالإنسان اعتراها ما اعتراه من مراحل التطور، وبذلك أمكن القول إنّ اللغة كائنٌ حيٌّ نامٍ خاضع لناموس الارتقاء، تتجدد ألفاظها وتراكيبها على الدوام))[43]، ولا يمكن لأيّةِ لغةٍ حيةٍ من اللغات أن تقفَ جامدةً أمام حركة الحياة وتطورها، وإذا حدث ذلك فهو إيذان ببداية نهايتها واندثارها، وهذا التطور ينال اللغة في جميع جوانبها؛ غيرَ مُتناسينَ الارتباط الوثيق لتيسير النحو العربي بالنظر في نظرية العامل، حيث رأى دُعاتُه أنها موطن الدَّاء الذي يشتكي منه المعلمون والمتعلمون على السّواء؛ فهي المسؤولة على تعقيد المسائل النحوية، فكان التيسير هو الدافع إلى نقد نظام العوامل ومسوغ النقضِ، و التجاوز، فجاءت نظرية تضافر القرائن وليدة الدوافع نفسها.

وقد اختلفت الآراء حول نظرية القرائن اختلافاً كبيراً؛ حيث نالت النظريةُ تأييدَ كثيرٍ من الدارسين ممن تناولوا (القرينة) في أبحاثهم، يقول الدكتور أحمد علم الدين الجندي: ((ونظرية تضافر القرائن النحوية فكرة محكمة الوضع، متكاملة الجوانب، هزت الدراسات الأصولية في النحو هذا عنيفاً، وفسرت بها بعض القراءات التي خرجت عن سنن العربية، وكذلك الحديث النبوي الشريف . وحسب الأستاذ أنه التقط هذه الفكرة من ثنايا التراث العربي، فكانت أجرأ محاولة عرفت في العصر الحديث))[44]، لقد كانت رؤيةٌ للنظام العربيّ كُلِّهِ، صاغها في قالب جديدٍ، ومنهج رائدٍ، ووصفها في موطن آخر بأنها ((أخطر عملية في النحو العربي منذ سيبويه وحتى الآن))[45]، وأنّها((تنفي عن النحو ما وقع فيه من

القول بالحذف والإضمار والتأويل والتعليل، والأصل والفرع، والحكم بالشذوذ والندرة، والضعف والقوةِ، والضرورة، وتعدد الأوجه الإعرابية، وتفسره في ضوء مبدأ تضافر القرائن، وقد كانت الظواهر السابقة من أسباب تضخم النحو وتشعبه، وثقل كاهله، وقد عالجها الدكتور تمام تحت مبدأ (الترخص) ، فرد إليها اعتبارها ، وحل جزءا كبيراً من مشكلات النحو))[46].

ومن الباحثين الذين وافقوا هذا الرأي الدكتور مصطفى حميدة، حين عدَّها ((أهم المحاولات لفهم النظام اللغوي للعربية، وأبعدها أثراً؛ لأنّها أول دراسة في تاريخ النحو العربيّ كله تقيم منهجها على أساس فكرة التعليق، فحولت الدرس النحوي بهذا من منهجه اللفظي المتمثل في الإعراب القائم على فكرة العامل، إلى منهج قرائن التعليق الذي يضع المعنى في المقام الأوّل))[47].

في الوقت الذي يصفها الدكتور عبد الوارث مبروك بأنّها((أعطت للنحو مفهومه ومكانه الصحيح بين أنظمة العربية، فلم يعد مقصوراً على درس ظواهر الإعراب والبناء فقط، ولا حتى علماً خاصاً بدراسة الأبواب، أو ما يسميه المؤلفُ المعاني النحوية الخاصة، كما هو الغالب على المنهج التقليدي في دراسة النحو، وإنما أصبح نظاماً يتناول ذلك كله، ويتعداه إلى ما هو أهم وألزم للتركيب اللغوي، من حيث بناؤه وفهم مدلوله معاً))[48].

ووصفها الدكتور حلمي خليل بأنّها((دراسة نقدية مع إعادة ترتيب؛ ولكن شمولها وإعادة الترتيب وفق المنهج البنيوي الوصفي، الذي يجعلها تنفرد بميزات خاصة عن الدراسات الوصفية الأخرى، التي كانت غالباً تكتفي بالنقد دون محاولة إعادة الترتيب، أو تكتفي بتناول جزئيات أو جوانب محددة من مستويات اللغة العربية، ولا تنظر هذه النظرة الشاملة التي نراها في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها))[49].

أمّا الرأيُّ المُعارِضُ للنظريّة، النّاقدُ لها ينطلقُ من رؤيةٍ سطحيّة وصفتها بعدمِ الكشفِ عن أي تجديدٍ حقيقيّ في مقاربة اللغة العربية[50]، وأنّها ليست نموذجاً يقف بإزاء النموذج البصريِّ [51]، وأن الدكتور تمّام حسّان لم يأتِ بجديد إلاّ بأن سمّى مقتضيات العامل قرائن، وجعل لكل قرينة اسماً، فهو عمل تصنيفي لا غير))[52].

وقد أشار الدكتور تمّام نفسه إلى هذا بقوله:((إنّ النحاة في انشغالهم بالعامل لم يستطيعوا تجاهل القرائن الأخرى، فراحوا يُلِمُّون بالإشارة إليها إلماماً خفيفا كلّما دعا الأمر إلى ذلك، ولم يسلكوها في نظام واحد))[53]، متابعاً قوله: ((كما لم يبينوا - أي : النحاة- تضافرها للكشف عن المعنى النحوي))[54]؛ لكنّ الواقع أن النحاة أدركوا حتمية اجتماع عدة قرائن للاستدلال على المعنى النحوي ؛ فإذا أنعمنا النظر في تعريفات النحاة مثلاً للأبواب النحوية، فسنرى أنهم لم يغفلوا مراعاة هذه الظاهرة في تعريفاتهم، وكأنهم كانوا يشعرون بأن معرفة الباب النحوي لا تكتمل إلا بمراعاة جملة من القيود اللفظية والمنطقية، وقد أقاموا هذه التعريفات على صور، لا يكاد الناظر فيها يشك في أنهم يستشعرون أغلب تلك القرائن.

الخَاتِمَةُ والنَتَائِجُ:

بعد هذا العرض الموجز، يمكننا تحديد أهم النتائج التي توصّل لها البحث، بالآتي:

١- التضافر يُغني عن القول بالعامل النحويّ.

٢- جعل القرائن حزمةً واحدةً، فيكون بيان المعنى راجعاً إلى اجتماعها وتضافرها، فلا فضلَ لواحدةٍ منها على الأخريات، بحيث تستحق نتظيراً إضافياً يحمل ذكر ما عداها.

٣- إنّ تعليم نظرية العامل في الدراسة النحوية التي تهدف إلى فهم الإعراب أسهل من نظرية تضافر القرائن؛ لأن تضافر القرائن تحتاج إلى فهم المعنى والمبنى، أما تحليل النحو الذي يهدف إلى فهم أمن اللبس في المعنى، وفهم طلب الخفة في المبنى دراسة تحليلية عن النصوص العربية فنظرية تضافر القرائن أفضل من نظرية العامل.

٤- قدّم الدكتور تمّام حسّان الفكرة الجديدة التي تسمى بنظرية تضافر القرائن، وهو يبحث عن ارتباط المعنى والمبنى في تحليل النحو العربي، وفهم النصوص العربية.

٥- انتقدَ تمّام نظرية العامل في دراسة النحو؛ لأنها تستعمل نظرية العلة في تحليل النحو، أما الفكرة الجديدة التي تبدل نظرية العامل فهي نظرية تضافر القرئن .

٦- جوهر نظرية تضافر القرائن هو ارتباط الكلمات أو الجملة أو سياق الكلام.

٧- البديل الوحيد لقصر الاهتمام على الإعراب، والتخلى عن تضافر القرائن هو أن نقيم لكل قرينة على حدة نظرية خاصة بها تضبط سلوكها.

٨- يرجع الفضل للدكتور تمام في بناء نظرية القرائن في العصر الحديث؛ فهو رائدها، ومِن بعدهِ مقلدوه، وإن تناوله بعضهم بالنقد، أو استدرك عليه آخرون.

٩- نظرية القرائن وافقت نظريات أخرى في نقد نظرية العامل النحوي، والدعوة إلى إلغائه؛ لكنها خالفت كثيراً منها في أنها قدمت- من وجهة نظر صاحبها- البديل العصري للتحليل النحوي .

الهَوامِشُ والإحالات:

1) اللُّغةُ العَربيّة، مَعناها ومبنَاهَا:١٢.

2) نظريةُ القَرائن في التّحليل اللّغويّ: ٣٨.

3) يُنظر: أثرُ القَرائن في توجيه المعنى: ١٠١.

4) سورةُ الزمر، الآية(٩).

5) سُورةُ الزمر، الآية(٩).

6) الكشّاف، الزمخشري: ٢/ ١٤٧.

7) نظريةُ القرائن النّحويّة، دراسة وصفية نقديّة: ٥٣٥.

8) القرائن النّحويّة واطراح العامل:٣٦.

9) يُنظر: أمن اللبس في النحو العربي: ٦٠.

10) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٧٨.

11) يُنظر: المصدر نفسه.

12) يُنظر: المصدر نفسه:٨٥.

13) يُنظر: المصدر نفسه: ٦٩.

14) يُنظر: الأحكام النحوية بين النّحاة والدلالة:٢٧٩.

15) يُنظر: قرائن الإعراب والصيغ والمطابقة:ص٦.

16) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٣٩.

17) يُنظر: التحليل النحوي، أصوله وأدلته،١٧٣.

18) أمن اللبس في النحو العربي:ص٤٥.

19) القرائن النحوية وإطراحُ العامل:ص٤٤.

20) يُنظر: المصطلح النحوي، نشأته وتطوره:ص١٨٧.

21) قرينة الرتبة في اللغة العربية:ص٤.

22) مبادئ اللسانيات:ص٢٨٨.

23) يُنظر: أصول النظريّة السياقية الحديثة عند علماء العرب:ص١٩.

24) يُنظر: التعارض بين المعنى وتقدير الإعراب:ص١٣٦.

25) المصدر نفسه:٢٧١.

26) يُنظر: المصدر نفسه.

27) يُنظر: علاماتُ الإعراب بين النظرية والتطبيق:ص٢١.

28) يُنظر: المصدر نفسه.

29) القرينة المعجمية وأثرها في توجيه المعنى:ص٣٠.

30) يُنظر: مبادئ اللسانيات:ص١٦٩.

31) سورةُ طه: الآية(٦٣).

32) اللغة العربية معناها ومبناها:ص٧٥.

33) يرى الدكتور أحمد علم الدين الجندي أن عبد القاهر لم يكن أول من أشار لهذه النظرية؛ فقد ألمح سيبويه لذلك بقوله: " إن الأفعال لما كانت دليلاً على ما مضى، وما لم يمض من نحو الذهاب والجلوس والضرب، فإنها تعمل في الحدث، نحو : ذهب ذهاباً، والزمان ،نحو ذهب أمس، والمكان، نحو : ذهب فرسخين؛ من حيث إنها تدل على الحدث والزمان، وتتطلب المكان، فلما كانت دالة عليها وطالبة لها، فقد تعلقت هذه وارتبطت بها، في الإعراب ومشكلاته:ص١٤٢، وعلامات الإعراب بين النظرية والتطبيق: ص٣١٨، والكلام موجود في الكتاب:١/ ٣٦بتصرف ، ثم يتابع الدكتور الجندي قائلا : " والتعليق في قول سيبويه هو التعليق نفسه الذي يقصده الدكتور تمام؛ لكنه استطاع ببصيرة نافذة، وحس لغوي اصيل، وذوق مرهف، أن يجعل ذلك أساساً لنظرية تناولت النسيج النحوي كله، في الإعراب ومشكلاتهِ:ص١٤٢، وعلامات الإعراب بين النظرية والتطبيق:٣١٩.

34) نُسج الكلام على بحر الكامل في اللغة العربية معناها ومبناها:ص١٨٣.

35) قرائن الإعراب والصيغ والمطابقة:ص٧-٨.

36) اللغة العربية معناها ومبناها:ص١٢.

37) المصدر نفسه:ص١٤٤.

38) المصدر نفسه.

39) يُنظر: المصدر نفسه:ص٢١٧.

40) يُنظر: المصدر نفسه:ص٢٢٥.

41) يُنظر: اتجاهات البحث في قضية الإعراب:ص٢١٧.

42) اللغة بين المعيارية والوصفية:ص٢٢.

43) اللغة العربية كائن حيّ:ص٧.

44) هكذا وصفها صاحبها الدكتور تمام؛ حيث قال : "وهذا التطبيق الجديد للنظرة الوصفية في هذا الكتاب يعتبر حتى مع التحلي بما ينبغي لي من التواضع- أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سيبويه وعبد القاهر"، اللغة العربية معناها ومبناها:ص١٠.

45) من قضايا الفكر الأصولي وأثره في تيسير النحو العربيّ:ص٤٤.

46) في الإعراب ومشكلاته:ص١٤٦.

47) علامات الإعراب بين النظرية والتطبيق:ص٣١٩.

48) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية،ص٦٧،ويُنظر: أثرالقرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط: ص١٦.

49) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية:ص٦٨.

50) يُنظر: المصدر نفسه .

51) في إصلاح النحو العربي:ص١٧٦.

52) العربية وعلم اللغة البنيوي:ص٢٤٠، وذكر قريباً من ذلك الدكتور عبد الرحمن حسن العارف في بحثه:(تمّام حسّان سيرة ذاتية ومسيرة علمية)، منشور ضمن كتاب تمّام حسّان رائداً لغوياً: ص١٨، ويُنظر: العربية والوظائف النحوية:ص٥١.

53) تمّام حسّان رائدا لغوياً:ص٢٠ ، نقلاً عن الدكتور مصطفى غلفان في كتابه اللسانيات العربية الحديثة .

54) العربية وعلم اللغة البنيوي:ص٢٤٠.

المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ:

القُرآن الكَريم

أوَّلاً: الكُتبُ المَطبوعة:

الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة، دراسة تحليلية نقدية، د. دليلة مزوز،ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن،١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، للأنباري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

التحليل النحوي أصوله وأدلته، د. فخر الدين قباوة، الشركة المصرية العالمية للنشر،ط١، ٢٠٠٢م.

اللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان، ط١،عالم الكتب-القاهرة،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمّام حسّان، عالم الكتب،ط٥، ٢٠٠٦م.

اللغةُ كائن حيّ، جورجي زيدان، ط١،دار الجيل،١٩٨٢م.

المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، د. عوض القوزي، ط١، عمادة شئون المكتبات-جامعة الرياض،١٩٨١م.

الموازنة بين نظرية العامل ونظرية تضافر القرائن في الدرس النحوي، د. بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن جامعة الطائف، كلية الآداب،٢٠١٠م.

النحو العربي والدرس الحديث دراسة في المنهج، د. عبده الراجحي ط١، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٧٩م.

نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة،ط١، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية للنشر لونجمان،ط١، ١٩٩٧م.

ثانِيَاً: البُحوث العلميّة:

النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، د. يوسف سليمان عليان، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها،مج٧،ع١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

نظرة في قرينة الإعراب في الدراسات النحوية القديمة والحديثة، د. محمد صلاح الدين بكر، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية الخامسة، الرسالة العشرون،١٩٨٤م-١٤٠٤هـ.

نظرية العامل في النحو العربي ودراسة في التركيب، د. عبد الحميد مصطفى السيد، مجلة جامعة دمشق،مج١٨ ،ع٤٣، ٢٠٠٠م.

نظرية القرائن في التحليل اللغوي، د. خالد بن عبد الكريم بسندي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب،مج٤، ع٧،٢٠٠٧م.

النظم وتضافر القرائن ونحو النص، بحث في جذور النظرية وعناصر مكوناتها، د. وحيد الدين طاهر عبد العزيز، جامعة جنوب الوادي،(د.ب).

وجوب تحليل البناء اللغوي من خلال مسرح الحدث الذي دار عليه، د. البدراوي زهران مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الخمسون،١٩٨٢م.

وحدة البنية واختلاف الأنظمة، د. تمام حسان، مجلة مجمع اللغة العربية-القاهرة،ع٥٧، ١٩٨٥م.

ثَالِثاً: الرسائل والأطاريح الجّامعيّة:

اتجاهات البحث في قضية الإعراب، خالد بن صالح الحجيلان، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود،١٤٢١هـ.

أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، للباحث أحمد خضير عباس علي، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الكوفة،١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

أمن اللبس في النحو العربي، دراسة في القرائن، للباحث بكر خورشيد، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

قرائن الإعراب والصيغ والمطابقة في اللغة العربية، الباحثة: أمل باقر عبد الحسين جبارة، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة الكوفة،٢٠٠٨م.

فاعلية التدريس بالمماثلة في تطبيق المفاهيم المكتسبة من أجل تفسير ظواهر جديدة

The effectiveness of teaching through analogy in applying acquired concepts to interpret new phenomena

د. حواتيس جمال [1]

خباط فايز [2]

© 2025 The Author(s). This open access article is distributed under a Creative CommonsAttribution (CC-BY) 4.0 license.

Abstract

This study aimed to introduce effective learning strategies and their impact on the quality of learning, specifically analogy, and its adoption as a strategy in the learning process to acquire difficult scientific concepts in physics and to interpret new phenomena in order to build productive knowledge. The student benefits from the experiences they have gone through and uses them to overcome difficulties encountered during learning by recognizing similarities and correspondences between different situations. We also discussed the characteristics of the analogy model and, based on a field study with a sample of 50 physics teachers in middle school education in Algeria, we demonstrate the effect of using analogy in teaching on improving students' academic achievement. The study concludes with a meaningful summary.

Keywords: *Analogy, Teaching Strategies, Learning Process. The Electric Current Model*.

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف باستراتيجيات التعلم الفعالة وتأثيرها على جودة التعلم وبالتحديد المماثلة واعتمادها كاستراتيجية في العملية التعلمية لاكتساب المفاهيم العلمية الصعبة في مادة الفيزياء وتفسير الظواهر الجديدة من أجل بناء المعرفة المنتجة حيث إن الطالب يستفيد من الخبرات التي مرت به، ويستعين بها على تخطي الصعاب التي تواجهه أثناء التعلم عن طريق إدراك علاقات التشابه والتناظر بين المواقف المختلفة كما تطرقنا إلى ذكر مواصفات نموذج المماثلة واستنادا إلى دراسة ميدانية مع عينة تتكون من 50 أستاذ فيزياء في التعليم المتوسط بالجزائر نوضح أثر استخدام المماثلة في التدريس على تحسين التحصيل العلمي للطالب، ونختم الدراسة بخلاصة هادفة.

الكلمات المفتاحية: المماثلة، استراتيجيات التدريس، العملية التعلمية التعليمية، نموذج التيار الكهربائي.

http://dx.doi.org/10.47832/SharjahConf2-13

[1] Dr. HOUATIS Djemal, Department of Physics, University of Médéa, Algeria
houatis.djamel@univ-medea.dz

[2] Researcher KHEBBAT Faiza, Department of Physics, Higher School of Teachers, Algeria
faiza.khebbat13@g.ens-kouba.dz

المقدمة

يعتبر التحصيل الدراسي أحد المخرجات الأساسية للعملية التعليمية وأبرز نتائجه، وتهتم المؤسسات التربوية على مدى تقدمها نحو تحقيق أهدافها التربوية؛ لأن مستوى التحصيل يعكس مستوى نتاجات التعلم، كما يرتبط التحصيل الدراسي ارتباطا وثيقا بمستقبل المتعلم وحياته المهنية والاجتماعية، وكذلك استقراره النفسي في مراحله العمرية المختلفة. (إبراهيم، بهاء الدين محمد، 2016).

يرى كرويلCrowell) ، 1989 (إن إحدى التحديات التي تواجهها التربية العلمية ابتكار أساليب جديدة في التدريس، ومن بين الأساليب الجديدة في التدريس أسلوب التعليم التماثلي، وتعزى أهميته إلى ما يبديه من مساعدة الطالب على: الانتقال من المعرفة الحسية إلى المعرفة الصورية، ومن المألوف إلى غير المألوف، كما يؤدي هذا الأسلوب إلى توسيع آفاق تفكير الفرد.

استعمال استراتيجيات التعلم في العملية التعليمية التعلمية يعتبر وسيلة مساعدة لتدريس الظواهر المعقدة وبخاصة في مادة الفيزياء، أين يجد المتعلمون صعوبة بفهم هذه الظواهر، " أن المماثلة يمكن أن تكون أدوات فعالة لمساعدة المتعلمين على فهم المفاهيم المعقدة و/أو المجردة التي يتم تناولها التعلم الصفي-R. MAHARAJ) . *SHARMA، 2015).

يمكن إرجاع استخدام التشبيهات في التدريس إلى الفلسفة البنائية في التعلم، ففي هذه الفلسفة أو النظرية يقوم المتعلم ببناء المعرفة بنفسه، كما أن تعديل الفهم الخطأ لدى المتعلم من المبادئ الأساسية لهذه الفلسفة؛ وهكذا يتم في التشبيهات، ففيها يبني المتعلم المعرفة من خلال اقتراحه للتشبيهات المناسبة للظواهر الطبيعية. (خميس وسليمان بن محمد البلوش، 2009).

فالتشبيهات تعتمد على المفاهيم التي اكتسبتها الطالبة سابقاً عندما تعترض عليها مفاهيم جديدة غير مألوفة، وبالتالي فالتشبيهات تقرب المفاهيم غير المألوفة إلى ذهن الطالبة من خلال إيجاد عناصر التشابه بين ما لدى الطالبة من مفاهيم والمفاهيم الجديدة غير المألوفة، فتصبح المفاهيم الجديدة غير المألوفة مفاهيم مألوفة ومدركة لدى الطالبة عندما العناصر ذات علاقة ومتشابهة بين النوعين من المفاهيم؛ وبالتالي فإن التشبيهات تعد مهمة في بناء المعرفة في دماغ الطالبة على قاعدة من المفاهيم التي سبق تعلمها. (عفانة عزو إسماعيل ويوسف إبراهيم، 2009).

مشكلة البحث

علم الفيزياء هو العلم الذي يهدف إلى معرفة وفهم كيف يعمل الكون حيث يدرس المفاهيم الأساسية مثل الطاقة والكتلة والقوة والزمان والمكان.....إلخ وكذا الظواهر الطبيعية مثل الأمواج والمغناطيس وحركة الكواكب وحركة الشحنات، ويجد الكثير من التلاميذ صعوبات كبيرة في فهم هذه الظواهر كما يجد المعلمون صعوبات في تفسير هذه الظواهر، ويبحثون في السبل والطرق الملائمة لإيصال المعلومة بسلاسة للمتعلمين فالمماثلة أو المتشابهة تعتبر استراتيجية ناجعة في تفسير الظواهر الفيزيائية المعقدة كما أثبت التاريخ نجاعتها في تطوير النظريات الفيزيائية هذا يجرنا إلى مجموعة من التساؤلات:

- ما مدى فاعلية التدريس باستخدام استراتيجيات المماثلة في التحصيل الدراسي وتنمية القدرة على حل المشكلة؟ وقدرة التلميذ لاستقبال المعارف وتخزينها؟ وقدرتهم في الاستدلال القياسي؟

- هل المماثلة تسهل فهم الظواهر الفيزيائية المعقدة؟

الدراسات السابقة ذات الصلة

هناك العديد من الدراسات التي تظهر فوائد استخدام التشبيهات في مواد العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات (STEM) بشكل عام، وفي الفيزياء بشكل خاص. على سبيل المثال:

★ دراسة تريجست ورفاقه (Treagust, 1996) فقد هدفت إلى تقييم فعالية استخدام المماثلة في إحداث التغيير المفاهيمي المصاحب لتعلم الطلبة موضوع انكسار الضوء. وقد تكونت عينة الدراسة من (39) طالبة من طالبات الصف العاشر في إحدى المدارس الثانوية في أستراليا. وقد أشارت الدراسة إلى فعالية منحى التدريس القائم على المماثلة في إحداث التغيير المفاهيمي لدى الطالبات فيما يتعلق بانكسار الضوء، وقد تمثل ذلك في فهم الطالبات العميق لمفهوم انكسار الضوء، بما جعل المفهوم أكثر إقناعاً لهن.

★ نشر بودولفسكي وفينكلشتاين Noah S. Podolefsky and Noah D. Finkelstein 2007 دراسة تجريبية هدفت إلى معرفة أثر استخدام أسلوب المشابهة، وتدعم هذه الاستراتيجية، وتوصل إلى أن الطلاب الذين تم تعليمهم حول الموجات الكهرومغناطيسية في منهج يعتمد على نموذج الدعم التشبيهي حققوا مكاسب أكبر بشكل ملحوظ من البداية إلى نهاية التعليم مقارنة بالطلاب الذين تم تعليمهم باستخدام منهج تقليدي أكثر لا يعتمد على التشبيه حيث كانت النسبة% 21 مقابل%7Noah S. Podolefsky) ..، 2007.(

★ كشفت مراجعة لـ70 كتابًا في الفيزياءa David F. Treagust) ، 2007(، تتراوح من المدرسة الثانوية إلى الجامعة، إن التفسير الوحيد المقدم للانكسار كان بواسطة التشبيه، كانت التشبيه الأكثر شعبية، الموجودة في 47 كتابًا، يقارن انكسار موجات الضوء بانكسار موجات الماء. وتشمل التشبيهات المستخدمة في الكتب الثانوية العجلات (أو سيارة)، الجنود، كرة تتدحرج أسفل منحدر.

المنهجية: إجراءات البحث وأدواته

الأداة المستخدمة لجمع البيانات كانت إعداد استبيانات موجهة لأساتذة الفيزياء في الطور المتوسط بالجزائر حول استخدام استراتيجية المماثلة في تدريس الفيزياء.

إجراءات جمع البيانات

قمنا بإجراء البحث في متوسطات مختلفة بالجزائر. حيث تم توزيع استبيان للأساتذة الفيزياء في الطور المتوسط بعد تقديمهم لدرس نموذج التيار الكهربائي مستعينين باستراتيجية المماثلة حيث استخدموا نموذج القطار المتحرك ونموذج المضخة كما ورد في المقرر الدراسي لتلاميذ السنة الثالثة متوسط بالجزائر. حيث يتم تقديم درس التيار الكهربائي في دارة كهربائية بمشابهته بنموذج المضخة أو القطار، وعند نهاية الدرس، تم توزيع عناصر الاستبيان على الأساتذة من متوسطات مختلفة.

تم عرض الاستبيان وتقييمه وإشرافه من قبل الباحثين ومختصين من الميدان.

الدراسة النظرية

I. إستراتيجية المماثلة (المشابه):

توجد تعريفات متعددة للمتشابهات العلمية، ولكنها تدور حول معنى واحد هو أن المماثلة طريقة في التدريس

توضح المفاهيم العلمية غير المألوفة للتلميذ، وذلك بمقارنتها بمواقف أو خبرات مألوفة لديهم بحيث تزود المتعلم بروابط تفسيرية تسهل له الربط بين المفهوم الجديد والمعلومات السابقة لديه وبمعنى آخر تتضمن المماثلات العلمية مقارنة مفهوم مألوف) المشبه به)، بمفهوم آخر جديد) المشبه) بشرط أن يكون:

1. المشبه به مفهوما بسيطا ومألوفا للمتعلم.
2. يختلف المشبه به عن المشبه في صفة واحدة على الأقل؛ لأنه إذا تطابقت الصفات بين المشبه به والمشبه، فإنه لا يمكن أن نطلق عليه مفهوم المماثلة العلمية.
3. إمكانية إدراك المتعلم لوجه الشبه (الصفات المشتركة) بين المشبه به والمشبه دون جهد كبير.

II. التدريس باستراتيجيات المتشابهات:

إن تدريس العلوم في القسم يستوجب استخدام نماذج المشابهات، فيساعد على فهم المفاهيم العلمية غير المفهومة أو غير الواضحة والإسراع في الفهم والاستيعاب من خلال تقديم المفهوم وربطه بمتشابه، فسيساعد على تحديد الملمح حيث ترتب الخطوط الرئيسة معتمدة على نموذج المعلم العلمي للمفهوم، ويستخدم نظام عام.

III. أنواع المتشابهات:

توجد نماذج مختلفة بالتدريس بالمتشابهات، إلا أن هذه النماذج تكاد تجتمع على خطوط عريضة يتم اتباعها عند التدريس بالمتشابهات وهي تقديم المفهوم المراد إكسابه ثم تقديم المشابه الملائم وتحديد الصفات المشتركة والصفات الغير مشتركة وعمل المقارنات. (البنا حمدي، 2000).

- النوع الأول: تقديم المشابه عن طريق الطلاب أنفسهم وهي فعالة في التدريس خاصة في حالة الطلاب القادرين على التخيل والاستدلال القياسي وأن لا تكون عائق أمام المعلم بسبب الفروق الفردية أو تقديم متشابهة غير مناسبة.
- النوع الثاني: هو الموجه بالمتشابهات يقدم المعلم المفهوم، وينتقي المشابه المناسب، ويعطي فرصة لطلابه لاستنتاج الصفات المشتركة والغير المشتركة وعمل العلاقات والتوصل إلى تطبيق المماثلة تحت إشراف المعلم.
- النوع الثالث: التدريس العرضي التفسيري دور الطالب (سلبي) دون أي نشاط في عمل المقارنات أو استنتاج بين المفهوم والمماثل حيث يقوم المعلم بجميع العمليات من شرح وتحديد الصفات المشتركة والغير المشتركة ثم المقارنة والتفسير والتطبيق.

IV. عمليات استراتيجية التدريس المماثلة:

حسب نموذج التعليم بالتشبيهات المعدل لغلاين.Glynn S) ، 1989(، وهاريسون وتريجيست 1993 يمكن تلخيص خطوات التدريس بالمماثلة كالآتي:

- تقديم المفهوم المراد إكسابه للتلميذ
- تقديم المتشابه الملائم لهذا المفهوم والمناقشة حول أوجه التشابه.
- تحديد الصفات المشتركة والغير مشتركة.
- عمل مقارنات بين المفهوم والمشابه. وعلى المدرس تعريف الصفات بين المتشابه والربط بين الصفات ذات الصلة.
- تحديد بدائل للمفاهيم يمكن للتلميذ تطويرها.
- التوصل للاستنتاج، ويلخص الجوانب المهمة للمفهوم

V. الأمور الواجب مراعاتها عند التدريس بالمماثلة:

- معرفة خلفية الطالب لاختيار متشابهات مألوفة يعرفها أكبر عدد من الطلاب.
- تحديد الخصائص والصفات المشتركة بين المفهوم والمتشابه التي تحدد عن طريق المعلم.

والطالب.

- تحديد الصفات الغير مرتبطة بالمتشابه استخدام النموذج الجيد، ويجب التخطيط قبل التدريس.

لتسهيل العملية.

- عدم إعطاء المتشابهات بشكل مبسط؛ لأنه لا يساعد على الفهم فهو بحاجة إلى إعطاء تفاصيل واضحة.

بين المفهوم والمتشابه.

VI. مميزات المماثلة:

- تعتبر جسر بين المفاهيم المألوفة والمفاهيم المعلومات السابقة للتلميذ.
- تعالج الصعوبات، وتنمي القدرة على حل المشكلات..
- استيعاب المفاهيم المجردة وتصحيح المفاهيم العلمية الخاطئة عند التلميذ..
- تستخدم في شرح الظواهر العلمية وتفسيرها بما يلائم عقل الطفل..
- تساعد على الاكتشافات العلمية. حيث تلعب المماثلة دور مهم في المعرفة العلمية.

VII. دور المعلم في استخدام المماثلة:

- جمع المعلومات عن الدراسات حول المتشابهات والاستفادة من تلك التجارب.
- تجريب استراتيجية المماثلة للوصول للأسلوب الأمثل في التدريس.
- تكوين مجموعات من مدرسي المادة والمناقشة لكيفية استحداث تلك الطريقة ودمجها مع المقررات الدراسية وحسب المستوى العقلي للطالب.
- تدريب الطلاب على كيفية بناء المتشابهات وتبسيط المعلومات ومعرفة الصفات المتشابهة والغير متشابهة.
- تشجيع الطلاب على بناء مماثلات ملائمة للمفهوم المقدم لهم.

النتائج والمناقشة: تم التوصل إلى ما يلي:

السؤال الأول: تستعمل المماثلة في تدريس برنامج الفيزياء في الطور المتوسط، ما رأيكم في التصريحات التالية؟

تعطى في الجدول التالي النسب المئوية المتحصل عليها لكل سؤال حيث العينة N=50 :

الرقم	العبارات	موافق جدا (%)	موافق (%)	غير موافق (%)	غير موافق تماما (%)	دون جواب (%)
1	استعمال المماثلة يسمح للتلميذ بفهم الظواهر والمفاهيم الصعبة ؟	50	48	2	0	0
		98		2		

2	استعمال المماثلة يسمح للتلميذ بتجاوز العراقيل و التصورات الخاطئة ؟	16	68	12	2
		84		14	
0	استعمال المماثلة يولد احيانا تصورات خاطئة لدى التلميذ؟	6	34	50	10
		40		60	
6	المماثلات المقترحة في البرنامج تغطي كل المفاهيم الصعبة المدروسة ؟	6	32	36	20
		38		56	
0	مماثلة واحدة تكفي لشرح ظاهرة معينة؟.	4	26	60	10
		30		70	
4	حتى تكون المماثلة تؤدي غرضها يجب ان يكون التلميذ متمكنين من مجال الانطلاق؟ مثلا لشرح مفهوم التيار الكهربائي (مجال الهدف– كهرباء) و (مجال الانطلاق-المضخة او القطار)	34	56	0	6
		90		6	
6	المماثلة تسمح للتلميذ بربط عناصر مجال الانطلاق بعناصر مجال الهدف ؟	38	52	2	2
		90		4	
6	مجال استعمال المماثلة محدود ؟	16	50	18	10
		66		28	
4	المماثلة مضيعة للوقت ؟	0	6	40	50
		6		90	

السؤال الثاني : لقد استخدمتم في تدريسكم لمفهوم التيار الكهربائي نموذج القطار و المضخة حسب رأيكم كيف كانت إيجابيات وسلبيات هذه المماثلة ؟

جدول نسبة إيجابيات وسلبيات المماثلة في المتوسط.

الاجابة	ايجابيات اكثر	كلها ايجابيات	سلبيات اكثر	كلها سلبيات	دون جواب	المجموع
النسبة (%)	66	22	0	6	6	10

6	88	6		

استنتاجات استبيان الأساتذة:

لقد بينت هذه الدراسة الدليل الموضوعي والملموس على أهمية المماثلة في تحقيق الكفاءة الختامية المرجوة من البرنامج الدراسي وحسب وجهات أغلب الأساتذة أن استعمال المماثلة يسمح للتلميذ بفهم الظواهر والمفاهيم الصعبة فهي لا تولد تصورات خاطئة لديهم، بل تصححها وتساعدهم في تجاوز العراقيل الموجودة في الدرس، رغم أن المماثلات المقترحة في البرنامج لا تغطي كل المفاهيم الصعبة المدروسة فالمماثلة ليست مضيعة للوقت، وإنما هي مهمة ومفيدة في سير العلمية التربوية، وذلك بسبب كثرة إيجابياتها فهي تربط بين الحياة اليومية والمفاهيم المراد دراستها عن طريق تبسيط المفاهيم الصعبة.

الخلاصة:

لقد أشارت البحوث في مجال التربية العلمية والتعليمية إلى أن استعمال المماثلات في التدريس ينمي القدرة على التفكير، ويجعل تعلم التلميذ قائما على الفهم والتصنيف بدل من الحفظ والتذكر وكذلك إكساب التلميذ المفاهيم العلمية.

ورغم أن للمماثلة إيجابيات كثيرة، إلا أن لها سلبيات لذلك يجب أن يكون الأستاذ ملما بحدودها.

المصادر والمراجع:

SHARMA† R. MAHARAJ-SHARMA*. (2015). Observations from secondary school classrooms in Trinidad and Tobago: Science teachers' use of analogies. (4المحرر،) Science Education International568 ،25 ،.

Allan G. Harrison a & Grady J. Venville David F. Treagust a. (2007). Science and Mat hemat ics Educat ion Cent re, Curt in. International Journal of Science.

Glynn, S. (2007-a). .The Teaching –with- Analogies Model Build conceptual. Glynn, S.(2007-a).The Teaching –with- Analogies Model Build conceptual.

Noah D. Finkelstein Noah S. Podolefsky. (2007). Analogical scaffolding and the learning of abstract ideas in physics: Empirical studies. physical Review Special Topics - Physics Education Research.

S. Crowell. (1989). New Way of Thinking: The Challenge of the Future. Education Leadership,47(1),60-63., 47(1),60-63.

S. T. Glynn. (1989). . Learning from Analogy- Enhanced scienceText. . Journal of Research in science Teaching,35(10),1129-1149.

Treagust, D. H. (1996). Using an analogical teaching approach to engender conceptual change . Treagust, D. H. (1996). Using an analog Journal of Educational, 213-229 .

إبراهيم، بهاء الدين محمد. (2016). ضعف المستوى التحصيلي لدى بعض طلب المرحلة الابتدائية. مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية مركز جيل البحث العلمي الجزائر، 153.

البنا حمدي. (2000). فعالية التدريس باستراتيجيات المتشابهات في التحصيل وحل المشكلات الكيميائية لدى طلبة المرحلة الثانوية.

رينال عوض جريس البردويل. (2010). أثر استخدام إستراتيجية التشبيهات في الدافعية والتحصيل لدى طلبة الصف. بيت لحم، رينال عوض جريس البردويل. 2010. أثر استخدام إستراتيجية التشبيهات في الدافعية والتحصيل لدى طلبة الصف: جامعة القدس.

عفانة عزو إسماعيل ويوسف إبراهيم الجيش. (2009). التدريس والتعلم بالدماغ ذي الجانبين. عمان: ط،1 دار الثقافة.

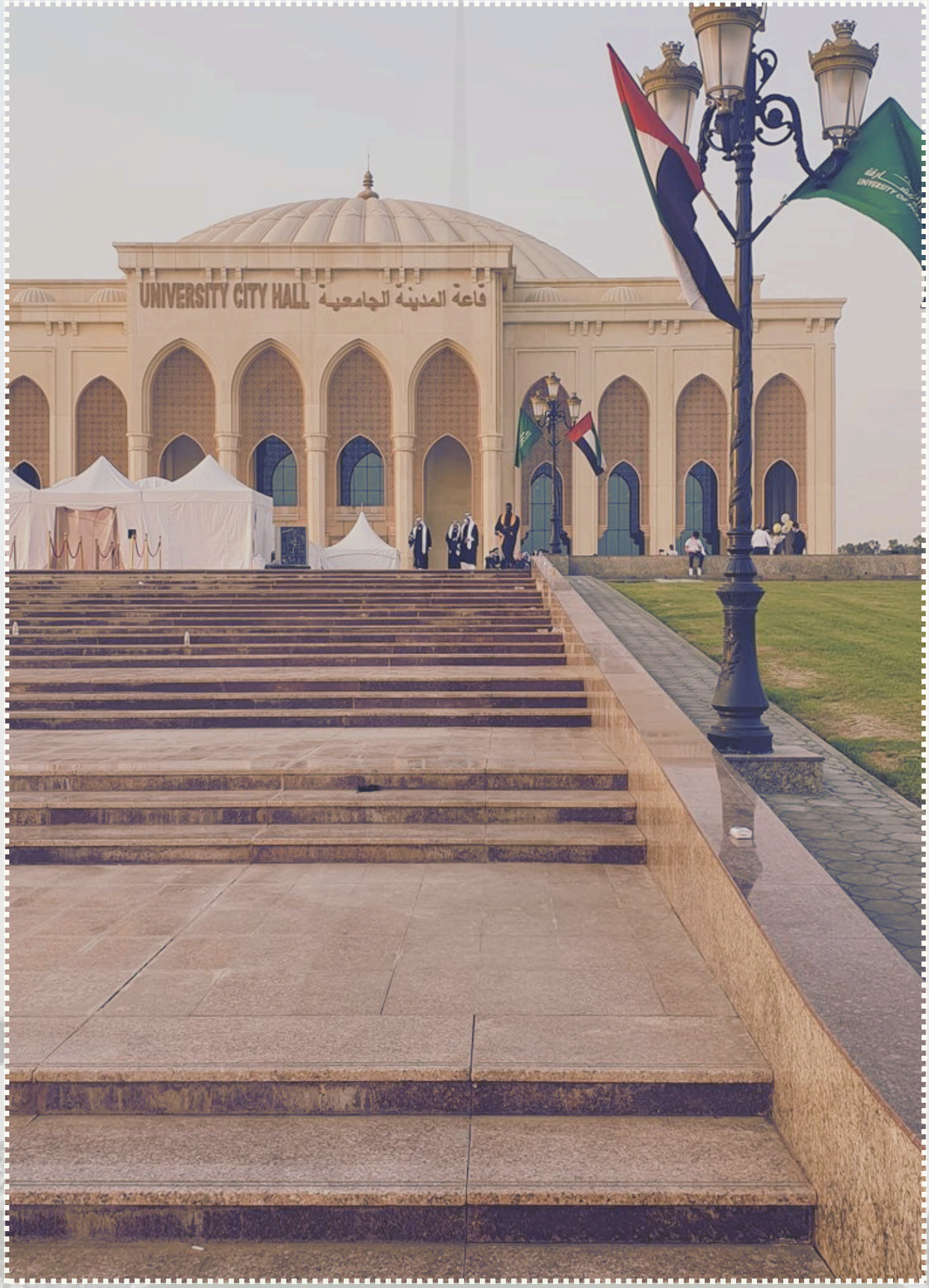
UNIVERSITY CITY HALL
قاعة المدينة الجامعية

مؤتمر الشارقة الدولي الثاني للعلوم الاجتماعية والإنسانية

II. INTERNATIONAL SHARJAH CONFERENCE OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

ISBN 978-625-96965-5-3

Rimar Academy
Publishing House